




الدرس الأول



الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{في هذا الفصل -بإذن الله- نبتدئ من قول المؤلف -رحمه الله: (وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْعَرْضِ، وَالْحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ)}.

قبل أن نبدأ في قراءة المتن المقرر في هذا الدرس؛ أُحِبُّ أن أُذكر إخواني بالفقرة السَّابقة حتى نربطها بالفقرة اللاحقة.

في آخر ما قرأنا من الدروس المتقدمة من متن العقيدة الطحاوية، قال الطحاوي: (وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ.

وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا. وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ لِلْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ عَنْ: رَبِّهِ، وَدِينِهِ، وَنَبِيِّهِ، عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَعَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ الله عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ).

- هذه الجملة تقدم شرحها -ولله الحمد- ولكن بعد هذه الجملة مباشرةً بدأ الطحاوي فقال: (وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْعَرْضِ، وَالْحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ).
- هذه المسائل كلها من أمور القيامة واليوم الآخر، والله -عزَّ وجلَّ- وصف أهل الإيمان بأنهم يؤمنون بالله وباليوم الآخر، ووصف أهل النفاق والكفر بأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وذلك في مواضعِ كثيرةٍ

من القرآن، قال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(٦)خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[البقرة:٦-٧]، ثم قال عن المنافقين:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[البقرة:٨-٩]، بينما أول الآيات في سورة البقرة ذَكَرَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- صفة أهل الإيمان فقال:﴿الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[البقرة:١-٢]، بدأ بالإيمان بالغيب، ويدخل فيه: الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بكل ما أخبر به الرسول-صلى الله عليه وسلم.

- قال تعالى:﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة:٢-٥].

فهذه الأمور يؤمن بها أهل الإيمان وأهل الإسلام، ويكذِّب بها أهل الكفر والشِّرك والنِّفاق قديمًا وحديثًا.

- هذه الأمور العظيمة؛ أمور البعث بعد الموت، وأمور الجزاء والحساب إلى آخر ما ذكر الله -عزَّ وجلَّ- وذكر رسوله -صلى الله عليه وسلم- دَلَّ عليها الكتابُ والسُّنة، وَدَلَّ عليها العقلُ الصحيح، ودَلَّتْ عليها الفطرةُ، وأجمعت عليها الرُّسل والأنبياء، فكلُّ الرسل والأنبياء جاؤوا بها، وأخبروا بهذه الأصول العظيمة؛ لأنَّ الرسل اتفقوا على أصول الإيمان وأصول الدين، فكل الرسل متفقون على البعث بعد الموت، ومعادِ الأجسام والأرواح، وأنَّ النَّاس يُحشرون ويُحاسبون، ثم مآلهم إلى جنة أو إلى نار.

- هذا الأمر العظيم جاء تكراره وذكره في كتاب الله، وفي سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- في مواضع كثيرة جدًا جدًا، ولهذا لا يوجد مثل ما جاء في القرآن والسنة من تفاصيل ذكر البَعثِ بعد الموت، حتى في كتب الأنبياء السَّابقين جاء ذكرها ولكن ليس بمثل ما جاء به الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- ولهذا في الواسطية يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "**وفي العلم المأثور عن الأنبياء، وفيما جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم- ما يكفي ويشفي**"، أو نحو هذه العبارة.

المقصود أنَّ هذا الأمر العظيم -الإيمان بالمعادِ- أنكره المشركون، وأنكره الكافرون والمنافقون.

❑ **ويجدر التنبيه إلى مسألةٍ مُهمةٍ في الإيمان بالله واليوم الآخر:** الإيمانُ بالله فطري فُطِرَت عليه الخلائق، حتى فرعون وحتى الجاحدين في قرارة أنفسهم يُقرون بالخالق، لكنَّ الإيمان باليوم الآخر منكروه أكثر، وسبق أن قلنا: إنَّ الفِطْرةَ دَلَّت على الإيمان باليوم الآخر أيضًا، لكن فَطرُ الخلائق على الاعتراف بخالقها أظهر وأعظم، ولهذا كَثُرَ -كما قال أهل العلم- المنكرون من الكفار ومن المشركين ومن المنافقين؛ كثر المنكرون باليوم الآخر.

- وبعض الفلاسفة قديمًا وحديثًا، وعنهم نشأ الملاحدة الذين ينشرون الآن ضلالاتهم؛ يظنون أن لا بَعثَ بعد الموتِ، فينكرون البعث، وهذا أصلهم قائم على إنكار الخالق، فمن أنكر الخالق أنكر البعث بعد الموت، وهذا أصل الملاحدة كلهم. فكثيرٌ مِنَالفلاسفة وافقهم في هذا الإلحاد.

ومنهم مَن يُقرُّ بالخالقِ، ولكن يُنكر البعث بعد الموت، ولهذا فلا تستغرب من كفرة الأوروبيين وكفرة الأمريكان وكفرة الصين الذين يَسيرون على نهجِ الفلاسفة، وليسوا على هُدى من ربهم، أعرضوا عن الهُدَى الذي جاءت به الرسل -عليهم الصلاة والسلام.

ولهذا جاء القرآن العظيم ببيان هذه المسألة وإيضاحها في مواضع كثيرةٍ مِن كتابِ الله -عزَّ وَجَلَّ

❑ **وهنا نقول لإخواننا خصوصًا مَن وفقه الله لطلب العلم:** عليك أن تعتني بهذه المواضع في كتاب الله، وأن تتدبرها جيدًا، وأن تُمِرَّهَا على قلبك، وتُمِرَّهَا على إخوانك وتذكرهم بها، وَتَرُدُّ بها على أعداءِ الله الملاحدة.

- ونأخذ من ذلك أمثلة، وأنا أُحيلكم بحكم أنكم طلبة في هذه الأكاديمية المباركة، الإخوة الذين يشاركون معنا الآن ويستمعون أحيلكم إلى شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، حيث ذكر جملة في هذا الأمر، إذا رجعت إليها وجدتها مفيدة جدًّا، وهناك كتاب آخر مشهور وهو البداية والنهاية لابن كثير جمع جملة عظيمة فيما يتعلق باليوم الآخر في النهاية، كذلك أهل العلم كتبوا في هذا مؤلفاتٍ كثيرةٍ، منهم القرطبي في كتابه: "التذكرة في أحوال الآخرة"، وغيره كثير، ومن المعاصرين من جَمَعَ جمعًا طيبًا في هذه المسألة، منهم الدكتور/ عمر بن سليمان الأشقر -رحمه الله- والذي له مؤلفات طيبة نافعة في الإيمان باليوم الآخر، وفي الجنة والنار، نسأل الله أن يجزيه خيرًا على هذه المؤلفات.

؟ ألا يدخل في إنكار البعث من يرى من الفلاسفة أنَّ العذاب والنَّعيم في القبر هو نفسي؟.

- لا شك أنَّ هذا إنكار وجحود، وليس فقط الفلاسفة، بل حتى بعض العقلانيين الذين يَدَّعون الإسلام وينتسبون إلى الإسلام يَقعون في هذه المزالق الخطيرة -نسأل الله العافية- وينتهون إلى التَّكذيبِ، وإن كانوا لا يُصَرِّحون بالتكذيب بما أخبر الله به وبما أخبر به رسول -صلى الله عليه وسلم- فالله -جلَّ وعَلَا- قال عن قوم فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[غافر:٤٦]، فالذي أخبر أنَّ النَّار تُعرض عليهم هو ربُّ العَالمين، فكيف تقولون إن هذا شيء نفسي؟!

- وقال الله عن آل فرعون: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾[نوح:٢٥]، والفاء تدل على التعقيب، فبعد الغرق دخلوا النار مباشرة، فكيف نقول: إن هذا شيء نفسي!

هذا شيء حقيقي ولكنَّ الله أخفاه عن العباد، فلا نُنكره، فالذي أخفاه الله عنَّا أكثر مما نعلمه بآلاف المرات، فنحن عِلْمُنَا قليل، قال تعالى:﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء:٨٥].

وَمِن أعظم الجهل أن تُنكر الحقائق التي أخبر الله بها، وأخبر بها رسوله -صلى الله عليه وسلم.

- ومما يدل على أنَّ كل الأنبياء جاؤوا بهذا، قال الله -عزَّ وجلَّ- لما أهبط آدم:﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[البقرة:٣٦]، فهذا هوالبعث بعد الموت.

✓ أمَّا نوحٌ فقال:﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا(١٧)ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[نوح:١٧].

✓ وأمَّا إبراهيم فقال:﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾[الشعراء:٨٢].

✓ وكذلك موسى -عليه الصلاة والسلام- قال الله -جلَّ وعَلا- عنه لما نجا:﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾[طه:١٥].

✓ ومؤمنُ آل فرعون الذي هو قريب من أقارب فرعون، أنبت الله-عزَّ وجلَّ-في قلبه الإيمان، انظر إلى المحيط الكافر الملحد قد يُولَدُ فيه مُؤمن إذا فتح الله على قلبه، فمؤمنُ آل فِرعون قال لقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[غافر:٣٢]، إلى آخر الآيات في سورة غافر.

- والله -عزَّ وجلَّ-أقام الحجج الحسية والبراهين الشرعية والعقلية على إحياء الموتى.

فأما الحسية: فذكر في سورة البقرة في خمسة مواضع:

١) ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[البقرة:٧٣].

٢) ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[البقرة:٥٦].

٣) ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[البقرة:٢٤٣].

٤) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة:٢٦٠].

٥) ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة:٢٥٩].

وكذلك أصحاب الكهف، جعل الله -عزَّ وجلَّ- هؤلاء حجَّة على العباد، أن جعلهم الله -عزَّ وجلَّ- ينامون ثلاثمائة وتسع سنين، وخرجوا على الناس بعد أجيال ذهبت؛ ليجعلهم برهان على قدرته-سبحانه وتعالى- على البعث بعد الموت.

- والكفار يوم القيامة إذا دخلوا النار، يقول لهم الخزنة:﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾[الأنعام:١٣٠].

فالرُّسل كلهم أنذروا قومهم هذا اليوم، فبشروهم وأنذروهم، يبشرون المؤمن وينذرون الكافر، فمن آمن يبشرونه، ومن كفر ينذرونه من عذاب الله -عزَّ وجلَّ.

- ولهذا فإنَّ كل من دخل النار يعترف، قال الله -عزَّ وجلَّ- في سورة تبارك:﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[الملك:١١]. نسأل الله العافية والسلامة.

- فالكفار بجميع أصنافهم إذا دخلوا النار ورأوا الحقائق التي أخبر الرسل بها اعترفوا بهذا وأقروا به﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[الزمر:٧١]، نسأل الله العافية والسلامة، وأن يُثبتنا على الإسلام والسُّنة.

والنبي -صلى الله عليه وسلم-أَمَرَه اللهُ -عزَّ وجلَّ- أن يُقسِمَ أثناء محاجته للكفار، فقال تعالى:﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[التغابن:٧].

وفي سورة سبأ:﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[سبأ:٣].

وفي سورة يونس: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[يونس:٥٣].

- فأمر الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- أن يُقسم، وهو الصادق البار -صلى الله عليه وسلم- وإن لم يقسم، ولكن الأمر عظيم، فكيف تنكرون هذا الشيء، والنبي -صلى الله عليه وسلم- هو الصادق الأمين، فقبل أن ينزل عليه الوحي كانوا يعرفونه بالصدق.

- هذا الأمر عظيم ويدل على وجب الرد على هؤلاء الملاحدة المنكرين للبعث، ورب العالمين يقول:﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾[القمر:١-٣]، كذبوا لما عِندَهُم مِنَ الهَوى، مَا عِندهم بصيرة.

- هذا داورين تصدقونه وتكذبون محمدًا -صلى الله عليه وسلم؟!

داورين هذا ضالٌّ مُضِل لا يَعرف شيئًا حتى وإن كان عنده بعض المعلومات، يكفي تفاهة هذه النظرية وسخافتها، كانت تُمجَّد هذه النظرية، والذي يؤمن بهذه النظرية هو الذي يُنكر البعث؛ لأنهم يقولون: لا خالق، إنما هو انفجار وخلايا تطورت!

فهؤلاء كفار ملاحدة، كيف تصدقهم وتكذب محمدًا -صلى الله عليه وسلم؟!

- **ولهذا حذاري حذاري يا شباب الإسلام ويا شابات الإسلام من القناعة بهذه النظرية الخبيثة الباطلة**، احذروا منها وممن يروج لها، اعرفوا دينكم وخذوه من القرآن ومن السنة، لا تأخذونه من هؤلاء السفهاء الضالين، قال تعالى:﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[البقرة:١٣٠]، فهؤلاء سفَّهوا أنفسهم، صاروا ينكرون الحقائق، وكما سمعتم الآية في سورة القمر﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾[القمر:٣]، فلا تتبع أهل الأهواء.

؟ يقول بعضهم: نحن نؤمن بهذه النظريات دون إنكار الكتاب والسنة. فما قولكم؟.

- لو أنك فهمت مُرادهم وعرفت حقيقة قولهم؛ عرفت أنهم مبطلون، فمن اقتنع بها ولم يدرك أبعادها،لا نقول:إنه كافر إذا ما كان ينكر البعث ولا يُصرح بهذه؛ ولكن جهل منه؛ ولكن نقول: إنه على خطر، إذا كان سيلتزم بلوازم ما قرره الكفار فهو مثلهم.

- أمَّا إذا قال: أنا أؤمن بالله واليوم الآخر، وأؤمن بالبعثِ بعد الموتِ؛ وكان صادقًا في هذا فهو مؤمن، لكنه يجب عليه أن ينبذ هذه الضلالات.
- أول من خلقه الله من البشر هو آدم، وخلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته، وهذا داروين وأتباعه من الكفرة يُنكرون هذا، يقولون: الأصل الخلية، ثم تطورت ملايين ملايين ملايين...، خزعبلات، أكاذيب! يخترع ما يشاء من ملايين السنيين!

تصدقه وتترك القرآن؟!

أول مَن خلقه الله مِن البشر هو آدم، لم يكن أصله قرد ولا شيء! فأصله من التراب ومن الطين، فكيف تصدق هذا الكلام؟!

- فَمَنْ فَهِمَ حقائقَ نظريات الكفرة مجَّها وعرف بطلانها، وعرف أنها تنقض الإسلام، ولكن يأتي بالفعل بعض الشباب ولا يتصور الكفر العظيم الذي تتضمنه مقالات الفلاسفة ومقالات الملاحدة، والله -عزَّ وجلَّ- ذمَّ هؤلاء ذمًّا عظيمًا، قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[يونس:٤٥]، وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾[الشورى:١٨]، ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾[النحل:٣٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[الحج:٧]، وقال في سورة الإسراء: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨) ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾[الإسراء:٩٧-٩٩].
- فذكر الله براهين عقلية في القرآن على البعث بعد الموت.

أيهما أعظم؟!

أنت أيُّها الإنسان حجمك في ملكوت الله -عزَّ وجلَّ- أقل من عُشر مِعشار النقطة، فملكوت الله عظيم، السماوات العظيمة والأرضين العظيمة، الله -عزَّ وجلَّ- خلقها من عدم، أيعجز عن خلقك أنت أيُّها الضَّعيفُ وإعادتك؟!

- قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾[الإسراء:٩٩]، وفي نفس السورة قال الله -عزَّ وجلَّ- عن الكفار المكذبين للبعث: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء:٤٩]، ينكرون أنهم يُبعثون مرة أخرى.
- قال الله تعالى: ﴿قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾[الإسراء:٥٠-٥١]، فإذا كنتم أعظم من الشحم واللحم والغضاريف؛ فإذا كنتم من حجارة أو من حديد أو أَعْظَم من ذلك ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الإسراء:٥١]، فهذا يُنهي

الشبهة تمامًا، فإذا أنت أقررت بِأنَّه خَلَقَك؛ فهذا أهون من البدء، فالآن أغلق عليهم، قال: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾[الإسراء:٥١]، انتقلوا الآن من الإنكار إلى السؤال عن الموعد، قال الله تعالى: ﴿قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[الإسراء:٥١-٥٢].

؟ بعض من يُنكر البعث: بل يصل الأمر إلى الإلحاد، يأتون إلى آيات وأحاديث البعث والنشور، ويقولون: هذه من ألف وربعمائة سنة أو أكثر من ذلك، وحتى الآن لم تقم الساعة!.

- هذا أمر واضح، وهو أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- أخفى عِلم السَّاعة حتى عن الأنبياء والرُّسل، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾[طه:١٥]، وهذه السنوات التي مَرَّت قَد مَرَّت على مَعشر البشر كالبرق، وهذا يدل على قُربِ السَّاعة، فانظر إلى سرعة الأيام وسرعة الزمان، فهذا الأمر عند الله -سبحانه وتعالى- وليس عند العباد، وقد سمعت أحد هؤلاء الزنادقة الكفرة من العرب يقول: إذا أنا مت فضعوني في الثلاجة المجمِّدة للجسم حتى إذا وجدوا علاجًا يردوني إلى الحياة! انظر كيف الإنكار!
- هذا يسير على طريقة الملاحدة والفلاسفة تمامًا، ومكذب لما أخبر به الرسول -صلى الله عليه وسلم- حتى لو ادعى أنَّه مسلم، فهذا إنسان في غاية الانحراف والضلال والتهوُّك والحيرة، وفي غاية الغباء البشري، فالبشر كلهم يعرفون أنَّه إذا مات الإنسان لن يعود إلى الدنيا، وهذا يقول: ضعوني في الثلاجة!

  فالحمد لله الذي فضحهم، وكشف عورتهم، وكشف سوءتهم.
- وهنا في الآيات التي مرت معنا رد على هذا وأمثاله، أنت خلق ضعيف أيُّها الإنسان، فحتى لو قال: إنه قوي؛ فقال الله له: ﴿قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا(٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾، فهل تقدر أن تمتنع عن الموت! كل الناس يعرفون أنَّ الموت حق، وأنهم قادمون عليه، ما أحد يستطيع أن يدفع الموت؛ لأنَّ الموت آية من رَبِّ العَالَمِين، لا أحد يقدر على دفع الموت، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[آل عمران:١٨٥].

  فإذا قال: نحن خلق على صفةٍ ضعيفة تأتي عليها الأمراض، وتأتي علينا الظروف الجوية وتؤثر فينا، والأتربة والأطعمة تؤثر فينا، فنتعرض للفناء بسبب هذا الخلق الضعيف!
- فإذا كان هذا جوابه، فنقول: فما الذي يحول بينكم وبين خالقكم ومنشئكم أن يُعيدكم مرة أخرى يوم القيامة؟!

أنت اعترفت الآن بضعفك، وأنك متعرض للموت، حتى لو لم تعترف فالناس يعرفون أنك ستموت، وأنك لن تعود للدنيا، ولهذا جاء في الحديث العظيم من حديث جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري -رضي الله عنه- وأبوه عبد الله الأنصاري استُشهد في أحد، فلقي النبي -صلى الله عليه وسلم- جابرٌ وهو متأثر ويبكي، فسأله النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "إن أبي توفي وعليه دين، وترك أولادًا". فقال النبي -صلى الله عليه وسلم: «مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا. فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ. قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً. فَقَالَ: الرَّبُّ سُبْحَانَهُ إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ. قَالَ: يَا رَبِّ فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي. قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ

﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾»[1]، فهو في الجنة -رضي الله عنه- ولكن تمنى أن يرجع إلى الدنيا؛ ليُقتل في سبيل الله -رضي الله عن عبد الله بن حرام الأنصاري.

- فقال الله -عزَّ وجلَّ: «إني قَضَيْتُ الحكمَ، أنهم إليها لا يُرْجَعون»[2]، أو كما قال في الحديث، وهو مخرَّج في الترمذي وغيره.

فالذي يُعيد العباد بعدما أفناهم وأماتهم هو الله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الإسراء:٥١].

فصاروا يتعللون بعلل أخرى، فقالوا: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾[الإسراء:٥١]، انقطعوا! وهذه حيلة المنقطع العاجز.

فقال الله: ﴿قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾[الإسراء:٥١].

انظر الآيات في سورة يس، فهذه السورة فيها براهين عظيمة من براهين البعث، قال الله -عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا﴾[يس٧٧، ٧٨]، يعني: هذا الكافر ضرب للنبي -صلى الله عليه وسلم- مثلًا، والمثل: هو الشُّبهة.

ما هي الشبهة التي عرضها الكافر؟

- جاء بعظم من العظام البالية -إمَّا عظم بهيمة أو شيء- ففتَّته أمام الرسول -صلى الله عليه وسلم- وقال: يا محمد، كيف يحيي ربك هذ؟!
- فقبل أن يَذْكر الشُّبهة جاء الرد، وهذا مِن بَديعِ الحِجج القُرآنية، ولهذا يجب على طالب العلم؛ بل على كل مسلم أن يتعلم من القرآن أسلوب الحجج، أحيانا لا تَسُق الشبهة كما هي، قبل أن تسوق الشبهة سُق الرد عليها، قال تعالى:﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾، هنا ينتبه المستمع ويقول: كان نطفة إذا نزلت في الثوب سيتقذرها الإنسان ويزيلها، فهذا أصل كل إنسان إلا آدم وحواء، والبقية كلهم من نطفة.

- قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وهذا رد ثانٍ، فالذي أنشأها أول مرة هو الله -سبحانه وتعالى- وهذا باعتراف الخلق كلهم حتى الملاحدة.فالخلق لابد له من خالق.
- قال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾، ألا ترى أنَّ خلق الله محكم متقن لا اضطراب فيه! هذه الشمس منذ أن خلقها الله تعالى وهي في انتظام، والقمر في انتظام، وهذه النجوم في انتظام، وهذه البحار في انتظام!

فهذا يدل على علمه تعالى، ومَن كان بهذه العظمة والجلال فإنه هلى كل شيء قدير ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.

[1] روى الترمذي (٣٠١٠)، وحسنه ، وابن ماجه (١٩٠) عن جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ
[2] روى الترمذي (٣٠١٠)، وحسنه ، وابن ماجه (١٩٠) عن جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ، ونصه: «مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، فَقَالَ: الرَّبُّ سُبْحَانَهُ إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ، قَالَ: يَا رَبِّ فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي، قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)»

* ثم جاء برد ثالث، قال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾[يس:٨٠]، يبيّن الله -عزَّ وجلَّ- أنك إذا تحولت أنت من حال الحياة إلى حال الموت وصرت في القبر، ثم بعد ذلك تُبعث، انظر إلى الأشجار فأول ما تنبت تكون غضة خضراء رطبة مليئة بالماء، هذه الأشجار تتحول إلى شيءٍ حار أحمر مليء بالنار ليس فيه من الرطوبة شيء، ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾.

* ثم جاء الرد الرابع: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾[يس:٨١]، ولله المثل الأعلى، تعالى الله أن يكون مِثل خلقه.

الناس يعرفون هذا: إذا جاء رجل نجّار، وصنع بيتًا كاملًا من خشب بأبوابه، ومجالسه، وآرائكه، ومنافذه، وكل شيء؛ فقلت له: اصنع لي مطرقة من الخشب. فهل يقول: هذا لا يمكن! بل يقول: المطرقة أسهل عليَّ.

- ولله المثل الأعلى، فالله لا يُعجزه شيءٌ في السماوات ولا في الأرض، فهذه من الحجج الظاهرة البيّنة الباهرة، قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:٨١-٨٣]، فكل الخلق يموتون، ويصيرون إلى مصير واحدٍ.

- قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة:٣٦-٣٩].

وهذا كثير في القرآن، وسورة الحج مليئة ببراهين البعث، في أولها وأوسطها، وكذلك سورة المؤمنون، وفي سورة البقرة، وأغلب السور المكية مليئة بهذا؛ فتدبر القرآن تجد براهين البعث ظاهرة جدًا.

- قال تعالى في سورة الواقعة: ﴿فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[الواقعة:٨٦-٨٧].

وانظر إلى الذي يحتضر أيًّا كان، مسلم أو كافر، لو جاء أطباء الدنيا، وأدوية الدنيا كلها؛ هل يستطيعون أن يمسكوا روحه؟! ما يستطيعون، سواء كان مريضًا أو غير مريض، فتأتيه السكتة أو الموت الفجأة، فاللهم أحسن خاتمتنا وجميع إخواننا المسلمين.

- فقوله: ﴿فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾، هذا خطاب للكفار ومنكري البعث، أي: لو كنتم بالفعل غير مبعوثين، ولن تُعادوا ليوم القيامة.

﴿ترجعونها﴾ أي: أَرْجِعُوا أرواحكم وأمسكوها فلا تخرج من أبدانكم.

قال: ﴿فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، وهذه البراهين عند أهل الإيمان مثل الشمس، وكلما زاد اليقين بيوم القيامة زاد العمل، وكلما نقص العمل دلَّ على نقص اليقين، والدليل على هذا في سورة القيامة، قال: ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى * وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾[الواقعة:٨٦-٨٧]، فهذا كافر

لقول النبي -صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»[٣]، هذا مربوط بهذا، لا يمكن أن يقول واحد: أنا مؤمن وأنا مسلم وهو لا يصلي ولا يعمل لله عملًا! فهذا كذاب.

- ولهذا فالله رب العالمين قال: ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى﴾ ثم قال: ﴿وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾، ولهذا فإن أعظم الإعراض هو الإعراض عن الصلاة.
- ومثله في سورة الليل، قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ ثم شرح وفصل فقال: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ يعني صدق بالجنة، قال: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾.
- ثم قال: ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾، فانظر كيف ربط التصديق بالعمل "أعطى - واتقى - وصدق"، وربط التكذيب بالعمل "بخل - واستغنى - وكذب".
- ولهذا فإنَّ الإيمان: قولٌ واعتقادٌ وعملٌ؛ فلا يصلح الإيمان بدون عمل -كما تقدم معنا- فهذه دعوة فارغة، ولذلك فإذا قويَ تصديقك بيوم القيامة اجتهد في العمل، وأهل الجنة -نرجوا الله أن نكون منهم- لما يدخلون الجنة ذَكَرَ الله حالهم في سورة الطور: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي: مُشفقين من يوم القيامة، يتذكرون أحوال القيامة، ويتذكرون الجنة والنار، ويخافون -اللهم اجعلنا منهم.
- قال: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾، هكذا كنْ أيُّها المسلم -اللهم اجعلنا من هؤلاء.

فلابد من عمل، ولابد من اجتهاد.

فالاحتجاج بالأدلة العقلية في القرآن كثير، فأصح الأدلة العقلية وأقواها ما ذكر في القرآن، بل يعتبر هذا أصول الأدلة العقلية؛ لأنَّ بعض الناس يقول: الأدلة في القرآن أدلة شرعية!

وهذا خطأ ولا شك فالقرآن دليل شرعي، فهو من الله -عزَّ وجلَّ- وتلاه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على المسلمين، وحفظه الله إلى يوم القيامة، ولكنه متضمن لأفضل وأصح الأدلة العقلية على قضايا الإيمان بشكل عام، وعلى قضايا البعث بعد الموت.

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾[الحج: ٥]، إلى آخر الآية، فَيُذَكِّر بالبعث والحق، وكون الإنسان يمر بهذه المراحل، ثم يهرم ويموت، فهكذا كما تقلب في الدنيا سينتقل إلى البرزخ، ثم إلى الدار الآخرة إمَّا إلى جنةٍ وإمَّا إلى نَار.
- فيه برهان آخر في سورة الحج وفي غيرها ذكر في مواضع كثيرة، وهو: إحياء الأرض بعد موتها ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[الحج: ٥]، من الذي أحياها؟

---

[٣] رواه احمد وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه

الله -سبحانه وتعالى- هو الذي أحياها، فكما ترى أنت بعينيك هذه الصحراء القاحلة، وإذا جاء الربيع بعد الأمطار تغدو رياضًا ناضرة غضَّة مليئة بالطيوة والحشرات والخيرات والزهور والخضرة والماء، وهذه الأشياء التي خلقها الله -عزَّ وجلَّ- ما كانت موجودة، مَن أحياها وأوجده؟! إنه الله!

فهكذا أنت سيحيك الله بعدما تموت، فاستعد واثبت على الدين، ولا تبدل ولا تغير، نسأل الله أن يثبتنا على دينه.

هذا الموضوع -أيها الإخوة الكرام- موضوع عظيم، ويحتاجه المسلم دائمًا، فتذكر اليوم الآخر والاستعداد له هذا علامة الإيمان، والإعراض عن تذكر اليوم الآخر والغفلة عنه علامة الخذلان، ولذلك يضعف الإنسان، فإذا تذكر الإنسان الآخرة ابتعد عن ظلم الناس؛ لأنه يتذكر أن هناك حساب، وهذا من الأدلة العقلية، قال تعالى:﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾[التين:٨].

فهذه حكمة الله -سبحانه وتعالى- فكيف يسوي بين المحسن والمسيء!

- قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[ص:٢٨]، وهذا في القرآن أيضًا دليل عقلي يشير إلى حكمة الله -عزَّ وجلَّ، وأن الله تعالى تأبى حكمته أن يسوي بين المحسن والفاجر، وحتى الجبارين والظَّلمَة قد يطول بقاؤهم وضررهم؛ فلا يمكن أن يُترك ويموت دون حساب، بل الله -عزَّ وجلَّ- سيحاسبهم، وهذا الأصل العظيم مذكور في سورة الفاتحة ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:٤]، وهو يوم الحساب والجزاء.
  - فهذا الأمر العظيم يورث الإنسان الخوف من الله -عزَّ وجلَّ- ورجاء فضله ورحمته -سبحانه وتعالى.
  - وهذا الأمر العظيم يبعث على الاجتهاد في العمل وعلى الإحسان، ويبعث على الإخلاص ودفع الرياء، يعني: هؤلاء النَّاس التجار والوزراء والمسؤولين الذين لهم الأبَّهة؛ إذا لم يقدموا شيئًا لله تعالى فلن تنفعهم مناصبهم. فالإنسان يُخلص لله تعالى ويُراقبه، ويخافه، ويرجوه، ويتوكل عليه.
- والإيمان باليوم الآخر ثمراته كثيرة جدًا، **ومن ثمرات الإيمان باليوم الآخر:**

الاجتهاد في العمل الصالح -كما تقدم: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾، فلما صدَّق صلَّى، ولهذا قال الله تعالى عن الصلاة ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ *الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[البقرة:٤٥-٤٦]، فربط بين المحافظة على الصلاة واستعذابها والشعور باللذة فيها بتذكر يوم القيامة، ولهذا فكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»[٤]، وقال: «أَقِمِ الصَّلَاةَ يَا بِلَالُ! أَرِحْنَا بِهَا»[٥]؛ لأن هذه الصلاة هي معينة لأهل الإيمان، وموصلة لرضا الرحمن -سبحانه وتعالى.

- هذا موضوع الجملة الأولى التي قال فيها المؤلف: (وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، فالله -عزَّ وجلَّ- يجزي المحسن بالإحسان والمسيء بالإساءة.

---

[٤] أحمد والنسائي والحاكم

[٥] رواه أبو داود (١٢٥٣)

- قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[آل عمران:١٨٥]، الشاهد قوله:﴿وإنما توفون أجوركم يوم القيامة﴾، وفي سورة النجم قال: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾[النجم:٣١-٣٢]، وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[الأنعام:١٦٠]، وجزاء الأعمال كثير ذكره في الكتاب والسنة.
- وجاء في الحديث القدسي من حديث أبي ذر المشهور: «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»[٦]. هذا موضوع جزاء الأعمال يوم القيامة.

هل الإنسان يدخل الجنة بعمله؟

- بالطبع لا، بل يدخل الجنة برحمة الله، ولكن العمل سبب، فلابد من الأعمال، ولو تركنا الأعمال هلكنا كلنا وما نجونا، فالأعمال لابد منها، فهي ليست مقابل رحمة الله تعالى وجنته، فجنة الله وفضله أعظم بكثير من أعمال العباد.
- قال: (وَالْعَرْضِ، وَالْحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ).
- الْعَرْض: يعني أنَّ العباد تُعرض عليهم أعمالهم، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[الحاقة:١٨]، وقال تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[الإسراء:١٤]، فالعرض يقال للإنسان فيه: ألم تفعل كذا يوم كذا!!
- وهذا حديث عبد الله بن عمر في صحيح البخاري، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «يُدْنِي اللَّهُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، ثُمَّ يُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ»[٧]، اللهم اغفر لنا ولإخواننا المسلمين.
والحساب: يعني نوقش، ومَن نوقش الحساب عُذِّب.
- أما العرض فيسمى حسابًا، ولكن ليس فيه مناقشة، فالمناقشة هي المؤاخذة، والحديث «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ»[٨]، يعني حوسِبَ وأُخِذَ عليه ولم يُغفر له -نسأل الله العافية والسلامة.
- قال: (وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ).
  - ❖ الثواب: يكون بدخول الجنة، وكذلك يجعله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ويجوز الصراط، ونحو ذلك؛ كل هذا من الثواب، وأعلى الثواب وأعظمه الجنة، وأعلى نعيم الجنة هو رؤية الله -عزَّ وجلَّ- في الجنة.

---

[٦] رَوَاهُ مُسْلِمٌ
[٧] رواه البخاري
[٨] رواه البخاري ٦١٧١

❖ والعقاب: دخول جهنم -أعاذنا الله وإياكم منها وإخواننا المسلمين.

- قال: (وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ).
- الصراط نؤمن به، وهو على متن جهنم -أعاذنا الله وإياكم من النار- فهو جسر موضوع على متن جهنم، يعبر عليه أهل الإيمان، فهذا الجسر لا نعلم كيف هو، ولكن جاء في الأحاديث أنه: «أَدَقَّ مِنَ الشَّعْرِ وَأَحَدَّ مِنَ السَّيْفِ»، «وأن الناس يمرون عليه بقدر أعمالهم»، «فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»[9]، فالصراط عليه كلاليب مثل: شوك السَّعدان، تختطف الناس، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم.
- ودعوة الرسل في هذا المقام إذا مرَّ الناس «اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»، فالأمر عظيم جدًّا -نسأل الله أن ينجينا وإياكم- قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[مريم:٧١-٧٢].

كيف يَرِدُ الناس كلهم جهنم؟

➤ **القول الأول:** هو العبور فوق الصراط دون أن يدخل النار، وهذا هو أصح القولين، وهو المشهور عند أهل العلم.

➤ **القول الثاني:** أن المؤمنين يدخلون النار، وتكون عليهم بردًا وسلامًا، ثم يخرجون منه، نُقل هذا عن ابن عباس وجماعة، لكن هذا يكون عندهم آية عظيمة من آيات الله، وهي أن الله -عزَّ وجلَّ- يحميهم من النار، وتكون عليهم بردًا وسلامًا، فهذا معنى قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[مريم:٧١-٧٢].

❑ **ولكن أصح القولين:** أن الورود هو العبور فوق الصراط، فمن جاز الصراط نجا ودخل الجنة، ومن لم يتجاوز الصراط سقط في جهنم؛ فيعذب بمقدار ذنوبه، ثم يكون مآله إلى الجنة كما تقدم القول في مرتكبي الكبائر.

- هذه الجملة وهي قول المؤلف: (وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْعَرْضِ، وَالْحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ).

الميزان: هو الميزان الذي توزن به أعمال العباد.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



[9] مسلم (١٨٢)





الدرس الثاني



الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- قول الطحاوي -رحمه الله: (وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْعَرْضِ، وَالْحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ).
- هذه الأمور تقدم الإشارة إلى أكثرها، وهذه الأمور تكون يوم القيامة، والواجب على المؤمن أن يُؤمِنَ بالغيبِ الذي أخبر الله -عزَّ وجلَّ- عنه، فلا يَحيد بتحريف، ولا بإنكار وتعطيل في القضايا التي أخبر الله -عزَّ وجلَّ- عنها، أو أخبر عنها رسوله -صلى الله عليه وسلم- فنؤمن بها كما جاءت في النُّصوص الشَّرعية، مُستَندين على كلام الله، وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم- لا ندخل في ذلك مُتأولين بآرائنا، ولا بمقاييسنا أو استحساناتنا؛ لأنَّ بعض المبتدعة حَرَّفوا هذه الأمور وأنكروها، أو أوَّلوها بتأويلات باردة فاسدة، وحجتهم: الاعتماد على عقولهم.
  - والعقلُ البَشري ليس هو الحكم الذي يُحتكم إليه فيما أخبر الله -عزَّ وجلَّ- عنه، فلهذا أهل السُّنة والجماعة يؤمنون بكل ما أخبر الله -عزَّ وجلَّ- به وبما أخبر به رسوله -صلى الله عليه وسلم- مما يكون بعد الموت.
- فالثَّوابِ والعِقَابِ أيضًا من الأمور التي تكون يوم القيامة، وقبل ذلك في القبر، وقد تقدم ذكر عذاب القبر ونعيمه، وكذلك الصِّراط، كما ذُكر في الكتاب والسُّنة الورود عليه، وما يتعلق بمن يسقط في نار جهنم -نسأل الله العافية والسلامة- ومن ينجو.



الميزان:

- الميزان من الأمور التي تكون يوم القيامة، فنؤمن به، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[الأنبياء: ٤٧]. يعني: الموازين التي يَظهرُ بها العَدل، ويَظهرُ بها كيفية إحصاء الله -عزَّ وجلَّ- على العباد أعمالهم.
- وفي سورة المؤمنون قال الله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾[المؤمنون ١٠٢ - ١٠٤]، قالك﴿فَمَن ثَقُلَتْ﴾ثم قال:﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾.

كُلُّ مِيزَانٍ مِن هَذه الموازين لـه كفتان، كفة للحسنات، وكفة للسيئات، فكفة الحسنات توضع فيها حسنات العبد، وكفة السيئات توضع فيها سيئات العبد.

- وهذا جاء في السنة موضحًا في أحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- مثل حديث صاحب البطاقة الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ»، هذا الشاهد، السجلات هي الذنوب، والبطاقة هي التوحيد توضع في كفة، إذن هناك كفة للحسنات وكفة للسيئات.
- قال: «فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»[١٠]، وفي رواية عند الترمذي: «فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»، وفي سياق آخر: «تُوضَعُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ، فَيُوضَعُ فِي كِفَّةٍ»[١١]، هناك قال: السجلات، وهنا قال: الرجل. وهذا فيه فائدة جليلة: وهي أنَّ الميزان يوزن به الصحف التي فيها الأعمال، فيجعل الله -عزَّ وجلَّ- هذه الصحف ثقيلة بحسب العمل، سواء كانت سيئات أو حسنات، أو يوضع الرجل نفسه كما هنا في هذا الحديث، قال: «فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ، فَيُوضَعُ فِي كِفَّةٍ».
- وفي صحيح البُخاري ومسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾»[١٢].
- أيضًا جاء عن ابن مسعود أنه كان يجتني السِّواك من الآراك، وكان دقيق السَّاقين -رضي الله عنه- فجعلت الرِّيحُ تكفأه لخفة وزنه ودقة ساقه، فالرِّيح صارت تُؤثر فيه، فَضَحِكَ القَومُ منه، فقال رسول الله

---

[١٠] جامع الترمذي (٢٥٨٢).
[١١] مسند أحمد (٦٨٨٩).
[١٢] صحيح البخاري (٤٧٢٩).

-صلى الله عليه وسلم: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟**». قالوا: يا نبي الله، مِن دِقَّةِ سَاقيه. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**»[١٣]، جبل أحد العظيم.

فهذا يدل على أنَّ العبدَ يوزن، ويكون له ثِقل في الميزان.

☑ **السؤال الأول: اتفقت كلمة الفقهاء على أنَّ الذي يوزن يوم القيامة هو أعمال العبد لا العبد نفسه.**

خطا

- وفي الحديث الآخر «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ**»[١٤]، وحديث أبي هريرة في الصحيحين من قول النبي -صلى الله عليه وسلم: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ**»[١٥].
- فالنُّصوص دَلَّتْ على أنَّ الصُّحف نفسها قد توضع، أو العامل نفسه، أو الأعمال تُقلَب إلى شيء له ثقل فيكون هذا في الميزان، وفي الحديث:«**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ**»[١٦]، فهذه الأشياء يجعلها الله -عزَّ وجلَّ- لها ثقل ولها وزن بحسب حال العبد وعمله -نسأل الله أن يوفقنا وإياكم وجميع إخواننا المسلمين.

❓ فإذا قال بعض المنحرفين: كيف هذا؟ والعقول ما تقبل هذا؟

- نقول: هذا لا مجال فيه لأن تعترض بعقلك، هذه أمور غيب، الله -عزَّ وجلَّ- أخبر بها وأخبر بها رسوله -صلى الله عليه وسلم- حتى إنَّ الشَّارح ابن أبي العز -رحمه الله- قال في شرح العقيدة الطحاوية في هذا الموضع: "فلا يُلتفت إلى مُلحدٍ مُعاندٍ يقول: إنَّ الأعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام" وقد قال في الرد عليه: "إنَّ الله يقلب الأعراض أجسامًا" كما تقدم.
- حتى الموت -وهو عرض- قال النبي -صلى الله عليه وسلم: «**يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ: خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ**»[١٧]، اللهم اجعلنا من أهل الجنة وأجرنا من النار.

يقول الشيخ: "فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبر الصادق -صلى الله عليه وسلم- من غير زيادة ولا نقصان".

- ويا خيبة مَن ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة ،والرد عليه: "وما أدراه بأن يكون من الذين لا يُقيم الله لهم يوم القيامة وزنًا"، ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عَدله -سبحانه- فيرى العباد

---

[١٣] مسند أحمد (٣٨٥٩).
[١٤] صحيح مسلم (٣٣٣).
[١٥] رواه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٤٨٦٦)، واللفظ لمسلم.
[١٦] سنن أبي داود (٤١٦٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٤١).
[١٧] صحيح البخاري (٤٣٨٦).

كلهم عَدل الله -سبحانه وتعالى- أمامهم، ويروا أعمالهم أمامهم، فيكيف يَستهزئ بهذا الأمر ويقول: البقال والفوَّال هو الذي يزن، أمَّا الله فيعلم!

- الله يعلم لا شك، ولكن مِن تمام عَدله ومن كمال رحمته وظهور عدله أن يَري العبادُ الصُّحف والموازين، فهذا كله رد على اعتراضات هؤلاء الملاحدة، وكما قال الله: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء: ٨٥]، يعني استحِ من نفسك أن تعترض على ربك، وتستدرك على ربك، مَن أنت؟!
- أنت مخلوقٌ ناقصٌ ضعيفٌ، عقلك محدودٌ، إذا هو أخبرك بأمور آمن بها، ولا تدخل فيها بالتحريف وبالقياس، فضلًا عمَّن يستهزئ بهذه الأشياء، فمن استهزأ بهذه الأشياء فقد كفر، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[التوبة ٦٥، ٦٦]، نسأل الله العافية والسلامة.
- فيه أبيات من الشعر أوردها الشَّارح، يقول:

وقد روى ابن أبي الدُّنيا عن ابن المبارك -وهو عبد الله بن المبارك أمير المؤمنين في الحديث- قيلإنَّه أَنشَد شعرًا، وابن المبارك كما أنه عالم في الحديث فهو عالم في الفقه، وعالم في أمور الدين، وأيضًا هو شاعر، وله شعر جيد، وله قصائد معروفة في السُّنة، والرَّد على الخَوارج، والرَّد على أهل البدع، وأيضًا هو من كبار المجاهدين في سبيلالله -مع ولاة الأمور طبعًا- وأيضًا هو من كبار المُنفِقِين المُتَصَدِّقين، حتى إنَّ بعض العلماء قال فيه: "جمعت فيه خصال الخير" رحمه الله.

وهذا من قصيدة رواها ابن أبي الدنيا عن ابن المبارك، قال:

قَدْ طَارَتِ الصُّحُفُ فِي الأَيْدِي مُنَشَّرَةً *** فِيهَا السَّرَائِرُ وَالأخبار تُطَّلع
فَكَيْفَ سَهْوُكَ وَالأَنْبَاءُ وَاقِعَةٌ *** عَمَّا قَلِيلٍ، وَلا تَدْرِي بِمَا تَقَعُ

يعني كيف سهوك في الدنيا وغفلتك وإعراضك الآن؟!

قال:

إِمَّا الْجِنَانُ وَعَيْشٌ لا انْقِطاع لـه *** أَمِ الْجَحِيمُ فَلا تُبْقِي وَلا تَدَعُ
تَهْوِي بِسُكَّانِهَا طَوْرًا وَتَرْفَعُهُ *** إِذَا رَجَوْا مَخْرَجًا مِنْ غَمِّهَا قُمِعُوا
طال البكا فلم يرحم تضرعهم *** فيها ولا رقة تغني ولا جزع
لِيَنْفَعِ الْعِلْمُ قَبْلَ الْمَوْتِ عَالِمَهُ*** قَدْ سَالَ قَوْمٌ بِهَا الرُّجْعَى فَمَا رَجَعُوا

نسأل الله -جل وعلا- أن نكون ممن يشفق من يوم القيامة ويستعد له.

- قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾[الطور:٢٦–٢٨].

{قال -رحمه الله تعالى: (وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا، وَلَا تَبِيدَانِ. وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَدْلًا مِنْهُ. وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ)}.

• هنا يقول: (وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا، وَلَا تَبِيدَانِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا)، ثم ذكر مسألة الإيمان بالقدر.

فهنا مسألتان:

❖ **المسألة الأولى:** متعلقة بالجنة، وهي الدَّار التي أَعَدَّها الله للمتقين، وفيها النَّعيمُ المُقيم، والنَّار أيضًا أَعَدَّها الله للكافرين، فعقيدة أهل السُّنة والجماعة هي: التصديق والإيمان بما أخبر الله -عزَّ وجلَّ- به، مِنْ أنَّ النَّار والجنَّة مخلوقتان موجودتان خلقهما الله قبل خَلْقِ الخَلْقِ، لقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ٢٤]، وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١]، وفي النَّار قال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[البقرة: ٢٤].

☑ **السؤال الثاني: مذهب أهل السُّنة والجماعة أنَّ الله تعالى خلق الجنة والنار قبل خَلْقِ الخَلْقِ.**

صواب

• لما عُرِج بالنَّبي -صلى الله عليه وسلم- قال الله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣]، يعني جبريل، قال: ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾[النجم: ١٤-١٥]، فالجنة مخلوقة، وقد رأى النَّبي -صلى الله عليه وسلم- الجنَّة ليلة الإسراء والمعراج، حتى قال: «فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا»[١٨]، ورأى النَّبي -صلى الله عليه وسلم- النَّار.

لِمَ هذه المسألة تُقال؟

لأنَّ بعض المبتدعة أنكروا وقالوا: إنَّ الجنَّة والنَّار ما تُخلَقَان إلا يوم القيامة، وأنهما ليستا موجودتين الآن! وهذا قول باطل، وهو قول أهل البدع وأهل الضلال.

• قال: (لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا، وَلَا تَبِيدَانِ)؛ لأنَّ الله -عزَّ وجلَّ- قال في النَّار: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧]، ذكر هذا في ثلاث مواضع في القرآن، وفي الجنة قال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ١٦٩]، في مواضع كثيرة. والذي يُخلَّد في النَّار هم الكفار، فيخلدون فيها أبد الآبدين، فلا يخرجون منها أبدًا، ولا ينقطع عذابهم، ليس هناك أمد، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة قاطبة.

ولا تفنى النار، ولا تفنى الجنة كما يقول الجهمية -قَبَّحَهُم الله؛ لأنَّ هؤلاء معطلة يُكذبون بما أخبر الله به، وبما أخبر عنه رسوله -صلى الله عليه وسلم.

☑ **السؤال الثالث: ذهب ...... إلى القول بفناء الجنة والنار.**

الخوارج – أهل السنة – الجهمية

• فالجنة والنار لا تفنيان، خالدين فيها أبدًا، لكنَّ أهل التَّوحيد إذا أُدخلوا النَّار بسبب ذنوبهم، إذا لقوا الله بالذنوب من غير توبة، فإنهم تحت المشيئة ويَغْفِرُ اللهُ ما دون ذلك لمن يشاء، فمن غُفِرَ له دَخَلَ الجَنَّة، وَمَنْ لم يُغفر له يُعذَّب، ثم يكون مآله إلى الجَنَّة، ولكنَّه لا يُخلَّد في النَّار خلود الكفار؛ لأنَّه مِن أهلِ

[١٨] أخرجه البخاري (٥١٩٧)، ومسلم (٩٠٧)، والنسائي (١٤٩٣)، وأحمد (٣٣٧٤).

التَّوحيد، ولكن قد يطول مُكثه، مثل القاتل: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [النساء:٩٣]، معنى الخلود هنا: طول المُكث، وليس معناه أنه لن يخرج منها.

- وكذلك الذي يَقتُل نفسه -ينتحر- جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه يدخل النار خالدًا مخلدًا فيها، وهذا معناه: طول المُكث لا أنه يُخلَّد خُلود الكفار، إنما الذي يُخلَّد في النَّار ولا يَخرج منها مُطلقًا هم الكفار، أمَّا أهل التوحيد فيكون مآلهم إلى الجنة.

☑ **السؤال الرابع: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا﴾ يدل على أنَّ القاتل يُخلَّد في النار حتى وإن كان مُوحدًا.**

خطأ

- قال: (وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ)، كما تقدَّم في الآيات ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، أُعدَّت: أي: فُرِغ منها.

والنُّصوص في هذا كثيرة، حتى في الأحاديث فهي كثيرة جدًّا عن النَّبي -صلى الله عليه وسلم- في بيان هذا المعنى.

- قال: (وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا)، أي: أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- خَلَقَ للنار أهلًا سيدخلونها، وخلق للجنة أهلًا سيدخلونها. هذا هو الإيمان بالقضاء والقدر.

☑ **السؤال الخامس: قوله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يدل على وجودها الجنة الآن.**

صواب

- قال: (فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ)، يعني: من شاء الله أن يكون من أهل الجنة فيدخل الجنة، لكن هل هذا بفضل العباد وقدرتهم؟

لا، هذا بفضل الله -عزَّ وجلَّ- قال النَّبي -صلى الله عليه وسلم: «لَا يَدْخُلُ أَحَدُكُمُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَفَضْلٍ»[١٩]، فمن دخل الجنة فبفضل الله -عزَّ وجلَّ- ولكن العمل سبب، لولا العمل لم يدخل، قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: ٤٩].

- قال: (وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَدْلًا مِنْهُ)، يعني: مَن شاء أن يكون من أهل النَّار؛ فإنَّه يصير إلى النَّار، وهذا عدلٌ وليس ظلم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف: ٤٩]. حتى وهم في النار قال الله -عزَّ وجلَّ- عنهم ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[الملك: ١١]، عرفوا أنهم مُستحقون لهذا؛ لأنهم كذَّبوا الرُّسُل، وفرطوا وتساهلوا وأعرضوا، وأخذوا بما تهواه أنفسهم واتبعوا الهوى وتركوا الهدى، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

- قال: (وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ)، يعني: أنَّ هذا الأمر قد فُرِغَ منه، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث المشهور، فكلٌّ قد قدَّر الله -عزَّ وجلَّ- عليه أنَّه مِن أهل الجنَّة أو من أهل

---

[١٩] مسند أحمد (٧٢٩٧).

النَّار، قال النَّبي -صلى الله عليه وسلم: «ما منْ نفسٍ منفوسةٍ، إلا كُتب مكانَها منَ الجنةِ والنارِ»[٢٠]، لكن أنت وأنا والثاني والثالث لا ندري، نسأل الله أن يثبتنا.

- إذا ثَبَتَّ على الإسلام وسرتَ على منهج النَّبي -صلى الله عليه وسلم- فهذا علامة أنك في طريق الجنة -فنسأل الله الثبات- ولا تَغْتَرّ بنفسك، فاسأل الله أن يُثَبِّتَك على الحقِّ وعلى الإسلام وعلى سُنَّةِ النَّبي -صلى الله عليه وسلم.
- وإذا كان العبد على الكفر وعلى الشِّرك وعلى الإلحاد؛ فهذا طريق النَّار، ولا نقول:إنَّه في النَّار؛ لأنَّه لا يدري، فنقول له: تُب إلى الله قبل الممات، إذا تبت رجعت إلى الجنة، وإذا استمررت على هذا ومِتَّ على الإلحاد والكفر وعلى الشرك فأنت في النَّار.
- قال: (وَكُلٌّ يَعْمَلُ)؛ لأنَّ لا أحد يعلم ماذا كُتبَ، فما يحتجّ أحدٌ بالقضاء والقدر، وقد تقدمت هذه المسألة، ولكن نعيدها لأهميتها:

الإنسان لا يحتج بالقضاء والقدر ويقول: أنا في الجنة أو في النار.

نقول: لا تُكذِّب الرُّسل؛ بل أطع الله وأطع رسوله -صلى الله عليه وسلم.

- قال: (وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ)، هذه الجملة تتعلق بالإيمان بالقضاء والقدر، يعني: نُؤمنُ بالقَدر كما أننا نُؤمنُ باليوم الآخر، فنؤمنُ بالقَدر خيره وشره، وكررها المصنف لأهميتها.

فالخير ينقسم إلى قسمين:

- خير ديني.
- وخير دنيوي.

- **فالخير الديني:** مثل الإسلام والصَّلاة والتَّوبة، وكثرة الذكر، والأعمال الصالحة، من حفظ القرآن، ونحو ذلك.
- **والخير الدنيوي:** مثل الصحَّة، والمال، والجمال، والزوجة الصالحة، والغنى، والولد، ونحو ذلك، فهذا خير دنيوي.

والشر عكس هذه الأمور،فكل هذه الأمور مقدَّرة على العباد، فنؤمن بالقدر خيره وشره، والخير عرفناه مثل خير الدين، الإسلام، الصلاة، التوبة،...، إلى آخره.

- والخير الدنيوي، مثل: الصحة، والعافية، ورغد العيش، والزوجة، هذا خير مُقدر.
- والعكس كذلك، فالشر مثل: الفقر، المرض، وإن كان المؤمن تَقَبَلَهُ بالصَّبر والرِّضا، فهي تكون له خير من ناحية ثانية، ولكن هي نقص، ومثل: الحوادث، والموت؛ فنؤمن بهذه الأمور كلها؛ لأنها مقدَّرة، ولكن نأخذ بأسباب السَّلامة، وأسباب النَّجاة، قال: (وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ).

؟ هل معنى هذا أنَّ الإنسانَ لا يُحاسب ما دام أنَّ الله قدَّر عليه هذا؟

[٢٠] صحيح البخاري (١٣٦٢)، مسلم (٢٦٤٧).

- نقول: الإنسان مُحاسَب على أعماله، وتُضاف إليه أعماله وإن كانت بقضاء الله وقدره، فالله قَدَّرها وخلقها، وشاءها كونًا، لكن يجب عليك أن تقوم بأمر الله وتنتهي عن نهيه، وأنت ستحاسَب على أعمالك؛ لأنَّ الله جعل لك قدرةً وجعل لك اختيارًا -يعني المشيئة- فالقدرة بها تتحرك، ترفع الكأس، تذهب إلى المسجد، أو يذهب بعض الناس إلى المسارح وإلى الفساد، وآخرون يذهبون للعمرة والصَّلاح والتَّقوى.
- فهذه الأشياء تُضاف إليك وإن كانت بقدر الله، فأنت خُذ بأسبابِ السَّلامةِ، خذ بأسباب النَّجاة؛ لأنَّها ستُضاف إليك، ويأجرك الله عليها، أو تأثَم وتؤاخذ عليها وتُحاسَب عليها، فما لك حجة، فهي مضافة للعبد كسبًا وتسبُّبًا، فيقال: العبد مُصلٍّ، وصائم، ومُتَصدِّق، وحاجّ، ومُعتمر.

  ويُقال على البعيد -أعاذنا الله وإياكم: سارقٌ، زانٍ، شارب خمر.
- إذن العمل وظيفة للفاعل -وهو العبد- فيُحاسب عليه، وإن كانت كل هذه الأمور بقدر الله، ولكن ليس هذا حجَّة له؛ لأنَّه فعلها بقدرته واختياره، والله -عزَّ وجلَّ- أقام الحُجة، فأرسلَ الرُّسل، وأنزل الكُتب، فهذا القرآن يُتلَى، وهذه سُنة الرسول -صلى الله عليه وسلم- فلا لأحد حُجَّة أن يحتج بالقدر، إنما يحتج بالقدر البطَّالون وأهل الضلال والبدع، وهؤلاء في الحقيقة لا حجَّة لهم.

☑ **السؤال السادس: أهل البدع والضلال يتركون العمل ويحتجون بالقدر.**

صواب

{قال -رحمه الله تعالى: (وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ الْمَخْلُوقُ بِهِ، تَكُونُ مَعَ الْفِعلِ، وَأَمَّا الاسْتِطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ، وَالْوُسْعِ، وَالتَّمَكُّنِ، وَسَلَامَةِ الْآلَاتِ، فَهِيَ قَبْلَ الْفِعلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الْخِطَابُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦])}.

- هذه الاستطاعة مسألة خاض فيها بعض الناس بالباطل، فاحتاج أهل السنة إلى تقرير المعنى الصحيح فيها.
- الاستطاعة والطاقة والقدرة والوسع؛ هل يَسعك هذا؟ هل تقدر على هذا؟ هذه العبارات ونحوها وردت في القرآن على نوعين:

  الأغلب الذي يعرفه المسلمون ويتداولونه ومعناه واضح: أنك تستطيع أن تصلي قائمًا، والآخر يقول: ركبتي لا تساعدني، فلا أستطيع القيام، وآخر يقول: أنا لا أستطيع القيام ولا القعود، أنا مريض على السرير.

  إذن استعملنا لفظ "أستطيع" في المعنى الذي يعرفه الناس.
- والاستطاعة عبَّر عنها الشيخ هنا فقال: (الصِّحَّةِ، وَالْوُسْعِ، وَالتَّمَكُّنِ، وَسَلَامَةِ الْآلَاتِ)، الآلات هي: ركبتيك، يديك، سمعك، بصرك، عظامك، جسمك إذا كان مريضًا أو صحيحًا.

  مثلًا الحج، استطاعته يكون بتوفر الزاد والرَّاحلة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[البقرة: ١٥٨]، يعني: عنده زاد وراحلة، وليس بمريض، فهو يقدر أن يركب ويمشي.

  فهذه الاستطاعة هي المعنى الذي يتعلق به الأمر والنهي.

- مثلًا نقول: الذي يستطيع أن يقف في الصَّلاة يجب عليه القيام؛ لأنَّ هذا ركنٌ من أركان الصَّلاة، فالقيام يكون مع القُدرة، والذي لا يستطيع يَسقط عنه، قال النبي -صلى الله عليه وسلم: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»[21]، ومنه قول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦]، هذا ما يتعلق به الخطاب، يعني: أوامر الله تعالى ونواهيه مُتعلقة بهذا المعنى، فمن عَجَزَ سَقَطَ عنه التَّكليف، فإذا عَجَزَ عَن الحَجِّ كأن لم يكن عنده مالٌ أو راحلةٌ، أو مريضٌ لا يستطيع أن يمشي إطلاقًا ولا يركب؛ فلا يجب عليه الحج؛ لأنَّ الخطاب مُتعلق بالاستطاعة.

؟ ما معنى الاستطاعة التي يجب بها الفعل؟

- هذا هو المعنى الثاني، يعني لو قُدِّر أنَّ إنسانًا سليمًا، وعنده كل الأمور التي يتمكن بها من الفعل، لكن هنا الإلهام والتوفيق والهداية سُلبت عنه، تجد بعض الناس يستطيع أن يُصلي، سليم وبه عافية، وما عنده أي مانع من الصَّلاة، ولكنه أخلد إلى النَّوم، وأخلد إلى الهَوى؛ فهنا هو مُستطيع من جهة تعلق الخطاب، فالقدرة موجودة، والتَّمكُّن موجود، لماذا لم يقع منه الفعل ما دام أنه مستطيع؟

نقول: لأن التوفيق قد رُفِعَ عنه؛ فخذل لأنَّه أعرض واتَّبع هواه.

- وهذا المعنى الثَّاني ورد أيضًا في القرآن، قال تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾[هود: ٢٠]، فيه ذَمٌّ للكفار، هل كانوا لا يسمعون مُطلقًا؟

لا، ليسوا صُمًّا، ولكن المراد أنهم لم يُوفَّقوا، خُذلوا واتَّبعوا أهواءهم، فصاروا لا يستطيعون السَّمع، وصار على قُلوبهم الرَّان، وصارت قلوبهم غُلف بسبب إعراضهم ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]؛ لأنهم بلغتهم الحجَّة وعرفوا الحق فأعرضوا عنه، هؤلاء قال الله عنهم: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾، ومثله قوله في سورة الكهف: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[الكهف: ٧٢] في موضعين، هو يستطيع الصبر، ولكن في هذا المقام لم يتمكَّن من هذا ولم يُوفَّق إلى هذا، وهذا أمر الله -سبحانه وتعالى- لحكمة بالغة قدَّرها الله -عزَّ وجلَّ- حتى يعرف العباد ما حصل بين موسى والخضر -عليهما الصَّلاة والسَّلام؛ لأنَّ الخِضر نبي على الصَّحيح.

☑ **السؤال السابع: مَن مَلكَ القدرة على العمل الصالح، ولم يؤده لهوى؛ فقد رُفِعَ التوفيق عنه.**

صواب

؟ ما الفائدة من هذه المسألة؟لماذا نقول "الاستطاعة التي يجب بها الفعل"؟

يعني: يتحقق بوجود الفعل، ويظهر الفعل.

إذن لابد فيها من أمرين:

- **الأمر الأول:** سلامة الآلات، والصحة، والوسع، والقدرة.
- **الأمر الثاني:** توفيق الله للعبد.

فبعض الناس سليم وطيب، ولكن ما وفقه الله، فلا يقع الفعل.

---

[21] صحيح البخاري (١٠٥٦).

- وهذه المسألة ضلَّت فيها طائفتان: المعتزلة وضالة الأشاعرة، فكلاهما عندهم الاستطاعة بمعنى واحد، وهذا غلط من هؤلاء وهؤلاء، والصَّواب هو التفصيل، فالاستطاعة فيها تفصيل:

إن كان المراد التمكُّن من الفعل بسلامة الآلات بالصحة والوُسع؛ فهذه الاستطاعة التي يتعلق بها الخطاب، ولا يجب بها الفعل، يعني: لا يجب أن يقع بهذا الفعل إلا إذا وفَّق الله العبد، وهذه هي الاستطاعة بالمعنى الثاني.

وقولنا هنا: "لا يجب بها الفعل"، أي: لا يجب الوقوع، وليس معنى الوجوب الشرعي.

- وهذا معنى قول الشيخ: (وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ)، يعني لابد من تحقق الفعل بها.

- قال: (مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ الْمَخْلُوقُ بِهِ)، الموفِّق هو الله، والعبد لا حول له ولا قوة إلا بالله.

- فالاستطاعة بالمعنى الأول تكون مع الفعل ومصاحبة له، وهذه الاستطاعة تكون بتوفيق من الله للعبد، ولهذا دائمًا علينا أن ننتبه لهذا المعنى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]، نستعين حتى على أمور الدين، ولهذا كان من أكثر دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[٢٢]، فنحن بحاجة إلى عون الله -عزَّوجلَّ- وإلا قد يُحال بينك وبين الطاعة بسبب ذنوبك، أو بسبب هواك، أو أصدقاء السوء، أو غير ذلك -نسأل الله العافية والسلامة.

- هذا معنى قوله: (وَالِاسْتِطَاعَةَ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ الْمَخْلُوقُ بِهِ)، لأنه ما يجوز أن يقول: أنا وفقت نفسي! فالتوفيق بيد الله -سبحانه وتعالى- فالله هو الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

- أمَّا الاستطاعة من جهة الصحَّة والوسع والتمكين وسلامة الآلات فهي قبل الفعل، يعني مثلًا الصلاة أو الحج، أو أي فِعل، فنجد أنَّ الإنسان إذا كان سليمًا، صحيح الجسم، آلات جسمه مثل أعضائه ونحو ذلك سليمة؛ إذن الفعل واجب عليه، لا يسقط عنه القيام، ولا تسقط عنه الصلاة، لأنه سليم، فما قبل الفعل تسمى الاستطاعة، والتي يغلب استخدامها في النصوص، حتى في كلام الناس.

{قال -رحمه الله تعالى: (وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ هِيَ خَلْقُ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ)}.

- هذه المسألة مُهمة، ويقصد بأفعال العباد: أفعال العباد الاختيارية، مثل: قيامك وقعودك، صلاتك، صومك، حجَّك، ومثل: البعيد الذي يزني ويسرق ويكفر؛ هذه تسمى أفعال العباد.

- حتى أفعالهم الأخرى، مثل: الشرب، والنوم، والقعود، والجري، والركض، والقفز؛ فهذه أفعال العباد، كل فعل يُضاف إلى العبد.

---

[٢٢] مسند أحمد (٢١٥٥٢).

- قال: (هِيَ خَلْقُ اللَّهِ)، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[فاطر: ٣]، فهذا خلق الله -سبحانه وتعالى- فلا يجوز أن نقول: إن العبد خلقه.

✓ أو كما يقول بعض المعتزلة: لم يخلقها الله -ويسكت!

✓ وبعضهم يقول: العباد هم الذين خلقوا أفعالهم.

وهذا كلام باطل! فالعبد مخلوق، ولا يُمكن أن يخلق شيئًا، فالخالق واحدٌ لا شريك له، خالق كل شيء.

☑ **السؤال الثامن: الراجح أنَّ العِبَادَ هُم الذينَ خَلَقُوا أفعالهم.**

خطأ

- وحتى تسهل هذه المسألة على الإنسان: كل أفعال الإنسان الاختيارية تنشأ عن أمرين لا ثالث لهما:

◆ **الأمر الأول:** قدرته.

◆ **الأمر الثاني:** مشيئته واختياره.

- الآن لو أنَّ إنسانًا عاجزًا، يده لا تستطيع أن تمسك شيء؛ فهل يستطيع أن يرفع الكأس ويشرب؟

لا، فلو كانت القدرة موجودة لاستطاع أن يفعل هذا.

فإذا مشى، أو طاف بالبيت فهذه تسمى بالقدرة، ولكن لا تكفي القدرة وحدها، فلابد من المشيئة والاختيار، والعزيمة على الفعل، فلو أنَّ الإنسان قادرٌ ولكنَّه لم يُرد هذا الشيء فإنَّه لا يقع الفعل.

؟ من الذي خلق فيك أيُّها الإنسانُ صفة القدرة على أفعالك، وصفة المشيئة لها والاختيار؟

الله -عزَّ وجلَّ- هو الذي خلق هاتين الصفتين، وما نتج عنهما فهو خلق لله تعالى.

- ومن الأمثلة التي توضح لك هذا: أن أفعالك هذه الناتجة عن قدرتك ومشيئتك مخلوقة -كما تقدم- كما أن لونك وطولك وعرضك، وكل ما فيك من عينٍ وأنفٍ ويدٍ، وكل ما فيك هو خلق الله تعالى، وأنت وجميع البشر كانوا نطفة، وقبل النطفة عدم، ثم هذه النطفة تطورت كما أخبر الله -عزَّ وجلَّ- في بطن الأم حتى خرج مولودًا ضعيفًا، ثم هذا المولود مَن الذي خلقه؟ ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، فأنت مخلوق لله.

- مع أنك لو قارنت بين جسمك الآن وجسمك يوم أن خرجت من بطن أُمِّك؛ فما فيه مقارنة! لكن هذه الأمور التي أوجدها الله -عزَّ وجلَّ- أوجدها فيك بقدرته، فهو الخالق لك ولكل ما ينتج عنك، فهي تُضاف إلى الله -عزَّ وجلَّ- ولذا قال: (وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ هِيَ خَلْقُ اللَّهِ تَعَالَى)، لكن ليس معنى هذا أنَّ الأفعال الاختيارية -أخرجنا الشيء الذي لا اختيار للإنسان فيه مثل: حركة المرتعش، فبعض الناس يصيبهم الرَّعَّاش، وبعض الناس يفعل أفعالاً في النَّوم، أو إذا فقد عقله، فهذه الأشياء مرفوع عنها القلم ولا يُلام- ولكن الأفعال الاختيارية التي يفعلها باختياره ومشيئته وقدرته؛ هذه الأفعال تضاف إلى العبد أيضًا كسبًا وتسبُّبًا، وتضاف إليه ثوابًا وعقابًا ومحاسبةً حتى بين الناس، فالناس لا يلومون العاجز الذي حصل منه

شيء بغير اختياره، فلو تبوَّلَ وأتلف الفراش لا أحد يلومه؛ لأنه عاجز، لكن لو كان مختارًا وأفسد عليهم ببوله فإنهم يلومونه، ويعاقبونه.

- فهذه أفعال اختيارية يُلام عليها العبد، ولهذا قال: (وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ)، يعني: تُضاف إليهم فيُحاسبون عليها.

إمَّا إلى الرَّب -سبحانه وتعالى- فتُضاف إليه خلقًا وإيجادًا، وهذا معنى هذه الجملة.

☑ **السؤال التاسع: أفعال العِبادِ الاختيارية تُضافُ إلى العبدِ كَسْبًا وتسبُّبًا، وثوابًا وعقابًا، وتضاف إلى الله تعالى خلقًا وإيجادًا.**

صواب

طبعًا ضلَّ فيها أقوام: الجبرية يقولون: العبد مجبور، وكل أفعاله مجبور عليها!

وكذبوا، وهم يعلمون أنَّهم كاذبون، ما فيه واحد من العقلاء يقول: إنَّ تصرفاته كلها مجبورٌ عليها، يعني: لو حَدَثَ خلافٌ بينه وبين شخص أخذ يحاسبه، ولو قال له: أنا مجبورٌ فلا يقبل، فكيف يقول في حق الله -عزَّ وجلَّ- هذا الكلام الذي يرفضه هو بنفسه؟!.

☑ **السؤال العاشر: ذهب ..... إلى أنَّ العبد مجبور وكل أفعاله مجبور عليها.**

الجبرية – القدرية – المعتزلة

ومقابل هؤلاء الجبرية؛ القدرية، الذين يقولون: أفعال العباد استقلُّوا هُم بها، ولا مَشيئة للربِّ عليها، ولا خلق له!

فنفوا عن الله عموم مشيئته وعموم خلقه، وقد ضلّوا في هذا كما ضلَّ الجبرية، قال الله تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩]، فقوله:﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ أثبت مشيئة العباد، ثم قال: ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾، أثبت عموم مشيئته، فغلبت مشيئته المشيئات كلها.

☑ **السؤال الحادي عشر: ذَهَبَ القدرية إلى استقلال العباد بأفعالهم، وأنَّه لا مَشيئة للربِّ عليها.**

صواب

؟ القدرية لما قالوا: إنَّ العباد خلقوا أفعالهم؛ أرادوا بزعمهم تنزيه الله -سبحانه وتعالى- عن أفعال العباد السيئة؟.

- نعم، هي شبهه نشأت عندهم، وهي قولهم: كيف يخلق المعصية، ثم يُعاقب عليها؟!

ونحن نقول لهم: إنَّ الله -عزَّ وجلَّ- لا شَكَّأنَّه خلق كل شيء، ومِن جُملة مخلوقاته ما يقع من المعاصي، ولكنَّ الله -عزَّ وجلَّ- لم يعاقبهم على أمرٍ ليس لهم فيه اختيار ولا مشيئة ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، فهم فعلوه باختيارهم وأرادوه.

ولهذا نقول للقدرية ولعموم الناس: القدر سر الله -عزَّ وجلَّ- فلا تخوضوا فيه، ولا تكشفوه، لماذا هدى هذا؟ ولماذا أضل هذا؟

- أمسكوا عن هذا، فإنَّ الله -عزَّ وجلَّ- عليم حكيم ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾، قال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[الأنبياء: ٢٣]، فلا يجوز أن نعترض على الله -سبحانه وتعالى- ولكن علينا أن نجتهد في

العمل، وأن ننصح للنَّاس حتى يعودوا إلى الصِراط المستقيم -نسأل الله أن يهدينا جميعًا وجميع إخواننا المسلمين.

{قال -رحمه الله تعالى: (وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُونَ، وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ: وَهُوَ تَفْسِيرُ: "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ": نَقُولُ: لَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا تَحَوُّلَ لِأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ اللَّهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ.

وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعِلْمِهِ، وَقَضَائِهِ، وَقَدَرِهِ: غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيَلَ كُلَّهَا، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا، تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سَوْءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[الأنبياء: ٢٣])}.

- هذه الجملة العظيمة، قال: (وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُونَ)، هذا صحيح، قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦].
- ومعنى (إِلَّا مَا يُطِيقُونَ)، أي: إلَّا ما يقدرون، فهل الله -عزَّ وجلَّ- كلفنا أن نحمل الجبال فوق رؤوسنا؟ هذا شيء ما نطيقه، فما كلفنا الله -عزَّ وجلَّ- بهذا؛ بل كلفنا الله -عزَّ وجلَّ- بما نطيقه، يعني: خمس صلوات في اليوم والليلة، بل لو هي خمسين لكانت في جملة ما نطيق، ولكن من رحمة الله جعلها خمسًا، وفي الثَّواب خمسين كما في حديث الإسراء والمعراج، فالله -عزَّ وجلَّ- من رحمته بعباده يسَّر العبادة، خمس صلوات في اليوم والليلة، هل تعجزهم؟ وحج مرة واحدة في العمر للمستطيع، والعمرة كذلك، فمن عَجَزَ سَقَطَ عنه هذا الفرض، وصوم شهر، ويصوم من طلوع الفجر إلى غروب الشمس فقط، وكذلك الزكاة.
- فالمقصود: أنَّ هذه الشريعة ليس فيها تكليف بما لا يُطاق؛ بل كل ما كلفنا الله وأمرنا الله به فهو مما نُطيقه، بل مِن رحمته سبحانه لو قُدر أنَّ بعض النَّاس عَجَزَ عن بعض الواجبات سقطت عنه.

مثال:

- ✓ واحد ما يستطيع أن يُصلي قائمًا فإنه يُصلي قاعدًا.
- ✓ ما يستطيعأن يُصلي قاعدًا يُصلي مضجعًا.
- ✓ واحد ما يستطيع أن يذهب للمسجد لمرضه يُصلي في البيت.

وهكذا، فهذا من رحمة الله -عزَّ وجلَّ.

- قال: (وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ)، وهذه الجملة فيها نظرًا، هو مراده أن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، لكن هل العباد لا يطيقون إلا مكلفهم الله؟

الجواب: يطيقون ما كلفهم الله وزيادة، فالله -عزَّ وجلَّ- رحيم بعباده.

- قال: (وَهُوَ تَفْسِيرُ: "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ")، هذه الكلمة العظيمة قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لأبي موسى الأشعري: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟، فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «قُلْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»[٢٣]، الله أكبر!

---

[٢٣] صحيح البخاري (٣٩٠٨)، صحيح مسلم (٤٨٧٩)، واللفظ لمسلم.

- هذه الكلمة هي كلمة استعانة وليست كلمة استرجاع، بعض النَّاس يجعلها استرجاعًا، فإذا جاءت مصيبة قال: "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ"، الاسترجاع يُشرع أن تقول فيه: "إنَّا لله وإنا إليه راجعون".

أمَّا قول: "لا حول ولا قوة إلا بالله"، فهي كلمة همَّة وعزيمة وتوكُّل على الله، وطلب التوفيق منه والإعانة على الطاعة.

☑ **السؤال الثاني عشر: قول: "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ" لا يُقالُ إلَّا عند حدوث المصائب فقط.**

خطأ

- ومعناها: قال: **(لَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا تَحَوُّلَ لِأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ اللَّهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ)**، ولهذا عندما يقول المؤذن: "حي على الصَّلاة.. حي على الفلاح" نقول: "لا حول ولا قوة إلا بالله"، يعني: قيامي وذهابي للمسجد بتوفيق الله، ولهذا فإنَّ الإكثار منها مِن أسباب إعانة العبدِ على جميع مَطالب الدِّين والدُّنيا.
- فهذا معنى قوله: **(وَهُوَ تَفْسِيرُ: "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ")** يعني: لا يُكلف الله نفسًا إلا وسعها، وأنَّ الله -عزَّ وجلَّ- يُعين العبد، فلا عون للعبد إلا بالله، ولا توفيق له إلا بالله، ولا انتقال له من مَعصيةٍ إلى طاعةٍ إلا بالله، فعلى العبدِ أن يرجع إلى الله -سبحانه وتعالى.
- قال: **(وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعِلْمِهِ، وَقَضَائِهِ، وَقَدَرِهِ)**، يعني: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.
- قال: **(غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا)**، يعني: لو شاء العباد شيئًا وشاء الله شيئًا؛ نفذت مَشيئة الله وبَطلت مشيئة العباد.
- قال: **(وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيَلَ كُلَّهَا)**، يعني: حيلتك أنت وفكرك واجتهادك وذكاؤك وحسن تدبيرك؛ غلبه قضاء الله، فكله بتدبير الله -عزَّ وجلَّ- فإذا أراد شيئًا أمضاه.

قيل لأعرابي: بمَ عرفتَ ربك؟

قال: عرفت ربي بنقض العزائم، وبعث الهمم.

أي: يكون عندي عزيمة على الشيء، ثم ينقضها الله -عزَّ وجلَّ، وما عندي همَّة على شيء ثم يبعث الله همَّة فأقوم به.

- قال: **(يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا، تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ)**، وهذه الجملة نشرحها في الدرس القادم -إن شاء الله تعالى.

والمقصود أنَّ هذه الجملة العظيمة في بيان أنَّ أفعال العباد مخلوقة لله -عزَّ وجلَّ- وأنها كسبٌ للعباد، وفيها ردٌّ على الجبريَّة والقدريَّة، وفيها وجوب التوكل على الله والاستعانة به.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.








الدرس الثالث



الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{سنشرع في هذه الحلقة -بإذن الله- من قول المؤلف -رحمه الله تعالى: (وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُونَ، وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ؛ وَهُوَ تَفْسِيرُ: "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ"؛ نَقُولُ: لَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا تَحَوُّلَ لِأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ اللَّهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ.

وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعِلْمِهِ، وَقَضَائِهِ، وَقَدَرِهِ؛ غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيَلَ كُلَّهَا، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا، تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء])}.

- هنا في قول الطحاوي -رحمه الله تعالى: (وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُونَ، وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ؛ وَهُوَ تَفْسِيرُ: "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ"؛ نَقُولُ: لَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا تَحَوُّلَ لِأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ اللَّهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ).
- هذه الكلمة العظيمة "لا حول ولا قوة إلا بالله" كنز من كنوز الجنة كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لأبي موسى الأشعري: «يَا عَبْدَاللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلَّا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»[٢٤].

[٢٤] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. زَادَ النَّسَائِيُّ: وَلَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

- فهذه الكلمة معناها عظيم جدًّا، وتدلُّ عليه معانٍ جليلةٍ، مِن أَجَلِّ هذه المعاني: التبرؤ من حول العبد وقوته وقدرته، والثِّقة بالله، والتَّوكل عليه والاستعانة به، وهذا هو تحقيق قول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [النساء:١٣١].
- فالمؤمن يَتوكل على الله في كل أموره وأحواله، ويَستعين بالله، ويرجع إليه، ويُفوض جميع الأمور إلى الله -سبحانه وتعالى- قال تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًّا.
- فالمؤمنُ لا يَثِق في نفسه، ولهذا فمن أخطاء بعض النَّاس أنَّهم يقولون: عليك أن تَثِقَ بنفسك؛ إنَّما المؤمن يثق بالله ويتوكل على الله، نعم هو يبتعد عَن الوَساوس وعن العَجز الذي حذَّر مِنه النَّبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: «وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ»[25]، فَمَا يُسَمَّى بـ "الثقة بالنفس" إن كان مُراد المُتَحدثين بهذا المصطلح أنَّ الإنسان يبتعد عن العَجز والوسوسة والتَّردد في الأمور الصَّالحة والنَّافعة؛ فَنَعَم، ولكن لا يُعبرون عنه بهذا التعبير، بل يُعبرون عنه بما يَدل عليه، أمَّا التعبير بمصطلح "الثقة بالنفس" فهو خطأ لا شك في هذا، وإنما الواجب أن نقول: "الثقة بالله، والتوكل على الله، وتفويض الأمور إلى الله -سبحانه وتعالى".

❑ **"لا حول ولا قوة إلا بالله"** كلمة استعانة، كلمة توكل، كلمة ثقة بالله، وركون إلى الله -عزَّ وجلَّ- وَمَن يَركَن إلى الله ويتوكل عليه ويثق به فقد هُدِيَ إلى صراط مستقيم، حتى الطَّاعات، حتى في الانتقال من الكفر إلى الإسلام، والثَّبات على الإسلام، حتى في الأرزاق، حتى في صلاح الأولاد وصلاح الأسرة، وغير ذلك مِن أُمُورك؛ فإنَّه لا حول ولا قوة إلَّا باللهِ العَلِيِّ العظيم -سبحانه وتعالى.

- ولهذا جاء في دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»[26]، فالإنسان إذا وُكِلَ إلى نفسه وُكِل إلى عَجزٍ وضعفٍ وتفرقٍ وهوانٍ، وإذا وُكِلَ إلى رَبه -جلَّ وعَلا- وُكِل إلى الغني الحميد، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [محمد: ٣٨].

فعلى المسلم أن يُكثِر من هذه الكلمة، وأن يتدبر معناها، وأن يعمل بمقتضاها.

قال: (كُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعِلْمِهِ، وَقَضَائِهِ، وَقَدَرِه).

- كل المقضيات وكل ما قدره الله -عزَّ وجلَّ- في هذا الكون فإنه يجري ويقع على حسب ما عَلم الله -عزَّ وجلَّ- وَكَتَبَ في اللوح المحفوظ، فكل هذه الأمور التي تَحْدُثُ في الكون هي تدبير العزيز الحكيم -سبحانه وتعالى.

---

[25] رواه مسلم (٢٦٦٤).
[26] أبو داود (٥٠٩٠)، وأحمد (٢٠٤٣٠)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ٣: ٢٥٠، وفي صحيح الأدب المفرد، ٢٦٠، وقد حسن إسناده أيضاً العلامة ابن باز في تحفة الأخيار، ص ٢٤.

- **وهنا مسألة مهمة**: وهي أنَّ مَا قَدَّره الله -عزَّ وجلَّ- وَقَضَاه لا يَعني بالضَّرورة أنَّه مَرضيٌّ لله -عزَّ وجلَّ- من جهة أنَّه شرع ودين، فقد قَدَّر الله -عزَّ وجلَّ- أن يقع الكُفر، وأن تَقع المعاصي؛ فهذه مسخوطة لله -عزَّ وجلَّ- ومبغوضة، قال تعالى: ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، ونحو ذلك من الآيات التي تدل على أنَّ الله لا يُحب هذه الأمور التي نهى عنها وَحَرَّمَها، وأبطلها، كالشِّركِ، والكُفر، والإلحاد، والفُسوق، والعِصيان؛ وإن كانت هذه الأمور تقع بقضاء الله وقدره الكوني، لكن لا يعني هذا رضاه عنها -سبحانه وتعالى.
- ولهذا يقول العلماء: المشيئة لا تكون إلا كونية، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

وكذلك القدر كوني، أمَّا القَضَاء والإرادة فقد ورد في النُّصوص الشَّرعية التعبير عنها مرة بما يُقصد به الأمر الكوني، وقد ورد ما يدل على أنَّ المراد به الأمر الشَّرعي، ولهذا أمثلة، ويمكن للمسلم الرجوع إلى القُرآن الكريم، وسيجد أنَّ لَفظَ القَضاء والإرادة وَرَدَ في كتاب الله على معنيين واضحين ظاهرين تمام الظهور.

- ❖ **المعنى الأول**: هو القدر بمعنى المشيئة، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦]، قضينا يعني: قَدَّرنا، فهذا بمعنى المشيئة.
- ❖ **المعنى الثاني**: تَرِدُ بمعنى الشرع، وهذا عكس الأول، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، يعني: أَمَرَ ووصَّى، فهذا جعله شرعًا.

- أمَّا قوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾، هذا قضاء كوني، وله نظائر في القرآن، وذكر الشَّارح على هذا أمثلة، ومنها: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]، القضاء هنا بمعنى المشيئة، الشيء الكوني الذي قَدَّره وأمضاه.
- وأمَّا القَضَاء الشَّرعي فمثل ما ذكرنا من قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، يعني: أَمَرَ ووصَّى، فبعض العباد لم يفعل هذا، وعَصَى الله -عزَّ وجلَّ- كالكافرين والمنافقين، ونحو ذلك.

كذلك الإرداة تأتي في كتاب الله بمعنى المشيئة، وتأتي في كتاب الله بمعنى المحبة والأمر المشروع.

- ○ فمن الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، هذا لكل المقادير، وهنا بمعنى المشيئة.
- ○ ومثال الثاني في معنى الإرادة: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، يعني: شرع لكم اليُسر، ولم يشرع العُسر، فهذه الإرادة الشرعية الدينية بمعنى المحبة.

وهذا له نظائر في كتاب الله وفي سُنَّةِ رسول الله -صلى الله عليه وسلم.

بعض الألفاظ مثل: "الإرادة، والقضاء، والأمر، والإيحاء، والكتابة، والإرسال، والكلمات، والإذن، والحكم، والتحريم" تَرِد مرة بمعنى المشيئة فيكون معناها الشيء المقضي المقدر، وَتَرِد مرة بمعنى المحبة، فيكون معناها الشيء المشروع المحبوب لله -عزَّ وجلَّ- وهذا يُعرف بالسياق ومراجعة كلام العلماء.

- هذا التعليق على قوله: (وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعِلْمِهِ، وَقَضَائِهِ، وَقَدَرِهِ).
- قوله: (قَضَائِهِ) القضاء يأتي مرة كونيًا بمعنى المشيئة، ويأتي مرة شرعيًا بمعنى المحبة.

سؤال: هل المشيئة تأتي مرة بمعنى الشيء القدري الكوني، وتأتي بمعنى الشيء الشرعي المحبوب؟

نقول: لا، المشيئة في كتاب الله وفي سُنَّة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا تأتي إلا بمعنى واحدٍ وهو الكوني القدري.

كما أنَّ المحبة -في المقابل لهذا- ما أحبه الله ورضيه، ولا يلزم أن يكون بمعنى المشيئة -الشيء المقدر الكوني- إنما يكون أمر شرعي محبوب لله -عزَّ وجلَّ- ولا يكون بمعنى المشيئة، ولا بمعنى الأمر القدري الكوني.

هذه المسألة بعض الناس زلَّ فيها وغلط غلطًا شنيعًا، ولكن إذا تدبرت الآيات عرفت.

- نأخذ على هذا مثالًا: في سورة البقرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣]، عبر بلفظ "الكتابة" فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ﴾.
- وقال تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [فاطر: ١١]، هنا قال: ﴿كِتَابٍ﴾.
  - الآية الأولى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾، أي: شُرع، ولكن هل كل الناس صاموا؟

    لا، منهم مَن صام، ومنهم مَن لم يَصُم، المؤمنون صاموا، والكفار أعرضوا.
  - الآية الثانية: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾، هذا الكتاب هو اللوح المحفوظ، جميع العباد دخلوا فيه بدون استثناء، إذن هذا أمر كوني، أمَّا ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ فهو أمر شرعي ديني، محبوب إلى الله -عزَّ وجلَّ- وأمر به وأوجبه على العباد، وهكذا قِسْ على هذا.
- قال المؤلف: (غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا)، مشيئة الله نافذة، بخلاف مشيئة المخلوقين فإنها غير نافذة، يعني: ما شاءه الله لابد أن يقع، لا يمكن أن يحول أحد بين مشيئة الله وبين وقوعها، فما شاءه الله كان -يعني: حصل ووجد- وما لم يشأ لم يكن، ولو اجتمع العباد كلهم على أن يردوا مَشيئة الله عجزوا، فمشيئة الله غالبة، وهذا معنى قوله: (غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا).
- قال المؤلف: (وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ)، يعني: قدر الله. (الْحِيَلَ كُلَّهَا)، ولهذا فتوكل على الله، فلو اجتمع من في السَّماوات والأرض على أن يكيدوا لك بأعظم الكيد وأراد الله -عزَّ وجلَّ- أن يُنجيك؛ جعل الله لك فرجًا ومخرجًا، والحمد لله رب العالمين، فمن توكل على الله كفاه، وهذا فيه حديث عبد الله بن عباس: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[٢٧]، فتوكل على الله.

---

[٢٧] روى الترمذي (٢٥١٦) وصححه، وقال ابن رجب: عن طريق الترمذي هذه: "حسنة جيدة" انتهى من "جامع العلوم والحكم" (١: ٤٨٣)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

- قال المؤلف: (يَفعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبْدًا، تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سَوْءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾).
- هذا كما قال الله -عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، وقال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].
- في قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، الإرادة هنا كونية قدريَّة؛ لأنَّها تابعة للمشيئة، فما شاءه الله وَقَعَ وفعله، فما من أحد يرد قدر الله، لا معقب لحكمه، ولا رادَّ لقضائه -سبحانه وتعالى.

بخلاف العباد، فلو شاؤوا شيئًا ولم يشأ الله هذا الشيء؛ لم يكن، فما شاءه الله -عزَّ وجلَّ- وُجِدَ وكان.

- ثم قال: (وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبْدًا) الله -عزَّ وجلَّ- تنزَّه عن الظُّلم، ونزَّه نفسه عن الظُّلم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]، والآيات في هذا المعنى كثيرة. فالله -عزَّ وجلَّ- تنزَّه عن الظلم، لا يظلم ربك أحدًا.
- وفي الحديث القدسي الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي ذر الغفاري -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا».

إذن هذا الظُّلم نزَّه الله نفسه عنه وحرَّمه على نفسه، ولا يقع مِنَ اللهِ -عزَّ وجلَّ- هذا الظُّلم لكماله، ولكمال عَدْلِه، وهذه من الصفات التي تُنفَى عن الله -عزَّ وجلَّ، وتسمى بالصفات المنفيَّة عن الله، وهذه الصفات يَقتضي نفيها إثبات كمال ضدها، كما دَلَّت على ذلك النُّصوص.

ما ضد الظلم؟

- العدل، إذن لا يَظلم رَبُّكَ أحدًا لكمال عدله، ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] لكمال حياته وقيُّوميَّته، ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، لكمال قوَّته وقدرته، وهكذا..
- فهذه الصفات المنفية عن الرَّب -سبحانه وتعالى- نُفيَت عن الله -عزَّ وجلَّ- لكمال ضدها؛ لأنَّ الله مُتَّصفٌ بالكمال المطلق. وهذا معنى قول المؤلف: (وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبْدًا)، يعني: أفعال الله -عزَّ وجلَّ- لا يقع فيها الظلم، فيما هو مُضافٌ إلى الرَّب -عزَّ وجلَّ.
- لكن قد يظلم العباد بعضهم بعضًا، وبعض الناس قد يظلم نفسه، وأظلم الظُّلم وأخبثه وأقبحه هو الشِّرك بالله -عزَّ وجلَّ- قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، فالعبد يظلم نفسه، ويظلم غيره، وقد يقع منه الظلم لربِّه عندما يعبد غير الله -عزَّ وجلَّ- ويُشرك في عبادة الله.

ولهذا فالعباد فيهم هذا النقص العظيم، حَتَّى أَكمَل النَّاس وهم الصَّحابة -رضي الله عنهم- عَلَّمَهُم النَّبي -صلى الله عليه وسلم- أن يدعوا بهذا الدعاء، "

- فَعن أَبي بكْرٍ الصِدّيق -رضي الله عنه، أَنَّه قَالَ لِرَسولِ اللَّه ﷺ: عَلِّمني دُعَاءً أَدعُو بِهِ في صَلاتي، قَالَ: «قُلْ: اللَّهمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كثِيرًا، وَلا يَغفِر الذُّنوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِر لي مغْفِرَةً مِن عِندِك، وَارحَمْني، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفور الرَّحِيم»"[٢٨].

- فالعبد يَقع مِنه الظُّلم لنفسه وهو لا يشعر، مثل: من لا يقوم بشكر النِّعَم كما ينبغي، أو يقع في الذنوب وهو لا يشعر، وهذا ملازمٌ للإنسان من حيث هو إنسان، ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢]، لكن إذا آمَن وأسلَمَ قَلَّ ظُلمه، ومن قوي إيمانه كَادَ الظلم أن يَتَلاشى، ولهذا كان المؤمن مأمورًا بأن يتوب إلى الله -عزَّ وجلَّ- ويستغفر، ولهذا دعاء سيد الاستغفار كما في حديث شداد بن أوس: قال النبي -صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»[٢٩]، انتبه لهاتين الناحيتين:
  - ✸ الاعتراف بالنِّعم، والقيام بشكرها.
  - ✸ الذنوب التي يقع فيها.

- قال -صلى الله عليه وسلم: « أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ».

- فعندما يُقصر الإنسان في شُكر النِّعم فهذا نوع من أنواع الظُّلم، أو عندما يقع في الذنوب فهذا نوع من أنواع الظُّلم، ولكن هذا الظُّلم لا يُنافي الإيمان، بل يجتمع مع الإيمان، ويجمتع مع صفات الصِّديقين إذا قلَّ، فالصديق يقع منه هذا الشيء ولكنه قليل جدًّا، وهو مع ذلك مأمور بأن يرجع إلى الله؛ بل حتى الأنبياء والرسل، قال النبي -صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»[٣٠]، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه.

❑ **فكلَّما زَادَ عِلمُ العبد بربه كُلَّمَا زادَ تعظيمه لله، وَزَادَ شُكره لله -عزَّ وجلَّ- وزادت عبادته لله، وزاد قيامه بحق الله، وهذا معنى الإحسان، والناس في هذا على مراحل.**

- قوله: (يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا) هنا ضلَّت طائفتان في مسألة الظلم:

❖ الطائفة الأولى: المعتزلة والقدرية وما شابههم، قالوا: كلُّ ما كان ظُلمًا مِنَ العِباد فيما بينهم فهو ظلم في حَقِّ الرَّبِّ.

---

[٢٨] متَّفَقٌ عليه.
[٢٩] متفق عليه
[٣٠] رواه مسلم

فقاسوا الخالق على المخلوق، حتى إنهم ضربوا أمثلة في كتبهم، وأعيذكم بالله أن ترجعوا إلى كتبهم أو أن تنظروا فيها، فإنَّ كتب أهل البدع كتب ضلال، وكتب سموم، يجب الحذر منها وإتلافها والبعد عنها، ولكنهم هم في ضلالاتهم يقولون: إذَا أَمرض السَّيد عبده بكذا؛ فهذا قبيح منه وظلم منه لعبده، إذا قال: كذا وكذا...، إذن فالرب -عزَّ وجلَّ- إذا قال لعباده: كذا...، فيقيسون الخالق على المخلوق! وهذا من جهلهم وضلالهم. ويقولون: ما كان من بني آدم ظلمًا وقبحًا فهو في حق الله ظلم قبح، ويقيسون الرَّب الغني القادر على العبد الفقير العاجز النَّاقص من كل وجه.

هذا المعنى الفاسد ألجأهم إلى ضلالات كثيرة، مِن ضمنها أنهم قالوا: إنَّ الله لم يخلق أفعال العباد، فنفوا عموم خلقهم، والله -عزَّ وجلَّ- هو خالق كل شيء، أفعال العباد وغيرها مخلوقة لله -سبحانه وتعالى.

والرد عليهم بأن نقول:

- **أولًا:** لا تقيسوا الخالق على المخلوق، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].
- **ثانيًا:** نقول لهم أيضًا: إنَّ إلزاماتكم التي تُلزمون بها مَن تناقشونهم أو تجادلونهم غير لازمة؛ لأنَّ الحِجج ليست في عقولكم ولا في أقيستكم، إنما الحجج في كلام الله، وفي كلام رسوله -صلى الله عليه وسلم.
- **ثالثًا:** نقول لهم: إنكم التزمتم بهذا القول الفاسد بلوازم باطلة، منها:
  - ☑ إنكار عموم خلق الله لأفعال العباد وغيرها
  - ☑ أنكم وضعتم في باب القدر وضللتم فيه.

❖ **الطائفة الثانية:** في المقابل لهؤلاء قالوا: الظُّلم عبارة عن الشيء الممتنع، وهو أن يتصرف في غير ملكه، والله -عزَّ وجلَّ- له كل شيء، فأي تصرف يقع من الله -عزَّ وجلَّ- فليس بظلم. وهذا هو قول الأشاعرة والجبرية.

إذن هُم ضَلَّوا في الظُّلم أيضًا؛ لأنَّهم جَعلوه كأنه يتصرف في غير ملكه، وهذا غلط، والتزموا لهذا لوازم فاسدة، مثل قول بعض الأشاعرة:

إنَّ الله يجوز له أن يعذب أنبياءه ورسله ويدخلهم النار!

نستغفر الله ونتوب إليه، مع أنَّ القرآن والسنة فيهما بيان مكانة الرسل والأنبياء.

يقولون: يجوز ذلك؛ لأنَّ الله يملك الشَّيء، فإذا فعل ذلك فليس بظلم!

سبحان الله! هذه الضلالات يَنبَني عليها أقوالاً فاسدةً كثيرة، ولا نُريد أن نُعدِّدها، ولكنك تَعرِف قُبح القول من بعض أمثلتهم.

أمَّا عند أهل السُّنَّة والجماعة فالظلم ليس بهذا المعنى الذي عند المعتزلة، وليس بالمعنى الذي عند الأشاعرة، فمعنى الظلم في كتاب الله -عزَّ وجلَّ- وفي سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم: هو أن يُنتقَص من

حسنات العبد، أو يُجعل عليه مِن سيئات غَيره من غير أن يعملها، وهذا معنى قوله: ﴿فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]، ولهذا قالوا في الظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه.

- قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]، فلا ينتقص الله -عزَّ وجلَّ- من حسناتك أبدًا، ولا يضع الله عليك من سيئات غيرك مما لا تفعله، وليس لك سبب فيه. فهذا هو معنى الظلم.
- أمَّا أن نقول: إنَّ الظُّلم هو تصرف في غير مُلكه؛ لا. فالله -عزَّ وجلَّ- له أن يتصرف بما شاء، ويفعل ما يشاء، ولكنه أخبر سبحانه عن نفسه فقال: «إني حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فلا تَظَالَمُوا»[٣١]، فهل يجعل أولياءه مثل أعدائه! ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، هل يُدخل أنبياءه ورسله النَّار -كما يزعمون؟!

هذه كلها أقوال فاسدة وسيئة جدًّا، ولها لوازم باطلة.

- أمَّا حديث «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ، وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ»[٣٢]، فليس فيه جواز أن يُدخلهم النَّار، ولكن هذا في بيان أنَّ أعمالهم لا تقوم ولا تقابل رحمته، وأنَّه لو قدَّر أنَّه يُعذبهم فهو لا يَظلمهم -عزَّ وجلَّ- من جهة أنَّ الذنوب التي عملوها ووقعت منهم؛ فالله -عزَّ وجلَّ- يعذبهم بها، وهذا الأثر في سنده مقال، ولكن هذا معناه أنَّ نِعَمَه على عبادهِ أكبر من حسناتهم وأعمالهم؛ لتقصيرهم في الشُّكر أو إسرافهم على أنفسهم بالذنوب؛ فلو عرف حق الله وقدره، وهو أن يُطاع فلا يُعصَ، ويُذكَر فلا يُنسَ، ويُشكر فلا يُكفر، ويكون له كمال الحب والإنابة والعبودية على وجه الكمال؛ فهذا مقدور في الجملة، ولكن النفوس قد تضعف عن كماله وواجباته.

على كل حال: فالمؤمن عليه دائمًا أن يعترف بنقصه، وأن يتذكر حاجته إلى ربِّه، وأنَّ الله هو المتفضل عليه، حتى إذا عمل الصَّالحات تذكر فضل الله عليه.

- ونضرب لذلك أمثلة: في قوله -سبحانه وتعالى- عن موسى: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، فتذكر افتقارك لله -سبحانه وتعالى- وتذكر حاجتك إلى الله -سبحانه وتعالى- في كل الأمور. فإذا كان أبو بكر -رضي الله عنه- يُعلَّم أن يقول: «اللَّهمَّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كثيرًا، وَلا يَغْفِر الذُّنوبَ إلاَّ أنْتَ، فَاغْفِر لي مغْفِرَةً مِن عِنْدِكَ، وَارحَمْني، إنَّكَ أَنْتَ الْغَفور الرَّحِيم»، فما بالك بمن دون أبي بكر -رضي الله عنه- وهو أفضل هذه الأمة!
- ولهذا كان من الجرائم أن يستكبر الإنسان على الله -سبحانه تعالى- ويرى نفسه فوق الاستغفار، وأنه لا حاجة له لأن يستغفر، ولا حاجة له لأن يتوب إلى الله، ولذا خطب النبي -صلى الله عليه وسلم- في الناس وقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[٣٣]، فاللهم صلِّ وسلم عليه.

---

[٣١] رواه مسلم عن أبي ذر الغفاري

[٣٢] رواه أحمد (٢٤١).

[٣٣] رواه مسلم (٢٧٠٢)

فهذا هو الواجب على أهل الإسلام، أن يعترفوا بفضل الله عليهم، وأن يرجعوا إليه، وأن يُكثروا من الاستغفار والتوبة، وأن يتذكروا أيضًا نِعم الله -سبحانه وتعالى:

قال المؤلف: (تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سَوْءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ).

- يعني: أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- مُقدَّس عن كل النَّقائِص، وأنَّ الله نَفَى عَن نفسه كل نقصٍ، وكل سوءٍ كذلك، وهذا معنى اسم الله تعالى: "القُدوس"، يعني: المنزَّه عن كل عَيبٍ ونقصٍ -سبحانه وتعالى.
- قال المؤلف: (﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾)، يعني أن الله -سبحانه وتعالى- لكمال عدله، ولكمال صفاته، ولكمال أسمائه الحسنى؛ فإنَّه -سبحانه وتعالى- لا يحق لأحد من العباد أن يتعقَّبه، وأن يعترض عليه، ويقول: لماذا فعل الله كذا؟! ولماذا كذا؟!! لا، الله -عزَّ وجلَّ- له الكمال المطلق، فلا يُسأل عما يفعل.
- بخلاف العباد فهم يُسألون، تقول: لماذا صنعت أنت اليوم كذا؟ لماذا فعلت كذا؟ فلا بأس أن يُسأل العبد ويُحاسب، ولكنَّ الرَّب -سبحانه وتعالى- لا يُسأل، فلا أحد يعترض على الله تعالى؛ لأنَّ أفعال الله كلها أفعال كمال، وصادرة عَن عِلمٍ وَحِكمَةٍ وعدلٍ، ورحمةٍ، وإحسانٍ، فكون بعض العباد لا يُدرك الحكم، ولا يُدرك الغايات العظيمة والفوائد الجسيمة؛ فكونها لا يدركها لا يعني هذا أنها غير موجودة، ودائمًا العباد فيهم جهل وقصر نظر، فلا يُدركون المآلات، ولهذا رب العالمين بيَّن كماله، وهو أنَّه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

هل معنى قوله: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾، أنَّ أفعال الله لا تُعلَّل؟ يعني: ليس لها حكمة؟

- نقول: لا، أفعال الله -عزَّ وجلَّ- مبنيَّة على العلم والحكمة، ولكن العباد لا يُحيطون بها، ولا يُمكن أن يُحيطوا بها. ويحيطوا، أي: يُحصوا -ولا عشر معشارها، فأفعال الله كلها علم، وحكمة، ورحمة، وعدل، وإحسان، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

ولهذا فإنَّ الله إذا فعلَ شيئًا فإنَّه يكون في موضعه، بخلاف العبد، فأفعال العباد حتى لو كانوا في الجودة والإتقان ما شاؤوا إلا أنهم يقع منهم النقص، ويقع منهم الخلل، ويقع منهم الغلط.

وحتى المقاصد عند العباد، عندهم ظلم، وحسد، وكبر؛ ولهذا يقع فيهم التناقض والاضطراب، أمَّا الرب -سبحانه وتعالى- فإنه له الكمال المطلق، ولا يمكن أن يكون في أفعاله -سبحانه وتعالى- نقص ولا خطأ، فهو مُنزهٌ عن ذلك -جل جلاله وتقدست أسماؤه.

{قال المؤلف -رحمه الله تعالى: (وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلْأَمْوَاتِ. وَاللهُ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ. وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ)}.

- قوله: (وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلْأَمْوَاتِ)، هذه مسألة فقهية ولكن لها ارتباط بالعقيدة، وهي دعاء الأحياء هل يصل للأموات؟ وكذلك هل تصل صدقات الأحياء للأموات؟

الحيُّ في الدنيا قبل أن يموت إذا دعا للأموات سواء لوالديه، أو دعا لمن مات من أقاربه، أو دعا لعموم المسلمين؛ هل يصل نفع ذلك الدعاء للميت؟

- نعم، من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ دعاء الأحياء ينفع الأموات، وكذلك الصدقات، طبعًا هذه دعوات شرعًا، وجاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلا مِنْ ثَلاثٍ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[٣٤]، فالصدقة الجارية مثل: بناء مسجد، أو حفر بئر، أو مصحف، ونحو ذلك مما يبقى ويجري أجره على الميت.

الثاني: العلم الذي يُنتفع به، يعني علَّم طلابًا فصار هؤلاء الطلاب يُدرسون الناس ويعلمونهم أحكام الدين، ويفقهونهم في دين الإسلام، أو وضع كتابًا نافعًا جمع فيه ما يُفيد المسلمين في دينهم.

- «أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»، فهذا بيَّن أنَّ الدُّعاء من عمل الإنسان لا ينقطع، فإذا مات انقطع عمله، كان يُصلي الصَّلوات الخمس، كان يتصدق، وكان يفعل كذا وكذا، بموته انقطعت هذه الأعمال، ولا يُضاف إلى حسناته شيء، ولكن هذه الثَّلاث تُضاف إليه، ويكون له أجر وثواب وحسنات بسبب هذه الثلاثة.

- وقد بيَّن الله -عزَّ وجلَّ- أنَّ هذا نافعٌ فقال في الصنف الثالث من المهاجرين والأنصار: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

- قوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾ لو كان قوله: ﴿وَلِإِخْوَانِنَا﴾ لا فائدة فيه، ولا يصل منفعته لهم؛ لكان لغوًا، ولم يمدحهم الله بهذا!

فعُلم أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- مدحهم بهذا؛ لأنَّ سؤالهم المغفرة لمن مات مِن إخوانهم دليلٌ على أنهم ينتفعون به، وهذا يدل على أنَّ دُعاء الأحياء ينفع الأموات.

وكذلك الصدقات، جاء في السُّنَّة عن النَّبي -صلى الله عليه وسلم- أنَّ أحد الصَّحابة قال: إِنَّ أُمِّي افْتَلَتَتْ نَفْسَهَا وَأَرَاهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « نَعَمْ »[٣٥].

فالصدقة على الميت -خُصوصًا للوالدين- تنفعهم وتصلهم -بإذن الله تعالى- ويكون لهم الأجر والثواب، كما أنَّ هذا الابن البار -أو البنت البارة- له أجر البر والإحسان، وربك واسع الرحمة والجود، فيعطي الميت من والدٍ أو والدة -أو كلاهما- ويعطي أيضًا الثواب والأجر لهذا الولد البار، أو لتلك البنت البارَّة.

- وكذلك جاء في هذا المعنى: الحج والعمرة عن الميت، فثبت في السنة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «حُجَّ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ»[٣٦]، فيمن مات أبوه وأراد أن يحجَّ عنه.

- وكذلك الصوم، قال النبي -صلى الله عليه وسلم: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ»[٣٧]، وبعض أهل العلم يجعل هذا خاصًّا بالنذر، وهذا منقول عن الإمام أحمد -رحمه الله.

  ⊙ **بعض أهل العلم يوسِّع ويقول:** هو في كل صوم تعلق بالذمة، سواء كان نذرًا أو كفارة، ونحو ذلك.

---

[٣٤] رواه مسلم (٤٢٦)
[٣٥] البخاري (٢٦٠٩)
[٣٦] متفق عليه.
[٣٧] رواه البخاري (١٨٥١)

⦿ **وبعضهم يقول:** سواء في النذر أو غير النذر، كصيام الفريضة.

ولكن المشهور والمُرجَّح عند كثير من أهل العلم: أنَّه في صيام النذر أو ما تعلقت به الذِّمَّة من كفارات ونحوها.

لكن غير هذه الأعمال -الدعاء، الصدقة، وصيام النذر، والحج والعمرة- هل يصل أول لا؟

- **مثال ذلك**: أن يُزكِّي عنه، أو يُصلي عنه صلاة الفريضة أو النَّافلة، أو يُسبِّح عنه -يقول سبحان الله- أو يقرأ القرآن عنه؛ فهل هذا يصل؟

هذه القُرَب اختلف الفقهاء في وصول أجرها وثوابها للأموات، والصحيح -والله أعلم: أنه يُقتَصر على ما ورد به النَّص.

وبعض الناس يجعل مُقرئين يَقرؤون القُرآن على الميِّت، فإذا مات ميِّتهم قالوا: نأتي بمقرئ يقرأ القرآن، ويُعطون هذا المقرئ أجرةً ومالاً، فسبحان الله!

حُرِمُوا منَ السُّنة ووقعوا في البدعة، فبدلًا من أن يفعلوا السُّنَّة وهي الصدقة عن الميت أتوا بمقرئ يأخذ أجرًا على قراءته، فصار هذا المقرئ لا ثواب له؛ لأنَّه أراد أَمرَ الدُّنيا أو مالًا دنيويًّا، ولا يريد أجرًا أُخرويًّا، وهم أيضًا فعلوا بدعة لم يفعلها خير هذه الأمة، وهم الصَّحابة -رضي الله تعالى عنهم.

فهذه المسألة أوردها أهل العلم في العقيدة؛ لأنَّ بعض الفلاسفة يُنكر أثر الدعاء، وكذلك بعض ضلال الصوفية، وبعض القدرية، يقولون: ما الفائدة مِنَ الدُّعاء إذا كان الله قَدَّر الشيء فيقع؟!

- نقول: هناك فائدة من الدعاء، الله -عزَّ وجلَّ- أمر بالدعاء، فقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وأنَّ الله -عزَّ وجلَّ- رتَّبَ المسببات على أسباب، ومن أعظم الأسباب: الدعاء.

والأموات بحاجة إلى الدعاء، ولذلك ندعوا الله -عزَّ وجلَّ- للأموات كما ندعوا للأحياء، وندعوا للأنفسنا قبل ذلك.

- هذا معنى قوله: **(وَاللهُ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ)**.

ما كيفية الصدقة؟ هل تكون مطلقة؟ أو عند القبر؟.

- الصَّدقة على الميِّتِ لا تُشرع عند القبرِ، فبعدما يُدفن الميت يُستغفَر له فقط، ولا يُتصدَّق عند القبرِ، وهذا من الأدلَّةِ على نفعِ الدُّعاءِ للميِّتِ، وهو قوله -صلى الله عليه وسلم: **«اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَاسْأَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»**[٣٨]، فالنَّبي -صلى الله عليه وسلم- يُوحى إليه، وهو يعلم متى يُسأل، فقال **«فَإِنَّهُ الآنَ»**، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- يعلم من جهة الوحي، أما أنا وأنت والثَّاني والثَّالث ما نقول "فهو الآن"؛ بل نقول: "استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت"، هل يُسأل الآن أو قبل قليل أو بعد قليل؟! الله أعلم!

---

[٣٨] سنن أبي داود (٣٢٢١)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود .

- فقوله «فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ» خاصٌّ بالنَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- فإذا جئت تُذكِّر إخوانك بعد الدَّفنِ تقول: "استغفروا لأخيكم واسألوا الله له التثبيت".
- قال: (وَاللهُ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ). فنلجأ إلى الله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، فاسأل الله كلَّ حاجاتك، حتى الحاجات التي يراها النَّاس ضئيلة وصغيرة، فاسأل الله كلَّ شيءٍ حتى لو انقطع شسع نعلك، حتى لو احتجت الملح؛ فالجأ إلى الله تعالى في كلِّ أمورك، صغيرها وكبيرها، وأنزِل حاجاتك بالله -عزَّ وجلَّ- وأبشر بالخيرِ، فاللهُ يستجيب الدَّعوات ويقضِي الحاجات -سبحانه وتعالى.

{قال المؤلف: (وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ.
وَلَا غِنًى عَنِ اللهِ تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ)}.

- قوله (وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ)، الله -عزَّ وجلَّ- يملك كل شيء، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٨٩]، ﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير } [الملك: ١]، وقال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]. فلا أحد يُنازع الله في ملكه أبدًا، فليس له شريك في الملك.
- قوله: (وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ)، أي: لا يملك معه أحد شيء، فالله -عزَّ وجلَّ- هو الخالق البارئ المصور، الملك، الذي بيده مقاليد السماوات والأرض، ولا أحد يفرض على الله شيء، ولا أحد يُلزِم الله بشيءٍ، فالناس والعباد، والجن والإنس؛ كلهم مفتقرون إلى الله، ومحتاجون إليه، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨]، فهذا معنى قوله (وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ).
- قال: (وَلَا غِنًى عَنِ اللهِ تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ).

لا غنى لنا عن الله، الله -عزَّ وجلَّ- هو الذي أحيانا، الله هو الذي أوجدنا، الله هو الذي أمدَّنا بالنِّعمِ وصرفَ عنَّا النِّقم، الله -عزَّ وجلَّ- هو الذي جعلَ فينا هذه الآلات من سمعٍ وبصرٍ وفؤادٍ وقلبٍ ودمٍ وروحٍ، إلى آخره؛ فلا غنًى لنا عن الله، حتى في أمورِ الدِّين لا غنى لنا عن ربِّنا -سبحانه وتعالى- طرفةَ عينٍ.

- قال: (وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ)، أهل الحين: هم أهل الكفرِ والشِّرك، فمَن زعم أنَّه يستغني عن الله فهذا كافر.
- قال الله تعالى في سورة العلق: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ * إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ [العلق ٦-٨]، فهذا تهديد له.
- والله -عزَّ وجلَّ- قال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر ١٥ - ١٧]، فالمؤمن يرجع إلى الله -سبحانه وتعالى- ويستشعِر فقرَه وحاجَتَه إلى اللهِ، وإذا حصلت غفلة عندَ الإنسان ونظرَ إلى جسمِهِ، ونظرَ إلى صحَّتِهِ، ونظر

إلى شبابِهِ، ونظرَ إلى مالِهِ، ونظرَ إلى عيالِهِ، ونظرَ إلى أملاكِهِ، ومزارعِهِ، ومُلكِهِ، ونحو ذلك؛ فاغترَّ بهذا؛ فعليه أن يتوبَ ويستغفرَ، وأن يعلمَ أنَّه فقيرٌ وعاجزٌ، ولو جلسَ في بروجٍ وحصونٍ محصَّنةٍ؛ فإنَّ الله -عزَّ وجلَّ- قادرٌ على أن يأخذَ روحَه ويُهلكَه ويُميتَه في لحظةٍ، فلا تُغني عنه أملاكُه ولا حُرَّاسه، ولا تغني عنه أموالُه، ولا تغني عنه زوجاتُه ولا أولادُه. فالعبدُ مفتقرٌ إلى الله -سبحانه وتعالى.

فمَن استغنى عن اللهِ كفرَ، فلا يستغنِ عن الله مؤمن؛ بل يستشعر حاجتَه وفقرَه إلى ربِّه. فالمال مالُ الله، والصِّحةُ من الله، والشَّبابُ والقُوَّة والأصحاب والجند؛ كلُّ هذا من الله -سبحانه وتعالى- لو شاء لسلبها مِن العبد، فكلُّ مؤمنٍ يجب عليه أن يرجعَ إلى الله، ويستشعرَ حاجتَه وافتقارَه إلى اللهِ.

- ثم إنَّك إذا قام بقلبك الافتقارُ إلى الله -عزَّ وجلَّ- فهذا علامة قوة إيمانك، ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ* فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا } [القصص ٢٣،٢٤]، فجاء الفرج، فبمقدار افتقارك إلى الله يأتيك الفرجُ، ويأتيك الخيرُ، ويأتيك التَّوفيقُ، ويأتيك المددُ من الله -سبحانه وتعالى- أسأل الله أن يُصلح قلوبَنا، وأن يهدينا إلى ما يُحبه ويرضاه، وأن يستعملنا في طاعته.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



الدرس الرابع



الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{نبدأ بقول المؤلف -رحمه الله تعالى: (وَاللَّهُ تَعَالَى يَغْضَبُ وَيَرْضَى لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى)}.

- يقول الإمام الطحاوي -رحمه الله: (وَاللَّهُ تَعَالَى يَغْضَبُ وَيَرْضَى لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى).
- قوله: (وَاللَّهُ تَعَالَى يَغْضَبُ وَيَرْضَى)، هاتان صفتان، صفة الغضب وصفة الرضا.
- قوله: (لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى)، هذا فيه نفي التَّمثيل، فالله -عزَّ وجلَّ- يَغضب ويرضى، قال تعالى عن المؤمنين: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [التوبة:١٠٠]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]، والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًّا.
- وكذلك ربنا يغضب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[النساء:٩٣]، وقال تعالى: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾[البقرة:٦١]، أي: اليهود، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠]، ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]، آسَفُونَا يعني: أغضبونا.
- فنحن نُثْبِتُ مَا جَاءَ فِي القُرآن، وَمَا جَاءَ في سنة النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- من صِفات الله، وأسمائه الحُسنى كما جاءت، مُعظمين الله -عزَّ وجلَّ- مُقدسين له، مُعتقدين أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- ليس كمثله شيء، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وهذا هو مَذهب السَّلف الصَّالح، وهذه هي طريقة النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- وطريقة الصَّحابة والتَّابعين، وأتباع التَّابعين، وأئمة

الدين، وأئمة السُّنة؛ كلهم على هذا المنهج، يُثبتون ما ورد في القُرآن والسُّنة مُعظمين لله، مُؤمنين بما أخبر به عن نفسه، وبما أخبر عنه رسوله -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- الذي هو أعلم الخلق به.

- وفي نفس المقام يُنزهون الله عن مُشابهة خَلقه ومماثلتهم، ويقطعون بأنَّه لا يُمكن إدراك حقيقة وَكُنْه هذه الصِّفات على ما هي عليه؛ لأنَّ الله -عزَّ وجلَّ- لا أَحَد يُحيط به، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، قال بعضهم في تفسيرها: لا تُحيط به العُقول.

- وقال تعالى في المحرمات: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣]، فالله لا أَحَدَ يُحيط به، ولكن هو أخبَرَ عَن نفسه، فَنُؤمن بما أخبر به، فهو الذي أخبرنا أنَّه يَغضب، وأنَّه يغضب على مَنْ فَعَلَ كذا، ويرضى على مَنْ فَعلَ كَذا، فلا مَندوحة ولا مجال لأحد مِن أَهلِ الإسلام إلا بالإقرار بما أخبر الله -عزَّ وجلَّ- به، وهذا مَذهب السَّلَف -كما تقدم- وهو الواجب على جميع أهل الإسلام، أن يُصدقوا بما أخبر الله به عن نفسه، وأن يُمِروا ذلك كما جاء مِن غَيرِ تَحريفٍ، حتى لو سَمُّوه تأويلًا. فبعض أهل البدع وبعض المُنحرفين في هذه المسائل يُسمي التحريفات للنُّصوص الشَّرعية تأويلًا حَتَّى تُروج، فمذهب السَّلَف خلاف هذا، فهم يُقرُّون بها، ويُثبتون الغضبَ والرِّضا، ويُثبتون صِفة الحُبِّ لله -عزَّ وجلَّ، فالله يُحب المؤمنين، ويُحب المُتقين، ويُحب المُقسطين، كما أنَّه يَكره -سبحانه وتعالى- الكافرين، ويَكره الفاسقين، ولا يحبهم.

  وهكذا نُؤمن بما جاء مِن غَير ذلك مِن الصفات، مِثل: السَّمع، والبَصر، والكلام، والقُدرة، والإرداة، والعِلم، والرَّحمة، والحِكمة، والعُلو، وسائر ما جاء في الكتاب والسُّنة.

- المُستَند هُو ثُبوت ذلك، فإذَا ثَبَتَ في القرآن وصحَّ عن النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- فيجب الإيمان به، وَتَلقيه بالتَّسليم والقبول، مع اعتقاد أنَّ الله ليس كمثله شيء، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فهو -سبحانه- ليس كمثله شيء في صفاته، وليس كمثله شيء في أسمائه، وليس كمثله شيء في أفعاله.

- وهذه المسألة تقدمت -أعني مسألة الإيمان بالأسماء والصفات- وترك التَّأويل -الذي هو التَّحريف- وترك طريقة أهل الأهواء. ولقد تقدمت هذه المسألة في أوائل متن العقيدة الطَّحاوية، عندما قال: (إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَى الربوبية بترك التَّأْوِيلِ وَلُزُومَ التَّسْلِيمِ وَعَلَيْهِ دِينُ الْمُسْلِمِينَ)، هذه هي عبارة الطَّحاوي.

- وقوله: (ترك التَّأْوِيلِ)، يعني: التَّأويل الذي عليه مَن يُحرفون نُصوص الصِّفات، كمن يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، يقول: استولى.

  وبعضهم يقول: الله -عزَّ وجلَّ- لا يُوصف بالغضب. وبعضهم يقول: إنَّ الله سبحانه وتعالى لا يوصف بالرِّضا؛ ويذكرون في ذلك بعض الشُّبهات!

- بل يجب عليك أن تُؤمن وتُقِرَّ بما جاء عن الله -عزَّ وجلَّ- وتطَّرح تلك الوساوس والشُّبهات، وتقطع أنَّه ليس كمثل الله شيء قَطعًا يقينيًّا، وتقطع أنَّه لا يُمكن أن يكون غضب الله مثل غضب المخلوق؛ بل نقول جميعًا وكل أهل الإسلام يقولون: مِنْ قَالَ إِنَّ غَضَبَ الله مِثْلَ غَضَبِ المَخلُوقِ فهو كافر.
- ونقطع يَقينًا أنَّ مَن قَال: إنَّ رِضَى الرَّبِّ مِثل: رِضَى المَخلوق فهذا كافر، فهذا إجماع أهل الإسلام، وهذا مَا دَلَّ عليه القُرآن والسُّنة، لكن إثبات الصِّفة التي جاءت وأخبر الله بها عن نفسه ليس تمثيلًا، إذا أثبتها كما جاءت مُعظمًا لله ومُنزّهًا له عمَّا مماثلته بخلقه؛ فهذا ليس تشبيهًا ولا تمثيلًا، فإثباتها هو الواجب، وَنَفْيُها تعطيل، أو القول بأنَّ هذه الصِّفة أو هذا الإثبات يلزم منه التَّمثيل فهذه جهالة أخرى.

ولهذا دائمًا يقول أهل العلم: كُلُّ مُعَطِّلٍ ممثِّل؛ لأنَّه ظَنَّ أنَّ الآية تدل على التَّمثيلِ فَهَرَبَ إلى التَّعطيلِ، وكلا الأمرين خطأ!

- ولهذا في الاستواء قال الإمام مالك -رحمه الله: **"الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"**[39]، فالتنتطع في هذه الأمور والتَّدخل فيها بالعقول وبالأقيسة يُعدُّ بدعةً.
- قال الطَّحاوي: **(وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ)**، النَّفي: التَّعطيل، فنحن لا نَنْفي الصِّفات، ولا نُمَثِّل الخالق بها.
- ولهذا نعيم بن محمد الخُزاعي يقول: **"مَنْ مَثَّلَ اللهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَر، وَمَنْ نَفَى مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسهُ فَقَدْ كَفَرٍ، وَلَيْسَ فِيمَا وَصْف اللهُ بِهِ نَفْسَهُ تَشْبِيهٌ وَلَا تَمْثِيل"**[40]، والحمد لله رب العالمين، فهذا هو دين الإسلام، فهو وسط بين المُعطلة وبين المثلة، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل.
- قال المؤلف: **(وَاللَّهُ تَعَالَى يَغْضَبُ وَيَرْضَى لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى)**: لأنَّ الله -عزَّ وجلَّ- ليس كمثله شيء، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

ومن آثار غضبه:

- أنَّه يُعاقب الذي غَضِبَ عليه.
- والنَّار من آثار غضبه.
- وإيقاع العقوبات.

كل هذه آثار، وأمَّا الصفة فَنُثْبِتُها.

- وكذلك الرِّضا، إذا رَضِيَ الله عن العبد؛ فإنَّ مِن آثارِ رضاه: أن يُنعم عليه ويُكرمه بالجَنَّة والطَّاعة، قال: «أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»[41]، فهذا كلامه لأهل الجنة، نسأل الله أن يجعلنا وإيَّاكم ممن يُحِلُّ الله عليهم رضوانه فلا يَسخط عليهم بعد لك أبدًا. اللهم آمين يا رب العالمين.

---

[39] لقد اشتهر هذا الأثر عن الإمام مالك -رحمه الله- شهرة بالغة، ورواه عنه طائفة من تلاميذه، وهو مرويٌّ عنه من طرق عديدة، وقد حَظِي باستحسان أهل العلم، وتلقَّوه بالقبول، وهو مخرَّج في كتب عديدة من كتب السنة.

[40] تفسير القرآن العظيم ج٢ ص ٢٤٧، دار الخير. ونصه عن نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال: من شبَّهَ اللهَ بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف اللهُ به نفسهَ فقد كفر، وليس فيما وصف اللهُ به نفَسه ولا رسولهُ تشبيهٌ؛ فمن أثبتَ لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى

- ثُمَّ إذا جئت عند هؤلاء الذين وقعوا في التَّحريفات تسألهم وتقول: لماذا لجأتم إلى هذا؟

يقول بعضهم: إِذَا قُلت: إنَّ الله يغضب، معنى هذا أنَّ الله -عزَّوجلَّ- يغضب مثل غضب المخلوق!

نقول: لا تقل هذا.

فينتقل إلى كلامٍ آخر، فيقول: الغضب هو غليان الدَّم في القلب، والله مُنزَّه عن هذا!

ومَن قَالَ لكَ إنَّ الغَضَبَ هو غليان الدَّم في القلب؟

لماذا أنت ألزمتَ نفسك وغيرك بهذا اللازم الغير صحيح؟!

فالله -عزَّوجلَّ- لا شَكَّ أنَّه مُنزَّه عَن هَذه الكلمات، ولا يُقال في حَقِّه هَذا، فغضب الله يليق به، وليس مثل غضب المخلوق.

- ثم نقول: غضب المخلوق حقيقة ليس هو غليان الدم في القلب، غضب المخلوق هو صفة تقوم بالمخلوق ينشأ عنها غليان الدَّم في القلب، والآن يُسمونه في الأعراف المعاصرة "ارتفاع الضغط" صحيح أنَّ الدم يفور وينشر حتى يضغط على العروق، ويرتفع الضغط على العروق ويرتفع الضغط عند الإنسان، وقد يموت بسبب شدة ارتفاع الضغط في بعض الحالا الشديدة.

على كلِّ نقول: هذا أثرٌ مِن آثَار الغضب، وليس هو الغضب. هذا من جهة المعنى اللغوي.

- ثم نقول لهم: أنت الآن لا تُثبت الغضب خوفًا من هذا المعنى، وبيَّنّا لك أنَّ هذا غير لازمٍ.

ثم أنت تقول: إنَّ الغضب هو إرادة الانتقام!

إذن عليك إثبات صفة الإرادة لله -عزَّ وجلَّ، وهذه طريقة بعض الأشاعرة فهم يُثبتون الصِّفات السَّبع، وبقية الصِّفات يَردونها للإرادة، والمعتزلة يُنكرون حتى الصفات، فيفسرون الغضب بنفس الانتقام، وليس إرادة الانتقام يعني: نفس العقوبة التي نزلت، فالعقوبة المخلوقة أو الانتقام الذي حصل؛ فيقولون: هذا هو الغضب، مع أنَّ هذا مخلوق، فنفوا الصفة، فهؤلاء هم المعتزلة.

- أمَّا الأَشَاعِرَة فيردونها إلى صفة الإرادة، فيقولون في صفة الرِّضا: إرادة الإنعام، وفي "الغضب" يقولون: إرادة الانتقام.

فيُقال لهم: المخلوق عنده إرادة أو لا؟ سيقولون: نعم، عنده إرادة.

طيب، إذا كنت ستنفي صفة الغضب لأجل أنَّ المخلوق عنده صفة الغضب، فقل في الإرادة مثلما قلتَ في الغضب، فحتى صفة الإرداة يَلزمك أن تَنفيها أيضًا، أتوافق؟!

✓ إن قال: نعم، فهذا هو المذهب الأشر والأسوء وهو مذهب المعتزلة.

✓ وإن قال: لا، أنا لا أنفي هذه الصِّفة، وأنَّ هذا لا يجوز، وهذا مخالفٌ للنُّصوص والأدلة الدالة على إثبات الإرداة، ولكن أُثبت إرادةً تليق بالله، وليست مثل إرادة المخلوق.

---

[٤١] البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩)، عنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ. فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا.

نقول: أحسنت، وهذا ما نقوله في الغضب وفي بقية الصفات: فَنُثْبِتُ هذه الصِّفات لله على وجهٍ يليق بالله، ولا يُماثل المخلوق.

- وبهذا يُقال لكل هؤلاء في هذا الباب: يجب عليكم أن تَلزموا طريقة النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- وطريقة السَّلف الصَّالح، ولو كان نَفيكم هذا وتعطيلاتكم وتحريفاتكم محبوبة لله ومرضيَّة عنده لأمرنا بها سبحانه، ولأمرنا بها رسوله -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم، وهو لم يترك خيرًا إلا ودلَّنا عليه، ولا شرًّا إلا وحذَّرنا منه -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- فهل يُمكن أن يُقال: إنَّه ترك النُّصوص هكذا حتى يَضل الناس؟! معاذ الله!
- ولهذا بعض غلاتهم من المتأخرين التزم هذا اللازم، حتى ظنَّ في كتاب الله ظنَّ السُّوء، وظنَّ في سُنَّة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- ظنَّ السُّوء، وبعضهم صرَّح بكلمات خطيرةٍ جدًّا جدًّا، كان يتجاسر عنهم متقدموهم من المحرفين للنُّصوص، وجاء المتأخرون في القَرن العاشر وقالوا: إنَّ ظواهر النُّصوص لا يجوز الأخذ بها؛ لأنَّها تدلُّ على الكفر -أستغفر الله! فهذه كلمة بشعة!

{قال المؤلف -رحمه الله تعالى: (وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم، وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَنَرَى حُبَّهُمْ دِينًا، وَإِيمَانًا، وَإِحْسَانًا، وَبُغْضَهُمْ كُفْرًا، وَنِفَاقًا، وَطُغْيَانًا)}.

- هذه المسألة العظيمة خاصة بمحبة الصَّحابة وبمراتبهم وفضائلهم، وأيضًا الموقف ممَّن انحرف في هذه المسألة، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة نقرأها، يقول: (وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم، وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَنَرَى حُبَّهُمْ دِينًا، وَإِيمَانًا، وَإِحْسَانًا، وَبُغْضَهُمْ كُفْرًا، وَنِفَاقًا، وَطُغْيَانًا).
- الجملة الأولى: (وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم).

المحبة: هي ميل القلب.

الميل القلبي والمحبة الحقيقية الصَّادقة تكون لجميع الصَّحابة بلا استثناء، فيجب محبة جميع أصحاب النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم.

؟ مَن هم أصحاب النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم؟

- أصحاب النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- هم: كُلُّ مَن لَقِيَ النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- مُؤمنًا به ومات على الإسلام.

فَيَخرج مَن ارتدَّ عَن دِينه ممَّن ثَبَتَ عليه الكُفر، كَمَنْ تَنَصَّر، وإن كان واحِدًا أو اثنين، ولكن مجموع الصَّحابة لم يقع هذا منهم، ولكنه وَقَعَ مِن واحدٍ أو اثنين، أي: مجموعة قليلة جدًّا، مثل: الذين ارتدوا بعد وفاة النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- فقاتلهم أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- وقاتلهم الصَّحابة، فمنهم من قُتل على هذه الردة، ومنهم مَن أسلم وَرَجَعَ إِلَى الحَقّ.

☑ إذن تعريف الصحابي: "كل من لقيَ" لأنَّ بعضهم يقول: "مَن رَأى"، ولكن بعض الصَّحابة أعمى لا يَرى، مثل: ابن أم مكتوم وغيره من الصَّحابة، فهم صَحابة ولم يروا النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- لسبب عَمَى العَين، فلهذا يُعبر بلفظ "لَقِيَ".

☑ إذن الصَّحابي: كل من لقيَ النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- مؤمنًا به، وخرج بذلك الكُفار، كفار قريش، وغيرهم ممن لم يسلم ولم يؤمن.

☑ ومات على الإسلام: يعني مات على إسلامه، ولم يحصل له رِدَّة؛ لأنَّه يوجد أعداد يسيرة -كما تقدم الإشارة إلى هذا- أنَّ بعضهم تنصَّر، فهؤلاء لا يُعدُّون صحابة إذا ماتوا على غير الإسلام.

- والدليل على هذا التعريف من القرآن والسنة:

أمَّا من القُرآن فقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

الشاهد قوله ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، وهذه المعيَّة للنَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- ولو ساعة، فكل مَن قَابَل النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- وَلَقِيَه ولو ساعةً فهذه مَعيَّة وصحبة، وهذا شرف، وكل مَن حَازَ هَذا الشَّرف دَخَلَ في هذا الوصف، وهو يعدُّ صحابيًا.

- ولكنَّ الصَّحابة يتفاوتون، بعضهم أعلى وأكمل من بعض، فأفضلهم الخلفاء الراشدون -كما سيأتي في الدَّرس القَادم إن شاء الله- ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، والسَّابقين الأولين من المُهاجرين، ثم الأنصار، وأهل بدر، ثم أهل أُحد، وهكذا مَن أسلم قبل الفتح أفضل ممن أسلم بعد الفتح، وفي كلٍّ خير، قال تعالى في سورة الحديد عن الصَّحابة: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، أي: الجنة -رضي الله عنهم وأرضاهم.

- قال الله -عزَّ وجلَّ- في الثناء عليهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، هُنا يبين الترتيب، كما يُبين فضل الجميع وأنَّهم في الجنة، ففي الترتيب قدَّم السَّابقين الأولين من المهاجرين، وهم الذين أسلموا في مكة قبل الهجرة، ثم الأنصار الذين أسلموا قبل الهجرة بقليل وهم أهل بيعة العقبة الأولى والثانية، ثم الذين أسلموا في المدينة قبل أن يهاجر النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم، ثم الذين أسلموا بعد هجرته، هؤلاء يُقال لهم: الأنصار من الأوس والخزرج، وغيرهم ممن كان في المدينة.

- وهؤلاء أيضًا مذكورون في سورة الحشر، وفي مواضع أخرى في القرآن، ففي سورة الحشر قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر:٨]، ثم انتقل وقال عن الأنصار: ﴿الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ

مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

- ثم القِسم الثَّالث وهم الذين جاؤوا من بعد هؤلاء إلى يوم القيامة، فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]، الله أكبر!

فهذا فيه الثَّناء مِن الله -عزَّ وجلَّ- على المُهاجرين والأنصار، والثَّناء على الذين جاؤوا مِن بعدهم إلى يوم القِيامة، ولكن مَن هُم الذين جاؤوا من بعدهم وأثنى الله عليهم؟

- الذين يَستغفرون لهم، ويَشهدون لهم بالإيمان والأخوة، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾ هذا استغفار ﴿وَلِإِخْوَانِنَا﴾، لا يُعادونهم ولا يتبرؤون مِنهم كما يفعل الرَّوافض والنَّواصب وبعض المنحرفين من المعتزلة. يَبْرَؤُون مِنْ بَعضِ الصَّحابة، بل هُنا وصفوهم بالأخوة، قال: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾، ثم شهدوا لهم بالإيمان ﴿الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾، ثم قالوا: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

فهذه الأصناف الثَّلاثة هُم الذين يَستحقون الفَيء، الفيء وهو العطاء من بيت المال بسبب مَا فَاء على المسلمين مِن آثار الجِهاد والغنائم، فهذا الفيء يُقَسَّم على المُسلمين. فبعدما يُقسم على المجاهدين، ويخرج الأسهم الخمسة، يُقسم على الفُقَراء المُهاجرين مِن الصَّحابة، ثُمَّ الأنصار، ثُمَّ الذين جاؤوا من بعدهم، ولكن بهذا الوصف.

ولهذا أفتى الإمام مالك -رحمه الله- بأنَّ الرافضة ليس لهم في الفيء نصيب؛ لأنهم يَسبون الصَّحابة ولا يستغفرون لهم، وهذه دعوة لهم أن يتوبوا مِن هذا، وأن يستغفروا الله -عزَّ وجلَّ- مِن هَذا المَسلك الوخيم، وأن يعودوا إلى طريق أهل السُّنَّة والجماعة.

- قال المؤلف -رحمه الله تعالى: (وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّم، وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ)، يريد الرَّدَّ على الروافض والخوارج والنواصب.
- والإفراط: هو الزيادة، فقوله: (وَلَا نُفَرِّطُ)، أي: لا نزيد.
- قوله: (وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ)، فالروافض يدَّعون أنهم يُحبون عليَّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- وَأَهلَ البيت، ولا شَكَّ أنَّ حُبَّ علي وَحُبَّ آل البيت واجب، ولكن مع حب الصَّحابة كلهم، ومع حفظ مكانتهم جميعًا.
- ثم هُم يُفرطون في حُبِّ علي حتى وصلوا إلى أنهم وصفوه بأوصافٍ فوق ما يَستحق -رضي الله عنه- مثل: أوصاف الألوهيَّة. فمنهم من يقول: إنَّه يعلم الغيب، ومنهم من يقول: إنه يُدبر الكون، ومنهم من يستغيث به من دون الله -عزَّ وجلَّ- ويناجيه ويقول: يا علي يا علي يا علي، أغثني، المدد، اشفِ مريضي...، ونحو ذلك؛ كل هذا من الشِّرك الأكبر.
- ولهذا يجب على كُلِّ من رَكِبَ هذا المذهب أن يتوب إلى الله مِنه، وهو مذهب الغلو والإفراط، ثُمَّ هُم فِيما يَظهر ليس حبهم لعلي حبًّا صادقًا، بل هذا -والله تعالى أعلم- دعوى، ولو كان حبهم لعلي صادقًا لقادهم

هذا الحب إلى حُبِّ الصَّحابة، فإنَّ عليًا كان يُحب أبا بكر، وعمر، وعثمان، وكان مَعَهُم مِن خيرة الأصحاب والأعوان، رضي الله عنهم جمعيًا.

- فهذا معنى قوله: (وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ)، فأهل البيت لا نُفَرِّطُ في حُبهم.
- قال: (وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ)، هذه طريقة النَّواصب والخوارج، وبعض أهل البدع لازال على هذه العقيدة الفاسدة، يقول: لا يصح إيمانك حتى تتبرأ من عثمان، وتتبرأ من علي، وتعتقد أنهم فسقوا، وأنهم كفروا - نستغفر الله ونتوب إليه- فيُحرجون الجَهَلة من أتباعهم، حتى يُلزموهم بهذه العقيدة الفاسدة.

نقول لهم ولجميع أهل الإسلام: هذه العقيدة فاسدة، فنحن لا نتبرأ من أحد من الصَّحابة، ولا نبغض أحدًا من الصَّحابة؛ بل نحبهم جميعًا ونقدرهم جميعًا، ويكفيهم شرفًا صحبتهم للنَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- وأي شرف أعلى من هذا الشَّرف؟!

- قومٌ صحبوا النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- تأتي وتنتقضهم أنت؟! من أنت؟! ومن شيخك هذا؟! فكلهم أخطأوا وزلُّوا، والله -عزَّ وجلَّ- يقول: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[الفتح:١٨]، أَلْفٌ وخمسمائة رجل مِن خِيرةِ النَّاس تسبهم أنت؟! فيهم علي وفيهم عثمان، وفيهم أبو بكر، وفيهم عمر، تأتي أنت وتسبهم؟! يا ويلك إذا قابلت ربك؟!
- الله يقول في كتابه: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وأنت تقول: هؤلاء كذا، وهؤلاء كذا..؟! وكله بسبب اتّباع الهوى، أو النَّظر في بعض الكُتُب السَّيئة التي تتناول الصَّحابة.
- ولهذا فإنَّ بعض كُتب التَّاريخ وبعض كُتب الأدب لا يُوثق بها، وليست مَرجعًا، وإنَّما المرجع هو الأحاديث الصَّحيحة الثَّابتة بالسَّند الصَّحيح، أمَّا الأحاديث التي لم تَصح عَن النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- أو الأخبار التي لم تَثْبُت عَن الصَّحابة فلا يجوز ترويجها، وبعضهم يَشتغل بما شَجَرَ بين الصَّحابة وَيَشغَل نفسه بهذا، **وهذا يقع في أحد طامتين عظيمتين:**

❑ **الطَّامة الأولى**: أن يقع في قلبه زيغ فيبغض الصَّحابة، أو يُبغض أحدًا منهم، أو يُفسِّقهم، أو يُكفرهم، كما قال أبو زُرعة الرَّازي -رحمه الله: "**إِذَا رَأيتَ الرَّجُل يَنتقصُ وَاحِدًا مِن أَصحَابِ رَسول الله -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- فَاعلَم أَنَّه زِنْدِيق**"[٤٢] وفي رواية: "**فاتهمه على الإسلام**".

❑ **الطَّامة الثانية**: أقل أحواله أنه تُشوِّش فكره وباله، ويقع في حيرة، حتى ولو لم يتكلم، ولكن يقع في قلبه شيء مِن هذا الصَّحابي، وهذا خطير جدًّا، فالصَّحابة -رضي الله عنهم- هُم خَير القرون كما قال النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- وخير النَّاس بعد الأنبياء، قال النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[٤٣]، وقال النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا**

[٤٢] الكفاية في علم الرواية ٩٧
[٤٣] البخاري (٢٦٥٢) ، ومسلم (٢٥٣٣)

أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»[٤٤]، المُد مِن بُر، وأنت عندك جبل أُحُد تحول لذهب وتفرق على النَّاس وتتصدق به؛ لن تبلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَهُ، يعني: الصحابي يتصدق ببرٍّ أو بحنطةٍ أو بشعير أو بتمرٍ، هذا المُد أعظم من صدقتك أنت لو كانت مثل: جبل أُحُدٍ ذهبت تقسمه على النَّاس؛ لأنَّ الصَّحابة هُم أساس الإسلام.

- مَن الذي حفظ القرآن وحفظ السنة؟
- من الذي دافع عن النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- وآمن معه وآزره، وجاهد معه؟
- من الذي ضحى بنفسه وماله وَبِوَقْتِهِ وبكل حياته في سبيل الإسلام؟

هم ذلك الجيل العظيم، جيل الصَّحابة، ما كان ولن يكون مثلهم، فهم خير النَّاس بعد الأنبياء -رضي الله عنهم وأرضاهم- فلا يجوز أن نتخذ مما شجر بينهم سببًا لإيغار الصدور، أو التَّنقيب عن الأشياء التي دُفنت، وبعضها غير صحيح، بل أكثرها غير صحيح، وبعضها زيد فيه ونُقص وغُيِّرَ عن وجهه، والصَّحيح فيما حصل من بعضهم قليل ومغمور في حسناتهم وبحر فضائلهم، ويكفيهم شرفًا جهادهم مع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- ويكفيهم شرفًا أنهم كانوا يُصلون مع النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- ويشهدون الجُمَع والجماعات، ويسمعون حديثه ونصائحه وتوجيهاته، ويعاونونه، ويساعدونه، يذهبون ويجيؤون معه، وكل الصَّحابة لهم حق ومكانة، فلا يجوز لك أن تعتقد في أحد أن يُتبرَّأ من الصَّحابة.

- كما لا يجوز أن نُفَرِّط في أحدٍ منهم، فلا نغلوا ولا نجفوا في أحد من الصَّحابة، قال المؤلف: (وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ)، ولهذا نعتقد أنَّه يَجِبُ الكَفُّ عمَّا شَجَرَ بين أصحاب النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم، والكَفُّ يعني: الإمساك بلسانك وبقلمك عَمَّا شَجَرَ بين أصحاب النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم.

؟ هل كل الصَّحابة شجر بينهم؟

- لا، شَجَرَ في آخر عهد عثمان، ثُمَّ في عَهدِ علي -رضي الله عنه- حدثت بعض الأمور الاجتهادية، ونعتقد أنَّهم بَيْنَ الأَجر والأجرين، وأنَّهم -رضي الله عنهم- إن أصابوا فَلَهم أَجران، والمخطئ منهم له أجر مع حِفظ مكانته وحقه ومحبَّته، ولا يجوز لنا أن نعتقد أنَّ أحدًا منهم في النَّار، أو نعتقد أنَّ أحدًا منهم يُتبرَّأ منه، أو يُلعَن، أو يُتَّهم بالفسق، أو بالظُّلم، هذه الكلمات لا تجوز، وهذه كلمات أهل البدع في الصَّحابة.

أمَّا أهل السُّنة فلا يقولون هذا، ومن رأيته يَسُبّ أحدًا من الصَّحابة ويتهمه بهذا؛ فهذا علامة أنَّه ضالٌّ في عقيدته -نسأل الله العافية والسلامة.

- النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- يقول: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي»، وسبب هذا الحديث أنَّه شجر بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء من الكلام، فغضب النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- على خالد بن الوليد، وهو سيفٌ من سيوف الله.

إذن الصَّحابة بشر، وليسوا مَعصومين، وقد يقع منهم الغلط.

---

[٤٤] رواه مسلم (٢٥٤٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

وهنا نلحظ أنَّ النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- نَهَى مَن لَه صُحبةً آخِرًا أَنْ يَسُبَّ مَن لَه صُحبةً أولًا. لماذا؟ لأنَّ مَنْ أَسلَمَ مِن قَبْلِ قد امتَازَ عَنْهُم بالسَّبق، وامتَازَ عَنهُم في الصُّحبة بما لا يُمكن أن يُشاركونه فيه، فإذا كان الذين أسلموا بعد الحديبية وبعد فتح مكة قد نُهوا عن سبِّ مَن أَسلم قَبل، فما بالك بمن لم يُسلم بعد فتح مكة، ولم تحصل له هذه الفضائل، وإنما جاء في القُرون المتأخرة؟!

فمن باب أولى نقول: إنه يُنهى عن السِّبِّ والكلام والخوض في الصَّحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم.

وكل ما نعمل من الخير الآن، وكل ما نعمل من الأعمال الصَّالحة فَرْضُها وَمُستَحَباتها؛ فإنَّ للصحابة فيه أَجْرٌ؛ لأنَّهم هُم الذين نقلوا هذا العِلم، وحفظوا هذا العِلم، وهكذا مَن جَاءَ بعدهم له أجر، ثُمَّ إلى يومِ القِيامة. فَكُلُّ مَن سنَّ في الإسلام سُنَّة حَسنةً ودَلَّ النَّاس على شَرعِ الله -عزَّ وجلَّ- فهؤلاء لهم أجر، فالصَّحابة مِن باب أولى لهم الأجور الفاضلة والكاملة -رضي الله عنهم وأرضاهم.

- قال: (وَنَبْغُضُ مَنْ يَبْغُضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ).

يعني: نحن أهل السُّنَّة والجماعة نُبغض مَن يُبغض الصَّحابة؛ لأنَّ مَن يُبعض الصَّحابة صار عدوًّا للصَّحابة، وإذا صار عدوًّا للصَّحابة صار عدوًّا للرسول -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- فالنَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- يجلس مع أبي بكر ويحبه، ومع عمر، ومع عثمان، ومع علي؛ فهؤلاء هم خِيرة أصحابه، فإذا جاء مَن يقول هؤلاء فيهم، وهؤلاء كذا، وهؤلاء أنا أبغضهم... لَزِمَ من هذا أن يُبغض الرسول، ولهذا فنحن نُبغض هؤلاء.

- وليس هذا خاصٌ بالخلفاء الأربعةِ بل حتى بقيَّة الصَّحابة، مَن أَبْغَضَهُم فنحن نُبغضه؛ لأنَّه مُنَافق أو كافر، ولا يُغادر هاتين الصفتين، وفي هذا حديث صحيح صريح، ففي صحيح البخاري قال النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم: «آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ»[٤٥]، وجاء أيضًا في شأن أبي هريرة أنَّ النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- دعا له ولأمه أن يحببهما إلى كل مُؤمنٍ ومؤمنة، فكل مُؤمن ومؤمنة يَسمعون به يُحبونه ويحبون أُمَّه إذا عَلِمُوا خَبَرَها وإسلامها -رضي الله عنها- فهذا دليلٌ على أنَّ مَن يُبغض أبا هريرة -رضي الله عنه- ليس بمؤمن.

- والنَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- يقول: «لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»[٤٦]، هذا دليلٌ على أنَّه حتى لو وَقَعَت منهم ذنوب؛ لأنَّ هذا خبر والله -عزَّ وجلَّ- يُوحِي إليه، والخبر لا يُخلَف، فهذا دليلٌ على أنَّ الصَّحابة الذين شهدوا الحديبية وبيعة العقبة تحت الشَّجرة لا يدخلون النَّار، حتى لو وَقَعَ مِنهُم مَا وقَعَ مِن الأخطاء أو الذنوب، وهذا يَدُلُّ على أنَّهم بين الأجر والأجرين، ورب العالمين قال: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧]، الله -عزَّ وجلَّ- يَشهد لهم ويَشهد أنَّه تَاب عليهم، تأتي أنت

---

[٤٥] البخاري (١٧)
[٤٦] مسلم من حديث جابر.

وتُؤثِّمهم وتفسِّقهم وتكفرهم؟! تبًّا لهذا المذهب الذي يتعرض للصَّحابة وينتقصهم، ولا شك أنَّه مَذهب سوء من أخبث المذاهب.

- قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَأَسِّيًا فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الأُمَّةِ قُلُوبًا وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا وَأَحْسَنَهَا حالا. قَوْمًا اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثارِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ". رضي الله عنهم وأرضاهم.

ومن العَجائب أنَّه لو سُئل اليهود بالرغم من كفرهم: مَن خياركم؟ لقالوا: الذين صَحِبُوا موسى عليه السلام.

ولو سُئل النَّصارى: مَن خِياركم؟

لقالوا: الذين صَحِبُوا عيسى عليه السلام.

ولو قيل للرَّافضة: من شر أهل مِلتكم؟

قالوا: الذين صَحِبُوا محمدًا -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم!

فتبًّا لهم، صاروا أَشَرَّ مِنَ اليهود والنَّصارى -نسأل الله العَافية والسَّلامة- وأن يهدي ضال المسلمين.

فنقول: لا نُفَرّط في حُبِّ أحد من الصَّحابة، ولا نَتَبَرأ مِن أَحَدٍ مِنهُم.

- ومن الكلمات التي يغلط فيها الرَّافضة وغيرهم، أنهم يقولون: "لا ولاء إلا ببراء"، ويريدون بهذا أنك لا تُحِبُّ عَليًا -رضي الله عنه- إلا إذا تبرأت مِن أبي بكر وعمر!

وهذا غير صحيح، أَنَا أُحِبُّ أَبا بَكرٍ، وَأُحِبُّ عمرَ، وَأُحِبُ عُثمانَ، وأحبُ عليًا، وأحبُ الحسنَ، وأحب الحُسينَ، وأحبُ أهلَ بيت النَّبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- وأحبُ العَشرةَ، وجميع الصَّحابة، حتى الذين أسلموا بعد الفتح، نحبهم كلهم، ولا نَتَبَرَّأ مِن أحدٍ مِنْهُم، ونقول: مَن أَخْطأ منهم فهو مغفور له -إن شاء الله- وله أجر، وَمَن أَصَابَ فَله أجران، ولا نخوض في أعراضهم، ولا ننشر الأخبار التي فيها مساوئ وفيها ما يُغير الصُّدور، فهذا لا يجوز.

- قوله: (وَنَبْغُضُ مَنْ يَبْغُضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ).

هُناك أقوام لا خَير فيهم من أهل البدع، إذا جاء ذِكر الصَّحابة أخذوا يَهمزون ويَلمزن، ويذكرون عبارات تَنَقُّص، فالواجب على المؤمن أن يَحذر مِن هَؤلاء، ولهذا بعض الكتَّاب -مع الأسف- وبعض من انشغل بما يُسمى بالفكر الإسلامي؛ وصلوا إلى بعض المراحل المتقدمة في الكلام في الصَّحابة، حتى إنَّ بعضهم يتناول عمرو بن العاص -رضي الله عنه- ويتناول معاوية -رضي الله عنه- وبعضهم يتناول المغيرة بن شعبة، وبعضهم يتناول عائشة -رضي الله عنها- أم المؤمنين الصِّدّيقة بنت الصِّدّيق.

- وهذه قاعدة: إذا رأيتَ رجلًا يَعمد إلى هؤلاء الصَّحابة أو غيرهم فيتنقصه ويزدريه أو يصفه ببعض الأوصاف التي تدل على سبٍّ أو تنقُّص، كأن يتهمه بأنه خرج، أو يتَّهمه ببعض التُّهم الأخرى التي هي صعبة على اللسان قولها، ولكن -مع الأسف- موجودة في كتب هؤلاء المبتدعة، فهذه كتب سوءٍ يجب الحذر منها

ومن أصحابها، وألا يوثق بهم؛ لأني وجدت في بعض الكتب لبعض المفكرين ممن يسمي نفسه بالمفكر الإسلامي أو الأديب؛ إذا به يتكلم عن عثمان -رضي الله عنه- ويقول: "فترة عثمان كانت فترة مظلمة"!

يا أخي أنت المظلم! عثمان هذا تستحي منه الملائكة، فاستحِ على وجهك يا من تقول هذا الكلام، وهذا يجب أن يُحرق كِتَابه ويُبعد عن المسلمين، يتكلم في الخليفة الثالث؟! وآخر يتكلم في مُعاوية ويتهمه بالنفاق وأنه فتح باب شرٍّ، وأنه كذا وكذا؟! يا أخي اتقِ الله -عزَّ وجلَّ.

- وكما قال بعض السلف لما فوضِلَ بين عمر بن عبد العزيز ومعاوية، فعمر بن عبد العزيز من أتباع التَّابعين، فقال بعضهم: **"أيهما خير عمر بن عبد العزيز أو معاوية؟**
- **فقال: لغبارٌ دخل أنف معاوية في غزو مع الرسول -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- خير من أمثال عمر"**[٤٧]، فشرف الصُّحبة لا يَعْدله شرف، فالواجب الإمساك عن الصَّحابة، ومعرفة مكانتهم، وأن نتقي الله -عزَّ وجلَّ- ونحبهم -رضي الله عنهم.
- قال: **(وَنَرَى حُبَّهُمْ دِينًا، وَإِيمَانًا، وَإِحْسَانًا، وَبُغْضَهُمْ كُفْرًا، وَنِفَاقًا، وَطُغْيَانًا)**.

إي والله! حُبُّ الصَّحابة دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، فإذا أحببت الصَّحابة فهذا دين، هذا الحب الذي في قلبك دين، وهذا الحب ينشأ إذا قرأت أخبار الصَّحابة وأحوالهم، وصلاحهم، ومواقفهم العظيمة الشُّجاعة في نُصرة الدين، وفي الدفاع عن الرسول -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم، وفي القيام بأمر الله -عزَّ وجلَّ- فوالله الذي لا إله غيره إنك لتجد العجب العُجاب مِن هذا الجيل الفريد والعظيم، جيل الصَّحابة -رضي الله عنهم.

- فالذي يُبغضهم حقيقة هذا دليل نفاقه، ودليل على أنَّه يُبغض الدين نفسه، حتى لو زَعَمَ أنَّه يُحب الدين، فهو كاذب، فبغضه للصَّحابة أو لبعضهم دليلٌ على نفاقه، وقد تقدم الحديث **«آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ»**[٤٨]، فعلامة النِّفاق الواضحة بُغض الأنصار.

فإذا كان حُبُّ الأنصار آية الإيمان وبُغضُهم آية النِّفاق، فَمِنْ بابِ أولى المهاجرين؛ لأنَّهم في القرآن مُقدَّمِين، فنقول: آية الإيمان حب المهاجرين والأنصار، وآية النفاق بغض المهاجرين والأنصار -رضي الله عن الصَّحابة أجمعين.

وكثير من أعداء الإسلام يحاولون النَّيل من الصَّحابة، وهذا المنهج السَّيء يَسلكه بعض النَّاس حتى يتوصلون إلى الطَّعن في أحاديث الرسول -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- فالصَّحابة هُم الذين نقلوا أحاديث الرسول -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- فهم نقَلَة الشَّريعة وحَفَظَة الدين، فإذا جاء الطَّعن فيهم والشَّك في ثقتهم فحينئذٍ يُهدم الإسلام، ولهذا يجب الحذر من هذه المذاهب أشد الحذر.

- وأهل العلم يقولون: إنَّ الصَّحابة -رضي الله عنهم- كلهم عُدول ثِقات، فلا يُمكن أن يقع منهم الكذب، لكن ليسوا بمعصومين، فقد يقع مِن أحدهم الخطأ، إمَّا الخطأ في الفَهم، أو الخطأ في النقل، وهذا يقع من

---

[٤٧] مرقاة المصابيح على مشكاة المصابيح عن عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله تعالى.
[٤٨] تقدم تخريجه

أفراد قليلين، لكن ولله الحمد يتبين الصَّواب من خلال النظر في الأحاديث وفيما نُقل عن الصَّحابة، وإذا جرى خلاف بين الصَّحابة في مسألة فقهيَّة، أو نحو ذلك.

إذن هذه المسألة العظيمة وهي حُبُّ الصَّحابة، والحذر كل الحذر مِن الكلام فيهم بالسبِّ أو التَّنقُّص أو البغض.

- وهنا فائدة: وهي أنَّ الطَّحاوي سبق أن قال: **(وَالْإِيمَانُ هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ)**، ولم يذكر العمل! وهذه من الأغلاط التي سبق التَّنبيه عليها.

وهنا ذَكَرَ الحُبَّ، والحُبُّ عملٌ قلبي، فَسَمَّى الحُبَّ إيمانًا، فهذا دليلٌ على مَذهب أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ العمل من الإيمان، وهذا هو الصَّواب، أنَّ عمل القلب والجوارح من الإيمان.

- قال: **(وَبُغْضَهُمْ كُفْرًا، وَنِفَاقًا، وَطُغْيَانًا)**، مَنْ أَبغَضَ الصَّحابة كلهم فهذا كافر، أمَّا مِن أَبْغَضَ بعضهم فهذا في تفصيل:

☑ إِذَا أَبغَضَ أَبَا بكرٍ وَعُمَرَ وعثمانَ وعليًا وخيرة الصَّحابة، فهذا كافر.

☑ أمَّا إذا أبغض بعضهم، فهل هذا يكون فاسقًا وظالمًا أم يكون كافرًا؟

- هذا فيه تفصيل، فيُراجع في هذا كتاب "الصارم المسلول على شاتم الرسول" لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- ويُراجع في هذه المسألة الكتب التي وضَّحت حُكم سَبِّ الصَّحابة -نسأل الله العافية والسلامة.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.








الدرس الخامس



الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

}نقرأ من قول الطَّحاوي -رحمه الله: (وَنُثْبِتُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم، أَوَّلًا: لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ تَفْضِيلًا لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ، ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، ثُمَّ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّونَ){.

- هذه الجُمَل التي ذَكَرَها الطَّحاوي -رحمه الله- في العقيدة الطَّحاويَّة تتعلق بأمرِ الخلافة بعد وفاة الرسول -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم، فنُثبت الخلافة لأبي بكر الصِّدِّيق -رضي الله عنه- ثُمَّ لِعُمر، ثُمَّ لِعُثْمَان، ثُمَّ لِعَلي -رضي الله عنهم أجمعين.
- فلمَّا فَرَغَ الطَّحاوي من ذكر وُجوب محبة الصَّحابة، وأنَّ هذا دينٌ وإيمانٌ، وأنَّ بُغضَهُم كُفر وَنِفاق، ووجوب تفضيل الصَّحابة والكَفِّ عَمَّا شَجَرَ بينهم؛ شَرَعَ في ذِكْرِ مَسألة الخلافة لأهميتها؛ لأنَّ الصَّحابة بعد وَفَاةِ الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- أَجْمَعُوا وأجمَع المسلمون على تقديم أبي بكر، ومبايعته خليفةً لرسولِ الله -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- وأميرًا للمؤمنين.
- وهذه المسألة أجمع عليها أهل الإسلام، ولم يُخالف فيها إلَّا بعض أهل الأهواء والبدع، فأبوبكر الصديق هو عبد الله بن أبي قحافة، وهو خير هذه الأمة وأفضلها بعد النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- بإجماع المُسلمين، ولهذا قال: (تَفْضِيلًا لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ).

والنَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- صرَّح في أحاديث كثيرة مُبَيِّنًا فضل أبي بكر ومكانته ومنزلته من الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم-، **ومن ذلك:**

- قوله: «**ولو كنتُ مُتَّخِذًا خَليلًا غيرَ رَبِّي لا تَّخَذْتُ أبا بكرٍ، ولكِنْ أُخوَّةُ الإسْلامِ ومَوَدَّتُه**»[٤٩].
- ومن ذلك لما ذكر النَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- المبشرون بالجنَّة، فبدأ به فقال: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ**»[٥٠]، ثُمَّ ذَكَرَ بقية العشرة -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم.
- ولما ابتُدِئ به المرض الذي تُوفي بسببه -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- قال لعائشة: «**ادْعُوا لِيَ أَبَاكِ وَأَخَاكِ حَتَّى أَكْتُبَ لِأَبِي بَكْرٍ كِتَابًا**»، ثُمَّ قال: «**يَأْبَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ**»[٥١]، وهذا الحديث في الصحيحين.
- وقد عُلم بالتواتر أنَّ النَّبيَّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- قدَّمه في الصَّلاة حتى يُصلّي بالنَّاس لما أصاب المرضُ النَّبيَّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم، وَثَقُلَ عَنَ الوُصول إلى المسجد بسبب شِدَةِ المرض -اللهم صلّ وسلم وبارك عليه- أَنَابَ النَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- أبا بكر في الإمامة في الصَّلاة، فعلم المسلمون أنَّه أولى النَّاس بَعدَ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم.

- ولهذا كان الصَّحابة لما بايعوه يقولون: **"رضيك رسول الله -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- لديننا، أفلا نرضاك لدنيانا؟!**[٥٢]".

ومِن هَذا المُنطلق اختلف العُلماء في خلافة أبي بكر، هل كانت الخلافة بالنَّصّ أم بالإشارة؟

- وذكر هذه المسألة الشارح ابن أبي العز، وذكرها جمع كبير من أهل العلم، مما يدل على أنَّ هناك من أهل العلم من قال: إنَّ النَّبيَّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- قَد نَصَّ على أبي بكر أنه خليفة، وذكروا في هذا بعض الحُجَج، ولكن هذا فيه نظر!
- والصَّواب -والله تعالى أعلم: أنه بيَّن فضله وتقدمه، وأنه –عليه الصلاة والسلام- رضيَه للناس إمامًا بعد ما مرض -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- وقال: «**فَلا يَطْمَعُ فِي هَذَا الْأَمْرِ طَامِعٌ**»[٥٣]، ولما أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: "أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ" كَأَنَّهَا تَقُولُ: الْمَوْتَ، قَالَ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم: «**إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ**»[٥٤] فالمسلمون يَعلمون أنَّ أبَا بَكرٍ هو أفضلهم، لمَّا رأوا من النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- تقديمه، ومن بيان مكانته ومنزلته.

  فالخليفة بعد موت النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- هو أبو بكر الصِّديق، وبَايَعَه المُسلِمون جميعًا.
- ثُمَّ بعد وفاةِ أبي بكر -رضي الله عنه- عَهد بالخلافة إلى عُمر، وأجمع المسلمون على مُبايعة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- خليفة بعد أبي بكر.

---

[٤٩] صحيح البخاري (٣٦٥٤).
[٥٠] مسند أحمد (١٦٠٨).
[٥١] أخرجه مسلم (٢٣٧٨) مختصراً، وأحمد (٢٥١٥٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٠٨١) باختلاف يسير.
[٥٢] مسند الشافعي بترتيب السندي (ص: ٣٦٢)، و (الإحكام) لابن حزم (٤٢٣/٧)
[٥٣] أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢: ٥٤٩) واللفظ له، وأبو نعيم في «فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم» (صـ١٤١).
[٥٤٥٤] صحيح البخاري (٣٤٠٩).

- ثُمَّ لَمَّا أصيب عُمر في آخر حياته بسبب هجوم أبي لؤلؤة المجوسي وغدره في صلاة الفجر، فقد كبَّر عمر للصَّلاة، فانطلق هذا المجوسي الخبيث فطعن عُمَر عدَّة طعنات حتىَّ سَقَطَ، فَلَمَّا رأى ما نزل به جعل الأمر شُورى في ستَّة من الصَّحابة -كما سيأتي- فاجتهدوا بعد وفاة عمر، فاختاروا أمثلهم وأفضلهم، وهو عثُمَّان بن عفان -رضي الله عنه.
- ثُمَّ بعد استشهاد عثُمَّان -رضي الله عنه- أَجْمَعَ المُسلمون على أنَّ عليًّا هو الخليفة بعد عثُمَّان، وبايعوه، ولهذا فإنَّ ترتيب الخِلافة كترتيبهم في الفضل، فأفضلهم أبو بكر، ثُمَّ عمر، ثُمَّ عثُمَّان، ثُمَّ علي، وهكذا في الخلافة، فالخليفة بعد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- أبو بكر، ثُمَّ عمر، ثُمَّ عثُمَّان، ثُمَّ علي.
- وليس بين أهل السُّنَّة خلاف ولا نِزَاع في هذا الترتيب في الخلافة، فلم يَقل أحدٌ بتقديم واحدٍ منهم على الآخر، ولكن في أمر التفضيل وقع نزاع يسير في المفاضلة بين عثُمَّان وعلي، والجمهور والذي استقر عليه أهل السُّنة والجماعة وهو الذي عليه الجماهير قديمًا وحديثًا: هو تقديم عثُمَّان على علي، وأنَّ ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة.
- ويُقال هذا حَتَّى يعرف طالب العلم بعض الآثار المنقولة عن بعض المُتقدمين، وأنَّ المسألة في التفضيل، أنَّ بعضهم قدم عليًّا على عثُمَّان، وبعضهم ثلَّثَ بعثُمَّان وتوقف، ولكن الذي عليه أهل السُّنَّة واستقروا عليه هو التثليث بعثُمَّان، والتربيع بعلي -رضي الله عنهم.
- أمَّا أمر الخلافة فليس بين أهل السُّنَّة والجماعة نزاعٌ في أنَّ الخليفة بعد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- هو أبو بكر، ثُمَّ عمر، ثُمَّ عثُمَّان ثُمَّ علي؛ ولهذا فإنَّ "مَن قَدَحَ فِي خِلافة واحدٍ مِن هَؤلاء فَهُوَ أضَلُّ مِن حِمَار أهله"، وهذه عبارة الإمام أحمد. وقال: "مَنْ قَدَّمَ عَلِيًّا عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَدْ أَزْرَى بِالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ"[٥٥].

أَزْرَى: يعني تنقَّصَ وعابَ واستصغر؛ لأنَّ المُهاجرين والأنصار الذين كانوا أحياءً لما استُشهِد عمر وجعل الخلافة شورى في واحدٍ مِنَ الستَّة، ويُختار منهم، فاجتهد المسلمون غاية الاجتهاد، وقام بهذا الحِمل العظيم عبد الله بن عوف، فسأل المهاجرين الأحياء جميعًا، وسأل الأنصار الأحياء جميعًا، حتى اجتمع رأيهم على تقديم عُثُمَّان عَلَى عَليّ -رضي الله عن الجميع- فمن قدَّم عليًّا على عثُمَّان فقد أَزْرَى بالمهاجرين والأنصار، ولا يليق بمسلم أن يتخطى ويتجاوز طريقة الصَّحابة -رضي الله عنهم.

- قال: **(وَنُثْبِتُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم، أَوَّلًا: لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ تَفْضِيلًا لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الأُمَّةِ، ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، ثُمَّ لِعُثُمَّانَ بْنِ عَفَّانَ).**
- في هذا ردٌّ على مَن طعن في الصَّحابة كالرافضة، فإنهم يزعمون أن الخليفة والإمام بعد النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- هو علي -رضي الله عنه- وأن الصَّحابة اغتصبوا الحكم من علي، ويزعمون أن عليًّا هو الوصي على الإمامة، وأنَّه الإمام بعد النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم!

وهذا لا شَكَّ أنَّه مخالفٌ للواقع، ومخالفٌ للشَّرع، ومخالفٌ للقُرآن، ومخالفٌ للسُّنَّة.

[٥٥] رواه البغوي في شرح السنة عن سفيان الثوري (بابُ مُجَانَبَةِ أَهْلِ الأَهْوَاءِ).ورواه كذلك ابن تيمية في مجموع الفتاوى من كلام سفيان الثوري (ص ٣٣).

- قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦].

أَجْمَعَ المُفسرون على أنَّ المراد بهم أهل الرِّدَّة، والذي دعا إلى قِتال أَهل الرِّدة بالإجماع هُو أبو بكر الصِّديق، وكان هذا بعد وفاة النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم.

- قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، وهم بنو حنيفة الذين ارتدوا في نجد وغيرها، وصدَّقوا مُسيلمة.
- ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾، فالذي دَعَاهُم إلى هَذا القِتَالَ هُو أبو بكر الصِّديق، وفي هذا مَدْحٌ مِنَ الله -عزَّ وَجَلَّ- وَثناء على مَن قَامَ بهذا؛ لأنَّه قال: ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾، فعُلم أنَّ المقاتَلين غير مُسلمين، وهم مُرتدون، والذي قام بهذا الواجب العَظيم هو أبو بكر الصِّديق، فهذا أحد الأَدِلَة مِن عَشرات الأَدِلَة.
- ومن ذلك قول الله -عزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠]، فالله -عزَّ وَجَلَّ- أثبت معيَّته له، وهي معية توفيق وتسديد ونصر، وتأييد، وأثبت الصحبة بين أبي بكر والرسول -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- في قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.
- وقال في سورة الليل: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ [الليل ١٧ - ١٩]، فهذه الآيات في أبي بكر.
- وفي سُورة الزمر قال الله -عزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، فأعظم الناس تصديقًا بالنَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- هو أبو بكر الصديق -رضي الله عنه.

والأخبار في فضله ومكانته ومنزلته ودلائل القُرآن والسُّنَّة على خلافته كثيرة جدًّا.

- فالمقصود: أنَّ هذه المسألة يُشغِّبُ بها أهل البدع، ويحاولون أن يقولوا لبعض الجهلة من باب التشويش وإثارة الفتن والأحقاد: أنَّ الخلافة لعلي واغتُصبَت منه، فكأنَّ المسألة عندهم مسألة توريث، بينما هي نبوَّة، فالخلافة نبوة، وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون، يَسيرون على مِنهاج النُّبوة، أمَّا الملك فقد جاء بعد هذا.
- فالمقصود: أننا نعرف غلط هؤلاء المبتدعة الذين زعموا أنَّ الخلافة والإمامة لعلي -رضي الله عنه- وأنَّ الصَّحابة اغتصبوها منه، وبناء على هذه المسألة يتهمون الصَّحابة بالنِّفاق، وربما يكفرونهم، ويقولون: إنَّ الصَّحابة ظَلَمَة، وقد اغتصبوا الخلافة، وقهروا عليًّا، ويقعون في تناقضات مِن ضمنها أنهم يقولون: إنَّ عليًّا -رضي الله عنه- أشجع الناس، وقد صدق من قال هذا فهو من أشجع الرجال، ولكنه ليس بأشجع مِنَ النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- ولا بأشجع مِن أبي بكر وعمر وعثُمَّان، فهم أفضل في كل صفات الخير -رضي الله عنهم- وهو مثلهم من أفضل البشر بعد الأنبياء، ولكنه بعد أبي بكر وعُمر وعثُمان، ومع هذه الشَّجاعة والإيمان وقوة القلب في علي -رضي الله عنه- إلا أنهم يصفونه

بأنه كان ذليلًا -بزعمهم- وأنه مقهورًا، وأنه سكت عن حق -هكذا يقولون- فلهذا كان مذهبهم فيه تناقضات وضلالات.

ومن أعظم من كشف هذه المسألة: علماء أهل السنة والجماعة، ووضحوا أغلاط هؤلاء وتناقضاتهم.

- ومن الكتب التي يُوصى بها في هذا المقام:

"منهاج السنة النبوية في الرد على الرافضة الشيعة والقدرية" لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية-رحمه الله- وهو كتاب كبير مطبوع في تسع مجلدات، المجلد التاسع فهارس.

والذهبي -رحمه الله- عمل له ملخصًا، وكذلك فيه ملخص للشيخ عبد الله الغنيمان -جزاه الله خيرًا.

فالمقصود: أنَّ هذا الكتاب كتاب طيب لمن أراد التَّوسع في نقض الشبهات التي يُثيرها هؤلاء الذين قدحوا في خلافة أبي بكر -رضي الله عنه- وفي خلافة عمر وعثُمَّان، وزعموا أنَّ الخلافة لعلي -رضي الله عنه- وأنها اغتصبت منه، وهذا كله مِن الزُّور والبُهتان، فصار هؤلاء الرَّافضة ينظرون لكل وصف في القُرآن فيه ذكر الشِّرك يُلحقونه بالصَّحابة؛ لأنَّ التَّوحيد عندهم هو أن تقول بإمامة علي والاثني عشر، فإذا قلت بإمامة علي والاثني عشر الذين يَنُصُّونَ عَلَيهِم فأنت موحد، وإذا لم تقل بهذا فأنت مشرك، وظالم وفاسق، وفاجر، وكل وصف ذميم يلحقك إذا لم تقل بهذه العقيدة الفاسدة، وهذه من الأغلاط التي عند هؤلاء.

- ولهذا فالعلماء -كما فعل الطحاوي هنا- ينصُّون في كتب العقيدة على مسألة الخلافة؛ لأنها مِن أهم المسائل التي يُباين فيها أهل السُّنة غيرهم من أهل الأهواء والبدع.

- وغير الرافضة أيضًا مثل بعض الخوارج، ومثل بعض المعتزلة يتناولون عليًّا، أو يتناولون عثُمَّان وعلي بالتنقُّص والذَّمّ والعيب، ويتهمونهم بعظائم الأمور، فهؤلاء أيضًا يُقال عنهم -مثلما تقدم- أنهم يشغبون، ويوغرون صدور أهل الإسلام على الصَّحابة، ولهذا يجب الرد عليهم وبيان فضائل الصَّحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم.

- من الأحاديث الواردة في هذا المقام: أنَّ عمرو بن العاص -رضي الله عنه- بعثه النَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيت فقلت: "يا رسول الله، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: **«عَائِشَةُ»**، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟، فَقَالَ: **«أَبُوهَا»**، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **«ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ»**، فَعَدَّ رِجَالًا"[٥٦] وهذا الحديث في الصحيحين.

- وجاء أيضًا في الصحيحين عن أبي الدرداء، قال: كنت جالسًا عند النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبتيه، فقال النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم: **«أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ»**، يعني أصابه الغمر، وهو الغضب الشديد، فسلَّم أبو بكر فقال للنبي -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم: "إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ"، يعني: نوع من الاختلاف، قال: "أَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَدِمْتُ"، يعني حصل مني هفوة، ثُمَّ ندمت على ما حصل مني. قال: "فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ"، يعني: أصاب أبو بكر الغمر -

---

[٥٦] رواه البخاري في "صحيحه" (رقم: ٣٦٦٢)

وهو الهم والحزن- لأنَّ عُمَرَ لم يُسامحه، ولم يحلله فيما حصل بينهم، وربما هو شيء يَسير جدًّا -رضي الله عنهم أجمعين.

- فقال النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم: **«يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثًا»**، مرتين أو ثلاثة، فبينما هم كذلك إذا عمر قد ندم، والواقعة كلها في أقل من ساعة، وبعض الناس اليوم يتخاصمون مدة طويلة، فندم عمر فأتى منزل أبا بكر يُريد الاعتذار من أبي بكر في بيته، فلم يجده. قال: **«يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثًا»**، فأتى النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- فسلم على النَّبيّ، فجعل وجه النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- يتمعَّر من الغضب، حتى أشفق أبو بكر، فجثى أبو بكر على ركبتيه، وقال: (وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ)، يعني أنا السبب، فلا تغضب على عمر.
- فقال النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم: **«إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي مَرَّتَيْنِ فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا»**، قال أبو الدرداء: فما أوذي بعدها. وهذا الحديث في صحيح البخاري.

فهذا كله يدل على فضل أبي بكر ومكانته عند النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- وعند عمر، وعند الصَّحابة كلهم، فهل يليق بمسلم أن يقول: إن أبا بكر اغتصب الخلافة! أو أنهم أذلُّوا عليًّا!

لا والله؛ بل هم أهل البيت ويحترمونهم، وأهل البيت يعرفون فضل أبي بكر وعمر وعثُمَّان، وليس بين الصَّحابة في هذا -ولله الحمد- أي نزاع، ولهذا فإن هذه المسألة هي مسألة عقيدة، فيجب أن نعتقد في الخلافة أنها بالترتيب، وأنَّ أول الخلفاء هو أبو بكر، ثُمَّ عمر، ثُمَّ عثُمَّان، ثُمَّ علي -رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وأمَّا عمر فنأخذ بعضًا من أخباره.

- سَبَقَ حديث عمرو بن العاص لمَّا سَأَلَ النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم وقال: "يا رسول الله، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: **«عَائِشَةُ»**، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟، فَقَالَ: **«أَبُوهَا»**، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **«ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب»**، فَعَدَّ رِجَالًا" فبعد أبي بكر عدَّ النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- عمرَ، فهو أفضل الأمة بعد أبي بكر.
- وقال -عليه الصلاة والسلام: **«اقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرَ»**[٥٧]، وأيضًا ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "وُضِعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى سَرِيرِهِ، فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ يَدْعُونَ، وَيُثْنُونَ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ وَأَنَا فِيهِمْ، قَالَ: فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا بِرَجُلٍ قَدْ أَخَذَ بِمَنْكِبِي مِنْ وَرَائِي، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ فَتَرَحَّمَ عَلَى عُمَرَ، وَقَالَ: مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَأَيْمُ اللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وَذَاكَ أَنِّي كُنْتُ أُكَثِّرُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم، يَقُولُ: جِئْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَوْ لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا"، رواه البخاري ومسلم، فاللهم ارضَ عن أبي بكر وعمر، وعن عثُمَّان، وعن علي، واجمعنا بهم في جنات النعيم يا رب العالمين.

---

[٥٧] أخرجه الترمذي (٣٦٦٢)، وابن ماجه (٩٧)، وأحمد (٢٣٢٩٣)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٢٢٧/٤٤) واللفظ له

- وجاء أيضًا عن النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- أنه قال في عمر: «إِيهًا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»[٥٨].
- وقال -عليه الصلاة والسلام: «قَدْ كَانَ فِيمَا كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ نَاسٌ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَهُوَ عُمَرُ»[٥٩].

وفضائل عمر -رضي الله عنه- كثيرة جدًّا، أُلِّفت فيها مؤلفات، ومن أراد أن يرجع إلى السِّيَر فليرجع إلى التراجم، مثل: "البداية والنهاية" لابن كثير، أو "سير أعلام النبلاء" للذهبي، فقد ذكر جملة صالحة في ما ورد عن عمر، وهو مذكور أيضًا في كتب مناقب الصَّحابة التي في صحيح البخاري ومسلم، وغيرها، وأيضًا هناك كتب مؤلَّفة في فضائل أصحاب النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم.

أمَّا الخليفة الثالث فهو: عثُمَّان بن عفان.

- ونُثْبِتُ الخلافة له بعد عمر، وذلك أنَّ النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- جاء عنه ذكر عثُمَّان، وذكر فضائله، وأنَّه مُبَشَّر بالجنة، وأحاديث كثيرة ثابتة عن النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم.
- لما استُشهد عُمر جعلَ الأمر شورى في ستَّةٍ، فلمَّا أصيب -كما تقدم- بسبب ذلك المجوسي أبي لؤلؤة، قال عمرو بن ميمون راوي الخبر في قصة استشهاد عمر في صلاة الفجر: "إني لقائم ما بيني وبين عمر إلا عبد الله بن عباس، وكان يُسوي الصفوف، ويقول: استووا، حتى إذا لم يَرَ خللًا تقدم، وربما قرأ سورة يُوسف أو النَّحل"، فكان -رضي الله عنه- يُبكِّر بالإقامة في صلاة الفجر، فيطيل في القراءة حتى يجتمع النَّاس.
- يقول: "فما هو أن كبر فسمعته يقول: أكلني الكلب. فطار العلج بسكينٍ ذات طرفين، لا يمر على أحدٍ يمنًا أو شمالًا حتى طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلًا من المصلين، مات منهم سبعة، ولمَّا رآه رجلٌ من المسلمين طرح عليه برنسًا -الثَّوب الواسع- فنحر نفسه الخبيث، فقدَّم عمرُ عبدَ الرحمن بن عوف ليكمل الصَّلاة، فقرأ وصَلَّى بالنَّاس، والنَّاس تعجبوا خلف الصفوف أنهم لا يسمعون صوت عمر، إنما هو عبد الرحمن بن عوف، فَصَلَّى صلاةً خفيفة، فلمَّا انصرفوا قال عمر: يا ابن عباس انظر من قتلني؟ فقال: غلام المغيرة. فقال: الصُّنع؟ قال: نعم. قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفًا، الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدَّعي الإسلام"، وجَلَسَ في هذه الأثناء ثلاثة أيام ثُمَّ استُشهِد وقُبِضَ -رضي الله عنه- فجعل الأمر شُورى في ستَّةٍ: عثُمَّان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله؛ وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء.
- واختيار عمر لهؤلاء السِّتَّة دليلٌ على فَضْلهم، وَأَنَّهم أفضَل المُؤهلين لِتَحَمل أعباء الخلافة، فتشاور هؤلاء الستة، وأَجْمَعَ رَأيهم على عثُمَّان وعلي، ثُمَّ تشاوروا، وجلس عبد الرحمن بن عوف لا يبيت ثلاث ليالي يَسأل المُهاجرين والأنصار حتى اجتمع رَأيُهم على أنَّ عثُمَّانَ أفضَلَ مِن عَلي، وفي كلِّ خير، فبايع المُسلمون عثُمَّان بن عفان على الخلافة.

---

[٥٨] صحيح البخاري (٣٤٣٠).
[٥٩] صحيح البخاري (٣٦٨٩)

فهذا شأن الستة الذين جعل فيهم عُمر الشُّورى، وَهم عثُمَّان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف.

- ومن فضائل عثُمَّان -رضي الله عنه: ما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم وَسَوَّى ثِيَابَهُ، قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ فَلَمَّا خَرَجَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ، فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ، فَقَالَ: **«أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»**"[٦٠]، وهذه منقبة عظيمة لعثُمَّان -رضي الله عنه- وهذا ممَّا أُثِرَ عنه أنَّه مِن أعظم النَّاس حياءً.

- ومِن مَنَاقِبه المشهورة، أنَّه لما كان يوم بيعة الرضوان، قبل صُلح الحديبية قال الله فيهم: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ [الفتح: ١٨]، وكانوا ألف وأربعمائة، فأرسل النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- عثُمَّان إلى مكة ليفاوضهم، وكان مُحرمًا، فقال له أهل مكة: اعتمر. فقال: والله لا أفعل حتى يطوف رسول الله -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- وهذا مِن شِدة اقتدائهم بالنَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم.

- فحبسوه عدَّة أيَام، فظنَّ النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- أنَّهم أرادوا شرًّا، فبايع الصَّحابة تحت الشَّجرة على الجهادِ والقتالِ في سَبيلِ الله، فلمَّا بايعوه قال النَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- بيده اليُمنى: **«هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ»**، فَضَرَبَ بِيَدِهِ الأُخْرَى عَلَيْهَا، فَقَالَ: **«هَذِهِ لِعُثْمَانَ»**[٦١]، فجعل النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- يَدَهُ مَكَانَ يَد عُثُمَّان، وهذا يَدُلُّ على مَنقبةٍ عَظيمةٍ لعثُمَّان -رضي الله عنه.

وبعد عثُمَّان نُثْبِتُ الخلافة لعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه.

- لما قُتل واستشهد عثُمَّان -رضي الله عنه- بايع المسلمون عليًّا، وصار إمامًا حقًّا، وخليفة راشدًا، وهو الخليفة الرَّابع، ووجبت له الطَّاعة، وهذا أمر مُجمَعٌ عليه، حتى الذين اجتهدوا من الصَّحابة وأرادوا إقامة القِصاص على مَن قتل عثُمَّان، ورأوا أن ينتظروا البيعة حتى يُقتصَّ من قتلة عثُمَّان؛ كلهم مُتفقون على أنَّ عليًّا هو خيرهم، وهو الخليفة، والأولى والأحق بالبيعة، ولا أحد ينافسه إطلاقًا، ولم يكن يَدُرْ في خُلدِ معاوية أو عمرو بن العاص أو المغيرة، أو الزبير، أو غيرهم؛ أن ينازع عليًّا في هذا الأمر إطلاقًا، ولكنهم حدث بينهم اجتهاد في كونهم يريدون القصاص من قتلة عثُمَّان، ثُمَّ يُبايعون عليًا، لكنَّ علي بن أبي طالب رأى خلاف هذا الأمر، وحدث ما حدث، ولكن الجميع مُتففقون على أنَّه هو الخليفة بعد عثُمَّان، وأنَّه المستحق للبيعة، وبايعه المسلمون ولله الحمد، وهو الخليفة الرَّابع مِنَ الخلفاء الراشدين.

- والمُدَد التي تولاها هؤلاء الخلفاء الأربعة ثلاثون سنة تقريبًا، ورد من حديث سفينة -رضي الله عنه- أن النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- قال: **«خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُلْكَ أَوْ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ»**[٦٢].

---

[٦٠] صحيح مسلم (٤٤٢١).
[٦١] صحيح البخاري (٣٤٤٥).
[٦٢] سنن أبي داود (٤٠٣٠).

- فكانت خلافة أبي بكر: سنتين وثلاثة أشهر.
- وخلافة عمر: عشر سنوات ونصف.
- وخلافة عثُمَّان اثنتي عشرة سنة.
- وخلافة علي: أربع سنين وتسعة أشهر.

فالمجموع: تسعة وعشرون سنة وستة أشهر.

ثُمَّ تولى الحسن بن علي -رضي الله عنه وعن أبيه- الخلافة بعد استشهاد علي -رضي الله عنه- ستة أشهر، فصار المجموع: ثلاثون سنة.

- ثُمَّ لما اجتمع الحسن بمعاوية -رضي الله عنهم أجمعين- تنازل له عن الخلافة في سَنَةِ أربعين مِنَ الهجرة، وَسُمِّي ذلك العام بعام الجماعة، وقال النَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- قبل ذلك عن الحسن: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»[٦٣]
- فقوله -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ»، فضل عظيم للحسن، وهو مِنْ سَادَات أهل الجَنَّةِ مَعَ الحُسين -رضي الله عنهم أجمعين.
- وفي قوله: «وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»، دليلٌ على أنَّه لا يجوز اتهام أحد بالكفر، أو التَّخوين والنِّفاق والفسق، وأنَّ المطلوب هو الإصلاح وَكَفِّ اللسان، وهذا الذي تَسَبَّبَ به الحسن -رضي الله عنه- هو الإصلاح بين المُسلمين، وجمع الكلمة؛ ولذلك سُمي بعام الجماعة.
- ولو كان الحسن فوَّض الخلافة إلى فاسق -كما يزعم بعض المبتدعة- أو لكافرٍ -كما يزعم غلاتهم- لكان قد أساء إلى المسلمين، فلمَّا مَدَحَه النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- بهذا المدح وأنه سبب للإصلاح عُلِمَ أنَّ مُعاوية -رضي الله عنه- مِن خِيرَةِ المُسلمين، وأنَّ الحَسَنَ أخير وأفضل، وأنَّ جَمعَ الكَلِمَة هُو المَقصد الأعلى والأعظم، ولا شَكَّ أنَّ مَا حَدَثَ بين الصَّحابة نَكفُّ أَلْسِنَتَنَا وأقلامنا عنه، ونعتقد أنَّه بين الأجر والأجرين، فالمُصيب له أجران، والمُخطئ منهم لَه أَجر واحد.
- ونعتقد أنَّ عليًّا -رضي الله عنه- أقرب إلى الحق، وأولى بالحق لعدَّة أحاديث وردت في هذا المقام، وما جَرَىَ يوم الجمل ويوم صفِّين، وما جرى بعد ذلك من كلام وقيل وقال نُمسِكُ عنه، ولا نخوض فيه، ولا ننشره بين النَّاس حتى لا نوغِر صُدور النَّاس، وكثير مما ذُكِرَ في كُتُبِ التَّاريخ لم يثبت في الحقيقة، وكثير ممَّا في هَذه الكُتب له أجوبة ترد على بعض الإشكالات التي وردت، فبعضُ النَّاس يغلط وينقلها أمام الآخرين دون أن يُبين القَرائنَ المحتفَّة وبعض الأمور التي وقعت.
- ثُمَّ الواجب -كما تقدم- أن نذكر مناقبهم وفضائلهم، وأنَّ الله -عزَّ وَجَلَّ- رضيَ عنهم، وَنَشْهَدُ بِمَا شَهِدَ بِهِ النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- أَنَّهم في الجَنّةِ، ونقول كما قال -عزَّ وَجَلَّ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

---

[٦٣] صحيح البخاري (٢٥١٨).

- وفي هذا المقام أيضًا نرد على الخوارج، وعلى النَّواصب، وعلى بعض المعتزلة، وأهل البدع؛ الذين تكلموا في علي -رضي الله عنه- فإنَّ مَن قدح في علي -رضي الله عنه- فهو ضالٌ مُضل وَمُبتدِعٌ، والنَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- قال له: «**أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي**»[٦٤]، والنَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- قال يوم خيبر: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا، أَوْ لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يُفْتَحُ عَلَيْهِ**»[٦٥]، فأعطاها عليَّ بن أبي طالب، فهذه شهادة مِنَ النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- على أنَّ عليًّا يُحبه الله ورسوله، وهو يحب الله ورسوله، فمحبته -رضي الله عنه- إيمان، والكلام فيه كُفر ونفاق، وهكذا نقول في عُثْمَّان، فَمَحَبته إيمان، والكلام فيه كُفْرٌ وَنِفَاقٌ، وكذلك عُمر وأبو بكر، فرضي الله عَن الصَّحابة أجمعين.
- قال الطحاوي -رحمه الله: **(وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّونَ)**.
  - **الخلفاء:** جمع خليفة، سمي خليفة لأنه يتولى الأمر بعد مَن قبله، ويتولى أمور المسلمين فيما يتعلق بالحرب والغزو والقتال والجهاد، وفيما يتعلق بالقضاء والفصل بين الناس، وفيما يتعلق بحفظ الثغور وحمايتها، وفيما يتعلق بالزكاة والأموال، وفيما يتعلق بأمور الناس؛ كل هذه الأشياء تحتاج إلى إمام، ولهذا يسمى بالخليفة.
  - **الراشدون:** جمع راشد، لأنهم رَشَدون، والرَّشَد: ضد الغيِّ، فالله -عزَّ وَجَلَّ- عصمهم من الغي، ووفقهم للرشد والهدى.
- قال: **(وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّونَ)**.
  - **الأئمة:** جمع إمام، والإمام هو الذي يُقتَدى به، فلهذا فإن سيرة الصَّحابة -خصوصًا الخلفاء الراشدون- سنَّة متَّبعة.
  - **مهديون:** يعني أنَّ الله -عزَّ وَجَلَّ- هداهم، فنعتقد أنَّ الله -عزَّ وَجَلَّ- هداهم، فأعمالهم وما اتفقوا عليه وما كانوا عليه هذا هدى.
- ولهذا ثبت في السنن من حديث العرباض بن سارية، قال: "صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟ فَقَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[٦٦]

فإن هذا الحديث صريح في تسميتهم بالراشدين والمهديين -رضي الله عنهم وأرضاهم.

---

[٦٤] صحيح البخاري (٣٤٥٣).
[٦٥] صحيح البخاري (٣٩١٢).
[٦٦] سنن أبي داود (٣٩٩٣).

- وأيضًا تقدم حديث: «**اقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرَ**»، فحال أبي بكر وعمر أكمل لا شك، وحال عثُمَّان وعلي أكمل ممن بعدهم.
- فلهذا ما اتفق عليه هؤلاء الصَّحابة يكون سنَّة ماضية، لقوله -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»، فهذا هو المطلوب من أهل الإسلام من معرفة الخلفاء الراشدين وترتيبهم، وأن أولهم أبو بكر وهو الخليفة بعد النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّم- ثُمَّ بعده عمر وهو الخليفة الثاني، ثُمَّ بعده عثُمَّان بن عفان وهو الخليفة الثالث، ثُمَّ بعده علي بن أبي طالب وهو الخليفة الرابع -رضي الله عنهم.

فنحبهم ونعتقد خلافتهم، وأنهم مرتبون في الخلافة هذا الترتيب، وهذا الذي وقع قدرًا هو الأمر مشروع شرعًا، والذي يجب اعتقاد أنه حق، فأبو بكر خلافته حق، وعمر خلافته حق، وعثُمَّان خلافته حق، وعلي خلافته حق، ولا يجوز الطعن في خلافة أحد من هؤلاء -رضي الله عنهم أجمعين.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.









الدرس السادس



الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{نقرأ من قول أبي جعفر الطحاوي -رحمه الله: (وَأَنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَشَّرَهُمْ بِالجَنَّة نَشْهَدُ لَهُمْ بِالجَنَّة عَلَى مَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ؛ وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَان، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ)}.

- يقول الطَّحاوي -رحمه الله- في العَقيدةِ الطَّحاوية في أثناء ذِكر مَا يتعلق بالصَّحابة مِن وُجوب حِفظ مكانتهم ومحبتهم، ومعرفة فضلهم، وأنَّهم أفضل هذه الأُمَّة، ممَّا يتعلق بهذه المسائل: مَعرفة العشرة المبشَّرين بالجَنَّة، وأننا نشهد لهم بالجَنَّة كما شهد لهم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- وسمَّاهم بأعيانهم.
- قال: (وَأَنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَبَشَّرَهُمْ بِالجَنَّة نَشْهَدُ لَهُمْ بِالجَنَّة عَلَى مَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ).
- تقدم معنا في الدُّروس الماضية: أنَّ الشَّهادة لِمُعين بِجَنةٍ أو نارٍ لا تَجوز إلَّا لِمَن جَاء ذِكْرُه والشَّهادة له بالكتابِ والسُّنَّة بِأنَّه في الجَنَّة، ومِن هَؤلاء العَشرَة المُبَشَّرُون بالجَنَّة. وهذه مسألة أجمع عليها أهل الإسلام.
- ولذا فإنَّ العَشَرَةَ المُبَشَّرون بالجَنَّة نصَّ عليهم الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- وسمَّاهم، وهذه الشَّهادة ليست خاصة بهم فقط، حيث ثبتت هذه الشَّهادة بالجَنَّة لهم ولغيرهم أيضًا، لكن ذُكِرَ لفظُ العَشَرة

المبشَّرين بالجَنَّة؛ لأنَّ الأحاديث وردت في تعداد العشرة عن النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- مِن عدة أوجه ثبتت عن النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- وبالتَّالي ذُكر هذا الاسم "العشرة المبشَّرين بالجَنَّة"، وإلَّا فهناك غير هؤلاء ممن ثبت أنَّهم في الجَنَّة، مثل:

بلال بن رباح، وعبد الله بن مسعود، وفاطمة بنت رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- والحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- وثابت بن قيس بن الشَّماس، وأبو هريرة، وخديجة بن خويلد، وأُمهات المؤمنين.

- فكل هؤلاء شهد لهم الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- بالجَنَّة، والأحاديث في ذكر الشهادة بالجَنَّة ليست خاصة بالعشرة المبشَّرين بالجَنَّة، ولكن -كما تقدم- أنهم خُصُّوا بهذا الوصف؛ لأنهم وردوا في حديث واحدٍ مِن عِدَّة أوجه عَن النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- في عِدة مُنَاسبات سمَّاهم النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- بأسمائهم -كما سيأتي.
- فنشهدُ لهم بالجَنَّة على ما شَهِدَ لهم رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- فرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- قوله الحق، ولا يقول إلا الحق: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٤]، ومَا دَام أنَّ الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- شهد لهم بالجَنَّة فنشهد لهم بالجَنَّة، وأنَّهم يدخلون الجَنَّة مِن أول وهلة، ولا يدخلون النَّار؛ بل هُم خِيار هذه الأمَّة، بل هم السَّابقون إلى الجَنَّة، بل هم في مُقدمة مَن يَدخل الجَنَّة مع النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- وفي هذا أعظمُ رَدٍ على أهل البدع الذين أخذوا يتكلمون في بعضٍ أصحاب النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ.
- وعلى هذا فشهادة النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- لهم بالجَنَّة هي شهادة قطعيَّة ثابتة مُجمَع عليها، وبالتَّالي فالكلام في واحدٍ مِن هؤلاء هُو قَدحٌ في المُتَكَلِّم، فالمبتدعة الذين تكلموا في العَشَرة فكلامهم في الصَّحابة دليلٌ على ضَلالتهم، ودليلٌ على أنَّهم خرجوا عن سبيل النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- وشاقُّوا الله والرسول - نسأل الله العافية والسَّلامة.
- فكون النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- يَشهد لهم بالجَنَّة، ثُمَّ يأتي أحد المتأخرين مِن السُّفهاء ولو قرأ كثيرًا أو درس كثيرًا؛ ثُمَّ يتكلم في أحدٍ منهم؛ فهذا هو السَّفه والضَّلال والعَمَى -نسأل الله العافية والسَّلامة.

قال المؤلف: (وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَان، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ).

- كُلُّ واحدٍ مِن هَؤلاءِ له مَناقب وله فَضَائلَ كثيرة كما تقدم، ويُراجع في هذا كُتب المناقب في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما.
- من الأحاديث التي سبقت الإشارة إليها: حديث سعيد بن زيد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وهو من ضمن المبشَّرين بالجَنَّة، قال: (أشهد على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- أني سمعته يقول: «عشرة في الجَنَّة، النَّبي في الجَنَّة، وأبو بكر في الجَنَّة، وعمر في الجَنَّة، وعُثْمَان في الجَنَّة، وعلي في الجَنَّة، وطلحة في الجَنَّة، والزبير

في الجَنَّة، وسعد بن مالك في الجَنَّة، وعبد الرحمن بن عوف في الجَنَّة»، العدد الآن تسعة، ثُمَّ قال: (ولو شئت لسميت العاشر)، من العاشر؟ هو سعيد بن زيد.

- والحادي عشر: هو أبو عبيدة، وقد ذكر في حديث آخر قال: «**طلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة**».
- وعن عبد الرحمن عوف -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ- قال: «**أبو بكر في الجَنَّة، وعمر في الجَنَّة، وعلي في الجَنَّة، وعُثْمَان في الجَنَّة، وطلحة في الجَنَّة، والزبير بن العوام في الجَنَّة، وعبد الرحمن بن عوف في الجَنَّة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجَنَّة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجَنَّة»**.

هنا ذكر أبو بكر وعمر، وقدَّم عليًّا في الرواية هنا، لكن في الرواية الأخرى عند أحمد قدَّم عُثْمَان على علي، فهؤلاء هم الخلفاء الأربعة.

ثُمَّ قال: طلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة.

فهؤلاء خمسة مع الأربعة، صاروا تسعة، بقي سعد بن أبي وقاص، وقد ورد في حديث آخر، فهؤلاء -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- كلهم في الجَنَّة.

- عن عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنها- قالت: "أَرِقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ" يعني: أصابه الأرق. فَقَالَ: «**لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ**»، قالت: إِذْ سَمِعْنَا صَوْتَ السِّلَاحِ فقَالَ النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ: «**مَنْ هَذَا؟**» قَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ أَحْرُسُكَ، فَنَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى سَمِعْنَا غَطِيطَهُ[٦٧].
- وقال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ارْمِ فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**»[٦٨]، فجمع له أبويه يوم أحد.
- وفي صحيح مسلم عن قيس بن أبي حازم قال: "**رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ الَّتِي وَقَى بِهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ شَلَّتْ**".
- وعن أبي عُثْمَان المهدي قال: "**لَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ الَّتِي قَاتَلَ فِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُ طَلْحَةَ وَسَعْدٍ**"[٦٩]، يعني: سعد بن أبي وقاص.
- والنَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ- قال في الزبير: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ**»[٧٠]. ولما انطلق إلى بني قريظة ورجع، قال له النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ: «**فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**»[٧١].
- وأمَّا أبو عبيدة عامر بن الجرَّاح فقال النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ- في شأنه: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ**»[٧٢].

---

[٦٧] رواه البخاري (٢٨٨٥)، ومسلم (٢٤١٠).
[٦٨] رواه البخاري (٥٨٣٠) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفَدِّي أَحَدًا غَيْرَ سَعْدٍ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: "ارْمِ فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي" أَظُنُّهُ يَوْمَ أُحُدٍ.
[٦٩] رواه البخاري (٣٥١٧)
[٧٠] رواه الترمذي (٣٧٤٥)
[٧١] رواه مسلم
[٧٢] رواه البخاري ومسلم

- قال الطحاوي: (وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ)، لما ذكر أبو عبيدة، وهذا لقول النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»، وهذا صحيح في البخاري ومسلم.
- وأيضًا في الصحيح من حديث حذيفة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: "جاء أهل نجران إلى النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- فقالوا: يا رسول الله، ابعث إلينا رجلًا أمينًا، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ»، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ» فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ»[٧٣]، فهذه منقبة عظيمة جدًا لأبي عبيدة عامر بن الجراح -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
- وقد تُوفي قبل استشهاد عُمر، ولهذا عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: "لَوْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ حَيًّا لاسْتَخْلَفْتُهُ؛ لأني سمعت النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- يقول: «وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»"، فهذا يدل على فضل أبي عبيدة بن الجراح -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أجمعين.
- وجاء في الصحيح من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتْ الصَّخْرَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اهْدَأْ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ»، النَّبي محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- والصديق أبو بكر، والشهداء هؤلاء قد حصلت لهم الشهادة.

؟ هل معنى هذا أنهم ليس لهم في منزلة الصديقيَّة شيء؟

- لا، ولكن أكمل النَّاس تصديقًا هو أبو بكر، وإلا فالصَّحابة كُلهم فيهم هذه الصفة -التَّصديق والإيمان- ولكن أبو بكر بلغ المنزلة العُليا -رَضِيَ اللهُ عَنْه.
- فهؤلاء نشهد لهم بالجنَّة ونترضَّى عنهم، وعن جميع أصحاب النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ.

؟ هل أبو عبيدة غير قريشي؟.

أظنه مِن السَّابقين الأولين مِنَ المُهاجرين -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ويُراجع هذا في ترجمته.

- قال الشَّارح: (وقد اتفق أهل السُّنَّة على تعظيم هؤلاء العَشرة وتقديمهم لِمَا اشتُهِرَ مِن فضائلهم ومناقبهم، وَمَنْ أَجهَلُ مِمَّن يَكره التَّكلُّم بلفظ "العشرة" أو فِعل شَيءٍ يَكون عشرة؛ لكونهم يَبغضون خِيَار الصَّحابة).
- الشَّارح هُنا يتكلم عَن الرافضة أنهم يَكرهون كلمة "العَشَرة"؛ لأنَّهم يُبغضون العَشرة المبشَّرين بالجنَّة، مع أنَّ مِنهُم علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وهذا مِن مَخازيهم، والله -عز وجل- قال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨]، وكل هَؤلاء العَشرة مِمَّن بايع تحت الشَّجرة، إلَّا أَنَّ عُثْمَان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قد أرسله النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- إلى مكة فحُبس هناك، حَبَسَه أهلُ مكة الكفار، فظنَّ النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- أَنَّهم آذَوه أو قتلوه، فبايع الصَّحابة على القِتال، ثُمَّ قال بيده اليمنى: «هذه لعُثْمَان»، وضرب بها بيده

[٧٣] رواه البخاري (٤١٤٢)

الأخرى، فجعل النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ- يده نيابة عن يد عُثْمَان، ولاشك أنَّ نيابة النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ- في هذا مِن أَعظَمِ مَنَاقِبِ عُثْمَان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

- والرَّافضة أيضًا يَتبرؤون مِن جمهور الصَّحابة، وليس مِن العَشَرَة فقط، إلا تسعة أو سبعة أو خمسة؛ يستثنونهم من أصحاب النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ- وهذا كُله من ضلالتهم، والواجب هو محبة الصَّحابة وتوليهم والتَّرضِّي عنهم جميعًا، ومعرفة أنهم خير القرون، لا كان ولن يكون مثلهم، وأنهم -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- قاموا بنصرة الإسلام، ونصرة النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ- وحفظ القُرآن والسُّنَّة، وحفظ الوحي، وبذل النَّفس والنَّفيس، وبذلوا المُهَج والأنفس والأرواح والأموال في سبيل الله، وتركوا أوطانهم وأموالهم لله -عز وجل- وَنُصرةً لدينهِ وَلِرَسُولِه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ، لكن هكذا بعض المبتدعة قد انقلب على عقبيه، وخالف دلائل الكتاب والسُّنَّة وَمَا أَجمَعَ عَليه المُسلِمُون.

والنَّصيحة لهؤلاء: أن يَتوبوا إلى الله -عز وجل- وأن يَستغفروا الله، وأن يعرفوا فَضل الصَّحابة ومناقبهم، وأن يَكُفوا ألسنتهم عَن أصحابِ النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ- وأن يَعرفوا أنَّ شرفَ صُحبة النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ- لا يَعدِله شَرف، ولا يَعْدله شيء، فمن كان مُصاحبًا للنَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ- ومُلازمًا له، والوحي ينزل على النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ- وهم بين يديه، ويعلمهم، ويأمرهم، وينهاهم؛ فَلا شَكَّ أنَّ هؤلاء هُم خِيارُ هذه الأمة، وقد قال النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ: **«خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»**[٧٤].

- والرَّافضة بدلًا مِن أن يُوالوا الصَّحابة صاروا يُوالون الاثني عشر إمامًا، ولا شَكَّ أنَّ أولهم عليٌّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ونحن نُواليه كما نُوالي الصَّحابة جميعًا، وكذلك الحَسَن والحُسين وعلي بن الحسين؛ فالصَّحابة والتَّابعون لهم بإحسان نحبُّهم ونتولاهم مِن أهلِ بيتِ النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ- وَمَن غيرهم ممن كان مِن أهلِ الإسلام والإيمان، لكنَّ الرَّافضة يُوالون اثني عشر إمامًا، ويعتقدون أنَّ الوَصي بعد النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ- هو علي بن أبي طالب، وأنَّه قد اغتُصبَت منه الخِلافة والإمامة، وأنَّ مَن اغتصب الخلافة هُم أَبُو بكرٍ وَعُمَر وعُثْمَان والصَّحابة، وبالتَّالي يُكفِّرونهم أو يُفسِّقونهم، ويتَّهمونهم بالظُّلم والطُّغيان، ويسبُّونهم؛ وكل هذا بسبب هذا الضلال في مسألة الإمامة، فيعتقدون أنَّ الإمامةَ تكون بالنَّصِّ وبالوصاية، وأنَّ الوَصي بعد النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ- هو علي بن أبي طالب، ثُمَّ بعد علي الحَسَنَ، ثُمَّ الحُسَين، ثُمَّ ذرية الحسين وهم:

علي بن الحسين -يُسمى بـ "زين العابدين" رحمه الله- وهم من الصَّالحين لا شَكَّ، وَمِن خِيار النَّاس في زمنهم.

ثُمَّ محمد بن علي، ويُقال له: "الباقر"، وهذا رجلٌ صالحٌ مِن أهلِ العِلمِ والعِبَادة.

ثُمَّ جعفر بن محمد، ويقال له: "الصادق" ولا شَكَّ أنَّ هذا معروف بالسُّنَّة والإمامة، والفضل والخير، ولكن لم يتولَّ ولاية، ولكنه معروفٌ بالخير، وقد أكثروا في الكَذب عنه، فتجد الكتب التي عند هؤلاء،

---

[٧٤] رواه البخاري (٢٦٥٢) ، ومسلم (٢٥٣٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود.

يقولون: "قال أبو عبد الله" وَيَقْصِدُون جعفر الصَّادق، ولكن أكثر ما يُنقل عنه ليس بصحيح، ثُمَّ بعد جعفر يذكرون بقيَّة الأئمة الاثني عشر، وذكرهم في الشَّرحِ، وُهم:

- ✓ مُوسى بن جعفر، يسمى: "الكاظم".
- ✓ ثُمَّ علي بن موسى، يسمى: "الرضا".
- ✓ ثُمَّ محمد بن علي، يسمى: "الجواد".
- ✓ ثُمَّ علي بن محمد، يسمى: "الهادي".
- ✓ ثُمَّ الحسن بن علي العسكري.
- ✓ ثُمَّ محمد بن الحسن.
- ✓ ثُمَّ محمد بن الحسن.

- وهذا (محمد بن الحسن) الذي يَقولون: إنه وُلد وإنه في السِّرداب، وتجاوزوا في الحد تجاوزًا عظيمًا، وبالغوا في هذا الأمر مبلغًا وصل إلى الخُرافات، ووصل إلى الأشياء التي لا يقبلها صاحب فطرة سليمة ولا عقل سليم، فضلًا عمَّن هداه الله بنور القُرآن والسُّنَّة، فالمؤرخون وأهل المعرفة اتفقوا على أن الحسن بن علي العسكري لم يُولد له، وهؤلاء زعموا أنَّه وُلد له ولد اسمه محمد، وغالوا في محبته، وزعموا أنَّه هُو المهدي المنتظر، وأنَّ النَّاس ينتظرون خروجه، وأنَّه في السِّرداب موجودٌ، وأنَّه سيخرج ويملأ الأرضَ قِسطًا وعدلًا، وَسَيَقْتُل مَن عَادى أهل البيت -بزعمهم- وهذا يُسمونه "المهدي المنتظر"، ويقولون: إنَّه موجودٌ مِن عام ٢٥٦هـ، وإلى الآن ينتظرونه! فمضى قرابة مئتين سنة ولم يخرج إلى الآن! فهذا كله يدل على الإنحراف والضَّلال.

- والحقيقة ذكر الاثني عشر إمامًا لم يرد إلَّا على وجهٍ يُبطل مَقولة الرَّافضة، فَوَرَدَ عَن النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- أنَّه قال: **«لَا يَزَالُ أَمْرُ النَّاسِ مَاضِيًا مَا وَلِيَهُمُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا»**[٧٥]، ثُمَّ تكلم النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- بكلمة خفيت على الراوي جابر، قال جابر: فسألتُ أبي ماذا قال النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ؟ قال: "قال: **«كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»**"، وفي لفظٍ: **«لَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ عَزِيزًا إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»**، وفي لفظ: **«لَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ عَزِيزًا إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً»**، فلاحظ قوله: **«لَا يَزَالُ أَمْرُ النَّاسِ مَاضِيًا»**، **«لَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ عَزِيزًا»**، **«لَا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ عَزِيزًا»**؛ إذن لا يُمكن أن يكون فيه قهر وظُلم وضياع للحق.

فهذه الأحاديث تَدُلُ على إبطال عَقيدة الرَّافضة الذين يقولون: إنَّ أَبا بكرٍ اغتصبَ الخِلافةَ، وأنَّ الخليفة الحَق هُو "علي" مقهورٌ ومظلومٌ!

- فكيف يكون الإسلام عزيزًا! فتمسُّكهم بهذا الحديث ضدهم وليس معهم، وهم لا يتمسَّكون إلَّا بِمَا يَهوون، ويتركون ما لا يَهوون، ولكن لو نظرت في التَّاريخ الإسلامي، ونظرت في الواقع؛ وجدت أنَّ عِزَّة الإسلام وقوَّته في زمن الخُلفاء الرَّاشدين بالإجماع، في زمن أبي بكر، وعمر، وعُثْمَان، وعلي؛ ثُمَّ معاوية تولى أمر المسلمين،

---

[٧٥] رواه البخاري (رقم/٧٢٢٢) ومسلم واللفظ له (رقم/١٨٢١).

وصار إمامًا بتنازل الحسن بن علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وقال النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**»[٧٦]، فأثنى على الحسن بتنازله وإصلاحه، ولا يتنازل الحسن إلى من هو مفسد كما يزعم هؤلاء المبتدعة؛ بل هذا دليل على فضل معاوية أيضًا كما هو دليل على فضل الحسن -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أجمعين.

- وتقدم أن الخلفاء الراشدون تولوا الخلافة ثلاثين سنة، ثُمَّ معاوية تولى عشرين سنة، ثُمَّ جاء يزيد بن معاوية وتولى ثلاث سنوات، ثُمَّ حدث فُرقة ونزاع بعد موت يزيد ببضع سنوات، ثُمَّ استتبَّ الأمر لعبد الملك بن مروان، وجمع الناس بالقوة والغلبة، فأذعن الناس له، وانقاضت له جميع الأقطار واجتمع الناس عليه.
- فإذا عددنا الخلفاء الأربعة، ثُمَّ مُعاوية ويَزيد وَعَبدَ الملك؛ فيكونون سبعة، وأولاد عبد الملك أربعة -الوليد بن عبد الملك بن مروان- وسليمان بن عبد الملك بن مروان - ويزيد بن عبد الملك بن مروان- وهشام بن عبد الملك بن مروان- وفي المنتصف تولى عمر بن عبد العزيز؛ فصار المجموع اثنا عشر خليفة تَوَلوا أَمْر المُسلمين.
- وفي زمن هؤلاء كان الإسلام عزيزًا جدًّا، فبلغ الإسلام أقاصي الأرض في شَرقها وَغربها، وَشَمالها وجنوبها، والحمد لله على انتشار الإسلام وظهوره، فوصل إلى أقاصي الصين مِن جهة الشَّرق، ووصل إلى أقاصي المَغرب وأفريقيا مِن جِهة الغَرب، وبلغ الأندلس وتلك الجهات، والحمد لله على نعمة الإسلام.

فهؤلاء هُم الاثنا عَشر المقصودون في الحديث الذي كان الإسلام في وقتهم عزيزًا، وهم:

الخلفاء الراشدون، ثُمَّ معاوية، ويزيد، وعبد الملك بن مروان، وأبناؤه الوليد وسليمان ويزيد وهشام، وبينهم عمر بن عبد العزيز -رحمهم الله.

- ثُمَّ أَخَذَ الأمر في التَّناقُص حتى زالت دولة "بني أميَّة"، ثُمَّ جاءت دولة "بني العباس"، وحدث فيها خير واجتمع النَّاس، ولكن حدث فيها نواقص كثيرة، وظهر بعض الشيء فيها، ثُمَّ في وسط دولة بني العباس حصل ضعف وتفكُّك، وفي آخرها اشتدَّ الأمر وظهرت كثيرٌ من البدع والخرافات والفِرَق والضلالات، ثُمَّ بعد زوال دولة بني العباس جاءت الدويلات، واستمر الأمر على هذا الضعف والتَّفكُّك، يقوى أمر المسلمين أحيانًا، ويضعف أحيانًا، ولكن -ولله الحمد- كما قال النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ**»[٧٧]، فالإسلام محفوظ، والقُرآن محفوظ، والسُّنَّة محفوظة، ولابُدَّ مِن وجود أهل الحق، باقين ثابتين عليه -ولله الحمد.
- وَمِن هُنا نعلم مِن هذه النَّظرة التَّاريخية أنَّ أفضل هذه الأجيال على الإطلاق هو جيل الصَّحابة، فهم القُدوة لهذه الأمة، وهم الأُسوة، والذي تَولى الأمر مِن الصَّحابة هم أفضل مَن تَولى على المُسلمين،

---

[٧٦] رواه البخاري (٢٧٠٤) عَنْ أَبِي مُوسَى
[٧٧] رواه البخاري (٧٣١١) ومسلم (١٥٦) عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ

فأفضلهم: أبو بكر، ثُمَّ عمر، ثُمَّ عُثْمَان، ثُمَّ علي، ثُمَّ الحسن، ثُمَّ معاوية بن أبي سفيان، ولا شكَّ أنَّ هؤلاء أهل رحمة وعدل وعلم وخير، فَرَضِي اللهُ عنهم أجمعين.

- ثُمَّ مَن جاء بعدهم، ولكن ليسوا كالصَّحابة، ولكن أقل منهم، ولا يزال الأمر في تناقص، ولكن في الجملة الدِّينُ محفوظ، والقُرآن محفوظ، والسُّنَّة محفوظة، والعِبرة بما قاله الله ورسوله، وبما أجمع عليه الصَّحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أجمعين.

من يضرب في الصَّحابة هو لا يهمه أصلا الانتصار لعلي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أو ما شاكل ذلك، إنما يريد هَدم الكتاب والسُّنَّة.

- لا شكَّ أنَّ مِن أعظم وسائل القَدح في القُرآن والسُّنَّة والقَدح في الدِّين هو القَدحُ في الصَّحابة، وصرَّح بهذا الباطنية، وَذَكَرَ هَذا الأَمرُ عنهم عبد القاهر البغدادي في كتابه: "الفَرقُ بين الفِرَق"، وَذَكَرَ هَذا أَبُو حامدٍ الغَزَالي في "فضائح الباطنية"، وأقرَّ هذا جمعٌ مِن أهلِ العِلم عَن هؤلاء العلماء، وذكروا أنَّ الباطنية قالوا: إنَّه لا سَبِيلَ لَكُم -أي: إلى القَدح في القُرآن والسُّنَّة- إلَّا بأن تُظهروا محبة علي رضي الله عنه؛ لينخدع بعض النَّاس بأنَّكم تُحبون علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأنَّه هو المظلوم، وأنَّه حصل له كذا وكذا، وأنَّ الذي ظلمه هُم هَؤلاء الصَّحابة، فبهذه الطريقة يحتالون على السُّذَّج وعلى الأغرارِ حتى يوقعوا في قلوبهم بُغْض بَعْض الصَّحابة، فإذا أبغضوا بعض الصَّحابة توسَّع الأمر، ثُمَّ يُبغضون مَن مَعَهُم، وهكذا حتى إذا جاء الحديث عن أبي هُريرة -مثلًا- وَقَعَ فِي نفسهِ شَيء؛ لأنَّه يتَّهم أبا هريرة -بزعمهم- أو إذا جاء الحديث عن عُمر وقع في نفسه شيء؛ بسبب ما حصل من تلك التَّشكيكات من أعداء الإسلام، ولهذا يجب رفض هذه المناهج الباطلة للمبتدعة، ويجب معرفة فضل الصَّحابة، والدفاع عنهم، والذَّبّ عنهم، ولا شكَّ أنَّ الدِّفاع عنهم هو دِفاعٌ عَن الشَّريعة الإسلامية، ودفاعٌ عَن القُرآن، ودفاعٌ عَن السُّنَّة؛ بل دفاعٌ عَن النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- ونُصرةً للنَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ.

- ولهذا إذا قدحتَ في أصحاب الرَّجُلِ وخلَّانه وأخدانِه والذين يُعاشرهم ويُماشيهم؛ فأنت قدحتَ فيمن يصاحبهم ويكون معهم، وتقدم قول علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لما حضر جنازة عمر، فترحم عليه ودعا وقال: **"ما كنت أرجو أن ألقى الله بعمل أحب إلي من ألقى الله بمثل عملك، وطالما سمعت رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- يقول: «وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»**[٧٨]، فأرجو أن يجمعك الله مع صاحبيك".

- يقولها لعمر، فإذا جاء في قلب أحدٍ من النَّاس سُوء الظَّنّ بعمر، أو سوء الظَّنّ بأبي بكر؛ فإنَّه سيسوء ظنُّه برسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- ويقع في الكُفر، ولهذا فإنَّ هذ الباب يجب سدَّه، ويجب معرفة فضلهم، ويجب معرفة مناقبهم وبثّها بين النَّاس.

---

[٧٨] البخاري (٣٤٨٢)، ونصه: مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ وَحَسِبْتُ إِنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ

- ومن الأشياء الطيبة: أن يُبيَّن لمن غلط مِن هؤلاء أنَّ أَهْلَ بيت النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ- وأصحاب النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ- وأهل البيت مِنَ الصَّحابة أيضًا بينهم مِنَ المَودة والمحبَّة والولاء والاتفاق في أمور الدِّين مَا يَقْطَع تلك الشُّبهات، وتلك الأكاذيب والافتراءات، ونشر هذه المسائل وبيان فضائل أهل البيت ومحبَّة أهل البيت للصحابة وموالاتهم لهم، ومحبة الصَّحابة لأهل البيت ورحمتهم بهم؛ هذا -بإذن الله- مِن أسباب الرَّد على هؤلاء الذين ضلوا في هذه المسائل الخطيرة.

قد يقول بعض النَّاس: هذه الأمور فرَّقت بيننا، ولماذا هؤلاء سنَّة وهؤلاء شيعة؟

- نقول: الواجب أن نَرُدَّ النَّاس جميعًا وَنَرُدَّ أنفسنا إلى كتابِ الله وَسُنَّةِ رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ- وقد دَلَّ القُرآن ودلَّت السُّنَّة على محبة الصَّحابة وفضلهم ومناقبهم، وثناء الله -عَزَّ وَجَلَّ- عليهم، وأمَّا الأكاذيب التي يَروِيها المبتدعة، أو يَروِيها بعض النَّاس لإيغار الصُّدور ضد الصَّحابة؛ فهذه لا يجوز أن نروجها، إذ كيف نروج الكذب ونترك الحق وما قاله الله وقاله رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ؟!
- هذا حديث العَشَرة المبشَّرين بالجَنَّة دليلٌ قاطعٌ على بُطلان القَدح في واحدٍ منهم، وفي غيرهم أيضًا، فؤلاء العشرة كل الصَّحابة أصحابهم وجلساؤهم، والنَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ- قال: **«المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»**[٧٩]، وقال: **«هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»**[٨٠]، فكيف نتكلم في أحد منهم؟!
- بل إنَّ محبتهم مِن أسبابِ دخول الجَنَّة، ومحبتهم مِن أَسباب الاقتداء بهم، والتَّأسِّي بهم، ولا شَكَّ أننا لا يمكن أن نَلحق الصَّحابة في العمل إطلاقًا، لكن إذا أحببناهم واشتقنا إلى أفعالهم وإلى أخلاقهم، واشتقنا إلى رُؤيتهم، فهذا يَحدُونا إلى أن نُصلح أنفسنا، ونُصلح قلوبنا، ونُصلح أعمالنا، وأن نجتهد في العبادة والطَّاعة، ونجتهد في البُعدِ عَن ما ابتعدوا عنه مِنَ الفِتن، وما ابتعدوا عنه من الفسق والفجور.
- فحقيقة سِيَر الصَّحابة عطرة جدًّا، ومن أسباب تقوية الإيمان، ولهذا يجب أن تُربَّى أجيال الأمة ذكورًا وإناثًا على محبَّة الصَّحابة والاقتداء بهم، والاستفادة من أخلاقهم وسِيَرهم، واليوم شبابنا وشابَّاتنا أحوج ما يكونون إلى النظر في سيرة الصَّحابة الكرام -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- بدلًا من أن ينظروا إلى سِيَر أو أخلاق الفَجَرة، أو بعض الممثلين، أو بعض المغنيين، أو بعض الفُسَّاقِ، أو بعض الكُفَّار؛ فهؤلاء لا خَير فِيهم، ولا يُقتدى بهم، فينبغي لنا أن نغرس في أبنائنا وبناتنا، فولي الأمر كالأب والأم يذكرهم بأخلاق الصَّحابة، وأخلاق الصحابيات -رَضِيَ اللهُ عَنْهُن- أمهات المؤمنين وأزواج النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسَلَّمَ- ونساء الأنصار ونساء المهاجرين؛ أخلاقهم عظيمة في كل أمور الدين، وكل ما يتعلق بالنساء.

فمن أسباب علاج المشاكل في الأمة اليوم: أن نُربي أجيالَنا على الاقتداء بجيل الصَّحابة قدر المستطاع، ولا نيأس مِن روح الله، وكما قال بعض السلف: "قراءة سيَر الصالحين سياط القلوب". فكما أنَّ الخيل وهي تمشي إذا ضُربت بالسِّياط اشتدَّ سَيرها وأسرعت في الإقدام، فهكذا قلوب النَّاس، يُصيبها النِّسيان والغَفلة والتَّكاسل، فإذا نظرت في سيرة

---

[٧٩] رواه البخاري (٦١٦٩) ، ومسلم (٢٦٤٠) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ
[٨٠] رواه البخاري (٦٤٠٨) ومسلم (٢٦٨٩) - واللفظ له – عن أبي هريرة

الصَّحابي الجليل، وأعماله، وأخلاقه، وعبادته، وتقواه لله، وخوفه من الله، ورجائه لفضل الله؛ يحدوك وتجتهد، كالسَّوط الذي يضرب الفرس، فهذه القصص تشجعك على السَّيرِ على منهاج الصَّحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

- فشتَّان ما بين منهج أهل البدع الذين يَقدحون في الصَّحابة ويسبونهم ويُغيرون الصدور ويُثيرون الفتن، وبين منهج أهل السُّنَّة والجماعة الذي يُبين للنَّاس أنَّ هؤلاء هُم القُدوة، وأنَّهم **«خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي»**[٨١] كما قال النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- وأنَّهم هم الأسوة لهذه الأمة بعد النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ.
- فنسأل الله -جل وعلا- بمنَّهِ وكرمه أن يجعلنا وإياكم ممن يقتدي بالصَّحابة، وممن يسير على منهجهم، فهؤلاء القوم -كما قال بعض السَّلف- قد حطوا رحالهم في الجَنَّة، ولَغبارٌ دخل في أنوفهم في غزوة مع الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- خير من ملئ الأرض من الموجودين الآن، هؤلاء -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- ماذا أصابهم في مكَّة قبل الهجرة، وماذا حصل لهم في المدينة من التعب والجوع، بعض الصَّحابة لما جاؤوا يكفِّنونه ما غطوا رجليه، فإذا غطوا رأسه انكشفت رجليه، وإذا غطوا رجليه انكشفت رأسه!
- ولذا كان النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- والصَّحابة يربطون بطونهم برباط حتى يتحملوا الجوع، فالصَّحابة يوم حفر الخندق بعضهم ربط بطنه بحجر، فلمَّا رأوا النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- وإذا به قد ربط حجرين، جوع عظيم أصابهم وَهُم صَابرين وَمُحتسبين، فأخبارهم عطرة، وما أجملها!

◆ **ولو نقرأ في فضائل الصَّحابة لا شَكَّ أنَّ هذا مِن أَعظمِ أبوابِ زيادة الإيمان**، فمن أسباب زيادة الإيمان النظر في سِيَر الصَّحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- ومن أسباب صلاح المجتمع، ومن أسباب صلاح الجيل، فاليوم نعاني من أجيال وشباب انبهروا ببعض الغربيين الكفرة أو ببعض الفجرة والممثلين الضالين الذين لا همَّ لهم إلَّا التَّبرج والسُّفور ومخالطة النِّساء الأجانب، فصار بعض الشباب ينبهر بهذا أو ذاك، ويتابع ذلك المغني وتلك المغنية، وكذلك بعض الفتيات يُتابعونهم في قصَّاتِ شعورهن، فهؤلاء مَساكين وبحاجةٍ إلى أن نأخذ بأيديهم، وَنَدُلَّهم على القُدواتِ الصَّحيحة، وَنَدُلَّهم على النَّاسِ الذين ينبغي أن يُقتَدى بهم، وَهُم أَصحاب النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- من الصَّحابة والصَّحابيَّات -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أجمعين.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



[٨١] البخاري (٢٦٥٢) ، ومسلم (٢٥٣٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود





الدرس السابع



الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{في هذه الحلقة -بإذن الله- نقرأ مِن قول أبي جعفر الطحاوي -رحمه الله: (وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ)}.

- فبعدما ذَكَرَ أبو جعفر الطَّحاوي –رحمه الله- فَضَائِلَ الصَّحابةِ ومكانَتِهم ومَنزِلَتِهم، والخلفاءَ الرَّاشدين، والعشَرةَ المبشَّرينَ بالجنَّةِ، ووجوبَ الإمساكِ عمَّا شَجرَ بينَ الصَّحابةِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- نبَّهَ على مَسألةٍ مُهمَّةٍ، وهي أنَّ:
  - **علامَة الإيمان وعلامَة البراءة من النِّفاق هي**: ذِكْرُ الصَّحابةِ بالخيرِ والحسن.
  - **وعلامة النِّفاق هي**: الكلام في الصَّحابةِ بالقدحِ فيهم.
- وهذا مأخوذ من الحديث الذي مَرَّ معنا في صحيح البخاري: أنَّ النَّبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ»[٨٢]، فإذا أحسنَ القولَ في أصحابِ النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وفي أزواجِه وفي ذرِّيَّاته؛ فقد برئ من النِّفاق، وأمَّا إذا أساءَ القول في أَحَدٍ مِنَ الصَّحابةِ أو واحدةٍ مِن أمهاتِ المؤمنينَ أو مِن ذريَّةِ النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهو مُنَافقٌ -نسأل الله العافية والسَّلامة.

[٨٢] صحيح البخاري (١٦)

وأصحابُ النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يجبُ إحسان القول فيهم؛ لأنَّ الله -عَزَّ وَجَلَّ- أَثْنَى عليهم؛ ولأنَّ الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَثْنَى عليهم؛ ولأنَّهم -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- خير القُرون.

- قال المؤلف عن أُمَّهَاتِ المُؤمنين أزواج النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ).
- قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فالله -عَزَّ وَجلَّ- أرادَ أن يُذهب عنهم الرِّجسَ، وَيُطهرَهم بما أنزلَ عليهم مِنَ الشَّرائع والوحي والخير الذي جاء به الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ثم قال: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، هؤلاء هُنَّ أمهات المؤمنين، أزواج النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].
- إذن أوَّلُ مَن يدخل في هذا الوصف: أمهات المؤمنين أزواج النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولهذا فإنَّ مَن قَدَحَ في أَحدٍ من نِساءِ النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كعائشة أو غيرها؛ فهذا زنديقٌ كافرٌ مُرتدٌّ بإجماعِ المسلمين، وقد حكى الإجماع جمعٌ غفيرٌ من أهلِ العلمِ، مثل:

ابن كثير الدمشقي في تفسيره المشهور "تفسير ابن كثير"، حيث ذكر هذه المسألة في سورة النور عند قوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦]، فالله -عَزَّ وَجلَّ- جعل أطيب البَشَر وأزكاهم محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا يكون مَعهُ إلَّا طَيِّبَة، قال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾.

- الذين يَقدحون في الصَّحابةِ أصنافٌ، أشهرهم الرَّافضة، ولهذا كثُر فيهم القَدح في أصحاب النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولهذا يقول أهل العلم: "يكثر فيهم النِّفاق"، بل قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فَإِنَّ رُؤَسَاءَهُمْ كَانُوا مُنَافِقِينَ زَنَادِقَةً"[٨٣] نسأل الله العافية والسلامة.
- وذكر الشَّارح ابن أبي العز الحنفي بعدما أورد حديثًا عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطِيبًا، بِمَاءٍ يُدْعَى: خُمًّا، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي، فأجيب، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، ثَلَاثًا»[٨٤]، بل جاء عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: "ارْقُبُوا مُحَمَّدًا فِي أَهْلِ بَيْتِهِ"[٨٥].
- والشَّاهدُ: أنَّ الشَّارحَ أوردَ هذا، ثم قال: "لِأَنَّ أَصلَ الرَّفْضِ إِنَّمَا أَحْدَثَهُ مُنَافِقٌ زِنْدِيقٌ، قَصْدُهُ إِبْطَالُ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَالْقَدْحُ فِي الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ"، وذكر قصَّة عبد الله بن سبأ فقال: "فَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَبَإٍ لَمَّا أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ، أَرَادَ أَنْ يُفْسِدَ دِينَ الْإِسْلَامِ بِمَكْرِهِ وخبثه، كما فعل بولس بِدِينِ النَّصْرَانِيَّةِ، فَأَظْهَرَ التَّنَسُّكَ، ثُمَّ أَظْهَرَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ -وهذا يُستمال به

---

[٨٣] مجموع الفتاوى: كتاب مجمل اعتقاد السلف.
[٨٤] صحيح، ورواه ابن أبي عاصم أيضا في "السنة" "١٥٥٠ و١٥٥١ و١٥٥٥".
[٨٥] صحيح البخاري "٣٧١٣ و٣٧٥١".

كثير من الأغرار- حَتَّى سَعَى فِي فِتْنَةِ عُثْمَانَ وَقَتْلِهِ، ثُمَّ لَمَّا قَدِمَ عَلِيٌّ الْكُوفَةَ أَظْهَرَ الْغُلُوَّ فِي عَلِيٍّ وَالنَّصْرَ لَهُ، لِيَتَمَكَّنَ بِذَلِكَ مِنْ أَغْرَاضِهِ، وَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا، فطلب قتله، فهرب منه إلى قرقيس، وخبره معروف في التاريخ"، وبقيت في نفوس المبطلين خمائر بدعة الخوارج من الحروريَّة والشيعة.

- قال: "وَلِهَذَا كَانَ الرَّفْضُ بَابُ الزَّنْدَقَةِ، كَمَا حَكَاهُ الْقَاضِي أَبُو بكر ابن الطَّيِّبِ عَنِ الْبَاطِنِيَّةِ"، الباقلاني له لكتاب عن الباطنية، وبيان مَكرهم وأساليبهم.
- قال: "وَكَيْفِيَّةِ إِفْسَادِهِمْ لِدِينِ الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَقَالُوا لِلدَّاعِي"، يعني: الباطنية إذا أراد يعينوا داعٍ يُفسد المجتمع -يُسمونه الدَّاعي: "يَجِبُ عَلَيْكَ إِذَا وَجَدْتَ مَنْ تَدْعُوهُ مُسْلِمًا أَنْ تَجْعَلَ التَّشَيُّعَ عِنْدَهُ دِينَكَ وَشِعَارَكَ"، يعني أظهِر التَّشيُّع وأنَّك من شِيعة علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
- قال: "وَاجْعَلِ الْمَدْخَلَ مِنْ جِهَةِ ظُلْمِ السلف لعليّ وقتلهم الحسين، والتبري من تيم وعدي، وبني أمية وبني العباس، وقل بالرجعة، وَأَنَّ عَلِيًّا يَعْلَمُ الْغَيْبَ! يُفَوَّضُ إِلَيْهِ خَلْقُ الْعَالَمِ!! وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ أَعَاجِيبَ الشِّيعَةِ وجهلهم، فإِذَا أَنِسْتَ مِنْ بَعْضِ الشِّيعَةِ عِنْدَ الدَّعْوَةِ إِجَابَةً وَرَشَدًا، أَوْقَفْتَهُ عَلَى مَثَالِبِ عَلِيٍّ وَوَلَدِهِ"، انظر! حتى علي بن أبي طالب والذي يُظهرون محبَّته، إلا أنَّ الباطنية في الحقيقة لا يُحبونه.
- ولهذا قال الشارح: "وَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَتَطَرَّقُ مِنْ سَبِّ الصَّحَابَةِ إِلَى سَبِّ أَهْلِ الْبَيْتِ، ثُمَّ إِلَى سَبِّ الرَّسُولِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذْ أَهْلُ بَيْتِهِ وَأَصْحَابُهُ مِثْلُ هؤلاء عندالفاعلين الضالين"، يعني: الذين تكلموا في الصَّحابة ظلموا عليًّا؛ فحقيقة هؤلاء يعلمون علم اليقين أنَّ هذا كلام غير صحيح، فيتطرق سبهم للصَّحابة إلى سبِّهم هم لأنفسهم لمن يدَّعون حبه والغلو فيه.
- **فالمقصود**: أنَّ البراءة من النِّفاق أعظمها بالسَّلامة من الكلام في الصَّحابة، فإذا رأيت الرجل يتكلم في الصحابة فاعلم أنه قد أتى بابًا عظيمًا من أبواب النِّفاق في الدِّين -النِّفاق الاعتقادي.
- وهذا مَوجود في الرَّافضة، وفي الباطنية الآن، وكذلك بعض المعتزلة، والخوارج والإباضية يتكلمون في "علي" أو "معاوية" أو "عثمان"، وكذلك مَن يسمون أنفسهم بالتَّنويريين والعقلانيين والعلمانيين والليبراليين؛ تجد لهم كلامًا في خير القرون، يسبُّونهم ويرمونهم بالتُّهم جزافًا تقليدًا أعمى، أو ميلًا لبعض البدع القديمة -نسأل الله العافية والسَّلامة- ولهذا يُلازمهم النِّفاق، فنسأل الله أن يُعافينا وإيَّاكم إخواننا الكرام.

وهذا أصل عظيم عند السلف، وهو وجوب حفظ حق الصَّحابة ومعرفة مكانتهم -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وأرضاهم.

{قال -رحمه الله: (وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ الصَّالِحِينَ وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ، لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ)}.

- هذه المسألة الثَّانية، بعد الفراغ مِن بيانِ حُقوقِ الصَّحابةِ ومكانةِ أهل البيت، وحفظ مكانتهم ومنزلتهم، ومحبتهم -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- انتقل لمن جاء بعدهم وهم التَّابعون، قال الله -عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ

مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، والنَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[٨٦]، فهؤلاء الذين يَلونهم لم يرهم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بل قال: «وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي».

فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوَلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانَكَ؟

قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي»[٨٧].

- وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ »[٨٨].

فعلماءُ التَّابعين هُم أفضل هذه الأُمَّة بعد الصَّحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- وأتباع التَّابعين، وأتباع تابعي التَّابعين وهكذا.

- قال: (وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ الصَّالِحِينَ وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ)، يعني أنَّ بعض العُلماء اشتغل بحفظ حديث الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وروايته، ومعرفة طرقه وأسانيده، وبعضهم اعتنى بالفقه والفهم والدِّراية أكثر من الحفظ، وبعضهم جمع بين الأمرين ويُسمون "فُقَهَاءُ أهلِ الحَدِيثِ"، فبعضهم مُشتغلٌ بالفقه، وبعضهم مُشتغلٌ بالحديثِ، وبعضُهم جمعَ بينَ الأمرينِ كالإمامِ أحمد، والشَّافعي، ومالك، وإسحاق بن راهويه، والبخاري، ونحوهم؛ وكلُّ هؤلاء -سواء مِن أهلِ الفقه، أو أهلِ الحديث، أو مَن جمَعَ بيَنَ الأمرين- على خيرٍ عظيمٍ، نعرف لهم مكانتهم، ونحفظ لهم حقهم، ونعرف منزلتهم، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، كم قدموا للمسلمين مِن خَيرٍ مِن حفظِ للسنَّة، وحفظٍ للدين، وأبعدوا عن هذا الدين الكذب والإفك والافتراء والأقاويل الفاسدة، والظنون الباطلة؛ فجزاهم الله عنَّا وعن المسلمين خير الجزاء.

- ولهذا قال: (لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ)، فلا يجوز الطَّعن في أهلِ العِلم والتَّنقُّص منهم، وليس هذا معناه أنهم معصومون؛ بل الخطأ يرد على أحدهم، فليسوا بمعصومين، ولكن لا يجتمعون على خطأ؛ لأنَّ إجماعهم يدل على أنَّهم أصابوا الحق؛ لأنَّ إجماعهم حجَّة.

أَمَّا إذا اجتهدوا فأخطأوا؛ فالخطأ مغفور، ولهم أجر واحد، وإذا اجتهدوا فأصابوا فلهم أجران -رحمة الله عليهم وجزاهم الله عنَّا وعن المسلمين خير لجزاء.

- وإذا وقع الخلافُ بين العلماء في مَسألةٍ مِن مَسَائِلِ الفقه فنعتذر لهم، ولكن نأخذ بالصَّحيح، ونأخذ بالرَّاجح الذي تدلُّ عليه الأدلَّة الشَّرعيَّة، فإذا جهلنا وعجزنا أخذنَا بقولِ مَن نثقُ في عِلمِه، قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

ويُقصد بالعلماء هنا: العلماء الصادقون النَّاصحون الرَّاسخون في العِلم، أمَّا الذين يأكلون الدُّنيَا بالدِّين، ومن عُرف عنهم التَّلاعب؛ فهؤلاء لا يُسمون عُلماء حتى لو لبسوا لباس العُلماء، إنَّما الكلامُ عَن العُلماء

---

[٨٦] صحيح البخاري (٢٤٧١)، صحيح مسلم (٤٦٠٧).
[٨٧] مسند أحمد (١٢٣٣٩).
[٨٨] صحيح مسلم (٢٨٣٢).

الرَّاسخين في العِلم، المعروفين بالسُّنَّة والاتباع، والمعروفين بالاستقامة على الشَّريعة، فهؤلاء العُلماء نحفظ لهم مكانتهم، ونعرف أنَّ لهم عذرًا إذا خالفوا الصَّواب.

- وألَّف الشيخ ابن تيمية -رحمه الله- رسالة جميلة في أعذار يُعتَذر بها لأهل العلم إذا وقع أحد منهم في خلاف الراجح أو خلاف الصواب.

وجماع هذه الأعذار ترجع إلى:

◆ **العذرُ الأوَّل:** عدم اعتقاد بعضهم أنَّ النَّبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال هذا الحديث، فيظنُّ أنَّ هذا الحديث ضعيف، أو لم يثبت عنده، أو لم يبلغه.

◆ **العذر الثَّاني:** عدم اعتقاد أنَّ النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أرادَ هذه المسألة على هذا المعنى، يعني: الاختلاف في الفَهم، وضرب لذلك مثال: «**لَا طَلَاقَ فِي إِغْلَاقٍ**»[٨٩]، ما المراد بالإغلاق؟ بعضُهم يَفسِّره بمعنى، وبعضُهم يُفسِّره بمعنًى آخر؛ فتجدهم يختلفونَ في الحكمِ؛ لأنَّهم فَهِمُوا الكلامَ على حسبِ ما أعطاهم اللهُ مِن عِلمٍ في اللَّغةِ العربيَّةِ، ولذا فيتفاوتُ الحكم.

◆ **العذرُ الثَّالث:** اعتقاده أنَّ هذا الحكم مَنسوخ، فهذا مِن الأشياء التي يقع بين أهل العلم بسببها خلافٌ، وإذا اختلف العلماء في مسألة يأخذ بالأقرب للتَّقوى، والأتقى والأعلم فيما يظنُّه هو في نفسه، ولا يكون مُتلاعبًا ومحتالًا.

وعلى كلِّ حالٍ فموضوع حديثنا هو أن نعرف فضل العلماء الرَّاسخين في العلم، ونحفظ مكانتهم، ونحفظ منزلتهم، ونعرف مَن هم العلماء الرَّاسخون في العلم، فهم الذين عرفوا السُّنَّة، وعرفوا الكتاب، ولزموا طريق السَّلف الصَّالح -رحمة الله عليهم- ونسأل الله -جلَّ وعلا- أن يجعلنا وإيَّاكم وجميع إخواننا المسلمين ممَّن يسلك مسالكهم ويقتفي أثرهم.

- هذه هي الجملة الأولى التي بين أيدينا، قال: **(وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ الصَّالِحِينَ وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ)**، الفقه والنَّظر يعني: القياس والاستدلال والفهم. قال: **(لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ)**، مثلًا أنت رجَّحت قولًا وتجد أنَّ الإمام الشَّافعي لم يأخذ بهذا القول، هل تقول: إنَّ الشافعي لا يفهم!!

- هذه كلمة بشعة ولا تجوز، فأنت على غيرِ السَّبيل إذا قلتَ هذا الكلام، الشَّافعي إمامٌ عظيمٌ، والأئمة مالك وأبو حنيفة وأحمد وغيرهم؛ نحفظُ حقَّهم ولا نذكرهم بسوءٍ أبدًا، حتى لو لم نُرجِّح قولهم، أو أخذنا بقول غيرهم؛ بل نحبهم ونعرف منزلتهم، ونعرف فضلهم على هذه الأمَّة، هُم وسائرِ أهلِ العلم مِن أهلِ الحديث والفقه -رحمة الله عليهم جميعًا؛ ولذا قال: **(وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ)**.

{قال -رحمه الله: (وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ)}.

---

[٨٩] ضعفه الألباني في التعليقات الرضية (٢/٢٦٢).

- هذه مسألة كبيرة ومهمَّة، لَمَّا انتقل إلى ذكر العلماء ناسَبَ أن يذكرَ أهل العبادة والتَّقوى وأهل الصَّلاح، فكلُّ مؤمنٍ تَقيٍّ فهو وليٌّ، قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، فَمَن كانَ مُؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا.
- **الولي**: مأخوذ من الولاية، والولاية: القُرب والمحبَّة، هذا يلي هذا، أي: قريب منه.

وأنتَ إذا قُمتَ بأمر الله -عَزَّ وَجلَّ- وآمنتَ بالله ورسوله، وعملتَ الأعمال الصَّالحة، واتقيتَ الله؛ اقتربتَ من الله، ومن ثَمَّ أحبك الله -عَزَّ وَجلَّ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وفي الحديث: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْحَرْبِ»[٩٠]، وفي رواية «فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»[٩١]، لكن الأولياء على درجات، ونقصد بالأولياء هنا المؤمنين، فالمؤمنين ليسوا على درجةٍ واحدةٍ.

- ❑ **القسم الأوَّل**: أكمل النَّاس ولاية هم الذين أخلَصوا وصدقوا في الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ والتَّقوى، فأعظمُ النَّاسِ مَقامًا في هذا هم الملائكة والأنبياء والرُّسل، والصَّحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، والصِّديقون والشُّهداء، وحسنُ أولئك رفيقًا، ومَن جاء بعدهم ممَّن التزم هذا المنهج وسلكَ هذا المسلك واتقى الله -عَزَّ وَجلَّ- في كلِّ حياته حتى لقيَ ربه.
- ❑ **القسم الثَّاني**: هم عكس هؤلاء، وهم أعداء الله -عَزَّ وَجلَّ- وفي مُقدمتهم إبليس عدو الله وجنده وأحزابه وأشياعه وذريَّته، فهؤلاء الأبالسة والشَّياطين، وكذلك الكفَّار مِن الملاحدة والمُشركين واليهود والنَّصارى والمجوس، وغيرهم؛ فكلُّ هؤلاء هم أعداء الله -عَزَّ وَجلَّ- ما داموا على الكفر فهم أعداء الله، وأعداء رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويجب البراءة منهم، ويجب معاداتهم في الله، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١]، وقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥١]، ونحو ذلك مِن الآيات.

وبهذا يُعلَم أنَّ مَن وقعَ في هذه الضَّلالات كالملاحدة أو الاتِّحاديَّة والباطنيَّة، فلا يجوز أن يُظَنَّ فيهم الولاية كما يَعتقدُ بعضُ الصُّوفيَّة، تجدهم يقولون: هذا وليٌّ، بالرغم من أنَّه يتركُ الصَّلاةَ ويفعلُ المنكراتِ، ويتعرَّى ويفعلُ الفواحش! ومَن اعتقد فيهِ الولايةَ فهو زنديقٌ وكافرٌ مثلُه، فلا يُمكن أن يكونَ وليًّا إلا مَن كانَ مؤمنًا بالله تقيًّا للهِ -عَزَّ وَجلَّ.

- ❑ **القسم الثَّالث**: هُم مَن فيهم ولايةٌ مِن وجهٍ، وعداوةٌ للهِ من وجهٍ، وهم المؤمنون العُصَاة، فهؤلاء بإيمانهم قد صاروا أولياءَ لله -عَزَّ وَجلَّ- ولرسوله ولدينه، ولكن لَمَّا حصلَ منهم تقصير ونقص ومعصية؛ حصل عندهم من العداوة، مثل:

---

[٩٠] سنن البيهقي الكبرى (١٩٣٢٥).
[٩١] صحيح البخاري (٦٠٤٨).

- المسلم الذي يقع في الرِّبا -نسأل الله العافية والسَّلامة- فهو مِن وجهٍ مسلم قد وَالَى الله -عَزَّ وَجلَّ- وأسلم وتبرأ من الشِّرك، وحافظ على الصَّلاة، فهو وليٌّ من هذا الوجه، ومن وجهٍ آخرٍ هو عدوّ؛ لأنَّه وقع في الرّبا، قال الله -عَزَّ وَجلَّ- في أكلةِ الربا: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩].
- ولهذا فإنَّ مِن الكتب المفيدة النَّافعة لطالبِ العلم ولكلِّ مسلمٍ، وأحيلُ الإخوةَ عليها، وهي: رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية بعنوان: "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان"، بَسَطَ هذا الموضوعَ لمسيسِ الحاجة إليه، ولا شكَّ أنَّه موضوعٌ يحتاجه النَّاس اليوم؛ لأنَّ هناك بعض الشُّبهات، مثل خوارق للعادة تحدثُ عند بعض هؤلاء الدَّجالين والمشعوذين، مثل:
  - ✓ أن يرونه طائرًا، ويقولون هو ذهب يحجُّ بالطَّيران، وهو قد طارَ به الجنُّ.
  - ✓ ويقولون: إنَّه ينظر في اللوح المحفوظ.
  - ✓ أو أنَّ مَن لاذَ به أو احتمى به لم يدخل النَّار، ونحو ذلك مما يدَّعونه في بعض هؤلاء.
- فهؤلاء يجب أن نعتقد أنهم أولياء للشيطان، وليسوا أولياء للرحمن، ويجب أن نبرأ إلى الله منهم، ويجب على ولاة أمور المسلمين في كل بلدٍ مُسلم منع هؤلاء المشعوذين والدَّجالين حتى لو ادعوا الولاية؛ لأنَّ الولاية هي الإيمان والتَّقوى، وهي المحافظة على الإسلام الذي جاء به الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والإسلام واضح، وما فيه هذه الأشياء والخزعبلات والخرافات، ما فيه رقص ولا تطبيل ولا طيران، وترك للصَّلوات، وأكل أموال الناس بالباطل، ومُزاولة السِّحر؛ وكذلك الذي يأكل الحيَّات والعقارب، أو يبلع المسامير، أو يدخل في جسمه السِّكِّين؛ فكل هؤلاء دجَّالون محتالون أولياء للشَّيطان، وليسوا أولياء للرحمن، ويجب البراءة منهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[فاطر: ٦].

بعضهم يخدع النَّاس بخدع كثيرة، مثل: أن يُخفي مالًا ويقول: إنَّه ولي، وأنَّ هذا المكان لو حفرتم فيه لوجدتُّم مالًا أو طعامًا، وقد سبقَ أن ذكرنا أمثلةً على هذا فيما أذكر.

- ومِن ضلالاتِ بعضِ الصوفيَّة وعلى وجهِ الخصوصِ ابن عربي وله أتباع، قالوا هذا الكلام الإجرامي الكفري، فقالوا: إنَّ الولي أعلى من النَّبي وأعلى مِن الرَّسول. اللهمَّ صلِّ وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

حتى أنهم يقولون: "إن مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي"، فالولي عندهم أعلى.

فقولهم: "والنبي مقامه في برزخٍ وسط فويق الرسول"، يعني النبي صار فوق الرسول، و"دون الولي"، يعني الولي أعلى شيء، ثم النبي، ثم الرسول؛ عَكَسُوا الحقيقة!

- والله -عَزَّ وَجلَّ- قال: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، ما قال "الله يصطفي الأولياء"، فهو اصطفى الرُّسلَ، فهم خيرة البشرِ، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فالرسل هم أفضل خلق الله، ولكن هؤلاء طواغيت الصوفية عَكَسُوا؛ فجعلوا هذا الولي بزعمهم أنَّه خير من النبي.

- ويقول ابن عربي -كما ذكر الشَّارح: إنَّه جعلَ نَفْسَه خاتَمَ الأولياء، كما أنَّ محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خاتمُ الأنبياء، فهو خشي أن يقولَ للنَّاس إنَّه نبيٌّ فاحتال بحيلة أن يكون الولي أحسن من النَّبي وأعلى، ثم يجعل نفسه خاتم الأولياء، يعني: هو أفضل واحد في الدنيا وأفضل واحد في البشر! وهذا من الطُّغيانِ العظيمِ الذي دَخَلَ في نفسِهِ وهو لا يشعرُ أو يشعر! وهذا مبثوث في كتبه الخطيرة.
- ولهذا فإنَّ الذين يُبجِّلونَ ابن عربي في هذه الأزمِنَة المتأخِّرة مع أنَّه قد انفضح -ولله الحمد- وتولَّى فضحه مئات العلماء، وقد أُلِّفَت رسالة ضخمة جدًّا في جمعِ أقوال العلماء في كلامهم في ابن عربي؛ إلا أنَّ هناكَ مِن المجرمين مَن يُريد اليومَ إحياءَ مذهبَ ابن عربي على وجهِ الخصوصِ، ومذهبه يقوم على الإلحاد، على أنَّ الخالقَ والمخلوقَ شيءٌ واحدٌ -نسأل الله العافية والسلامة- فحذاري حذاري من هؤلاء!
- يقول: (وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ)، وهذا حقٌّ، فالأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام- هم خَيرُ البشر؛ بل إنَّ الأولياء مِن أولهم إلى آخِرِهم لو جُمِعُوا لا يُعادلون نبيًّا واحدًا، فالأنبياء خير من الأولياء.
- **وأفضل الأولياء على الإطلاق**: هو أبو بكر الصديق، ومع ذلك فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أعلى منه، ومَن فضَّل أبا بكرٍ على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهو كافر.
- وبهذا نعرف أنَّ ابنَ عربي وجماعتَه وكلَّ مَن يُروِّجُ لمذهبِهِ يسلكونَ مسالكَ الضَّلالة، وأنَّهم خرجوا عن طريقِ النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- -نسأل الله العافية والسلامة- وما أخبث هذا الحال! وما أخبث هذا المنهج وهذا المسلك! أنَّ الإنسان يَدَّعِي الإسلامَ ويَدَّعي أنَّه مسلم ثم يسلك مسلك هذا الطَّاغوت ويُفضِّل ابن عربي وجماعته على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

بعضهم يقول: هذا مدسوسٌ عليهم وما قالوه!

مدسوسٌ وتُعيدون طباعة الكتب نفسها! وإلى اليوم تُعيدون نفس الطباعة، وتجمِّلونها وتنشرونها مجَّانًا! أتُخادِع نفسك أنت؟!

- أنتَ دَسَسْتَ في نفسِك النِّفاقَ وأنت ما تشعر بتعاونك مع هؤلاء الذين ماتوا وهلكوا، وقد حذَّر العلماءُ منهم، فحذاري حذاري إخواني المسلمين في جميع مشارق الأرض ومغاربها من هذا الضَّلال العظيم، ولهذا يجب على أهلِ الإسلام أن يعظِّمُوا النَّبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأن يعظِّموا الأنبياء والرُّسل التَّعظيم اللائق بهم، وأن يَدْحَروا مذاهبَ هؤلاء الذين يَصلُح أن نَصِفَهم بالزَّندقةِ والنِّفاقِ؛ لأنَّهم فضَّلوا شخصًا مَعروفًا بالضَّلالِ على النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نسأل الله العافية والسلامة.
- وأحيلكم يا إخواني إلى شرح ابن أبي العز، وقد ذكر كلامَ ابن عربي وعلَّقَ عليه، فقال: "فَمَنْ أَكْفُرُ مِمَّنْ ضَرَبَ لِنَفْسِهِ الْمَثَلَ بِلَبِنَةِ ذَهَبٍ" يعني: ابن العربي وصف نفسه بأنه لبنة ذهب.

قال: "وَلِلرُّسُلِ الْمَثَلَ بِلَبِنَةِ فِضَّةٍ"، يعني: أنَّ الذَّهبَ أعلى.

- قال: "فَيَجْعَلُ نَفْسَهُ أَعْلَى وَأَفْضَلَ مِنَ الرُّسُلِ؟! تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غَافِرٍ: ٥٦]. وَكَيْفَ يَخْفَى كُفْرُ مَنْ هَذَا كَلَامُهُ؟ وَلَهُ مِنَ الْكَلَامِ أَمْثَالُ هَذَا، وَفِيهِ مَا يَخْفَى مِنْهُ الْكُفْرُ، وَمِنْهُ مَا يظهر، فلهذا يحتاج إلى نقد جَيِّدٍ"، وما أشبه هؤلاء بمَن قال: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤]"، إلى آخر كلامه.
- فهذا الموضوعُ موضوعٌ مهمٌّ جدًّا، وهو معرفةُ أنَّ الأولياءَ لا يُمكنُ أبدًا إلا أن يكونوا مؤمنين أتقياء، ولا يُمكن أن يكونَ وليًّا معاندًا للهِ ورسولِهِ، ولا يُمكن أن يكون وليًّا وهو يعمل خلاف الشَّريعة، أو يعتقد الضَّلالات، بل هؤلاء الذين يعملونه هو خلاف الشَّرعِ، ويدعون للضلالات؛ فهؤلاء أولياء للشَّيطان وليسوا أولياء للرَّحمن.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.







الدرس الثامن



الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{نبتدئ في هذه الحلقة -بإذن الله- من كلام أبي جعفر الطَّحاوي -رحمه الله: (وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ)}.

- بعدما فرَغَ -رحمه الله- من ذكر شأن الصَّحابة ومنزلتهم العظيمة، ثُمَّ منزلة العلماء والتَّابعين للصَّحابة بإحسان، ثُمَّ ذَكَرَ مسألة عدم تفضيل الأولياء على الأنبياء، وأنَّ هذا مِن ضلالات الصُّوفيَّة، وأنَّ أهل السُّنَّة والجماعة لا يُفضِّلون الوليَّ على النبيِّ؛ انتقل إلى ما يتعلق بالأولياء وكراماتهم.
- سبق قولنا أنَّ الولي هو: المؤمن التَّقي، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، فمَن كان مُؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا. أمَّا مَن لم يكن مؤمنًا ولم يكن تقيًّا فليس من أولياء الله بأيِّ حالٍ من الأحوال.
- **ومما يتعلَّق بالأولياء**: الإيمان بالكرامات التي يُجريها الله -عزَّ وجل- على أيدي الأولياء، فنؤمن بهذه الكرامات، وبما صحَّ عن الثِّقات مِن رُواياتهم.
- وقد ذَكَرَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- في القُرآن شيئًا من هذه الكرامات التي وقعت لبعض أولياء الله، مثل: مريم بنت عمران، وهي ليست نبيَّة؛ بل هي امرأةٌ صالحةٌ من أولياءِ الله، فهي وَليَّةٌ لله -عَزَّ وَجَلَّ- أثنى الله عليها وعلى صلاحها، وقد قال الله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ

﴿هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]، فهذا يدلُّ على أنَّ أولياء الله -عَزَّ وَجَلَّ- قد يَرزقهم بهذا الأمر، وهذا شيءٌ في القُرآن نُؤمنُ به.

- كذلك ما جرى لأصحاب الكهف، وهم فتيةٌ آمنوا بربهم، قال الله -عَزَّ وَجَلّ: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، وهؤلاء ليسوا أنبياءً وليسوا رسلًا؛ بل هم فتيةٌ صالحون متقون لله موحَّدون، تبرؤوا من الشِّرك وأهله، وهربوا منه، واعتزلوا قومهم، ولجؤوا إلى هذا الكهف، فألقى الله -عَزَّ وَجَلَّ- عليهم النَّوم، ولبثوا في هذا الكهف ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا، وهذا -لا شكَّ- أنَّه آية وعلامة على قُدرةِ الرَّب -سبحانه وتعالى- وكرامة لهؤلاء.
- وليس هذا مُختصًّا بما ذُكرَ في القُرآن فقط؛ بل ثبت في السُّنَّة عن النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنَّه ذكر كراماتٍ لبعض ما تقدَّم من الأمم السَّالفة من صالحيها ومتَّقيها، مثل الثَّلاثة الذين انطبقت عليهم الصَّخرة في الغار[٩٢]، فهم قد آووا إلى المبيت في الغار، فانطبقت عليهم صخرة أغلقت الغار، فدعوا الله -عَزَّ وَجَلَّ- بصالح أعمالهم، فكشف الله -عَزَّ وَجَلَّ- عنهم هذه الصخرة، والقصة معروفة في الصَّحيحين.
- وكذلك حديث جريج العابد[٩٣] الذي أنطق الله -عَزَّ وَجَلَّ- الصَّبي الذي قال: "أبي راعي الغنم"، وقد كانت امرأة بغي اتَّهمت جريجًا بأنَّه هو الذي أتاها وتغشَّاها حتى حملت منه بالزّنا، وهو رجل عابد، ولكن الله -عَزَّ وَجَلَّ- أنقذه منها، فتكلَّم الصَّبي وشَهِدَ، وهذه آية وكرامة أكرمه الله -عَزَّ وَجَلَّ- بها.
- ومثل هذا كثير؛ بل أخبر نبيُّنا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن بعض الصَّحابة أنَّه مُستجاب الدَّعوة، وعن بعض التَّابعين أنَّه مُستجاب الدَّعوة، واستجابة الدُّعاء من الكرامات.
- وكذلك أخبر النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنَّ رجلًا من هذه الأمَّة يقف أمام الدَّجال في آخر الزَّمان، فيقول: "أنتَ الدَّجال الذي أخبرنا عنك رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[٩٤]، فيأمر به الدَّجال فيُشقُّ نصفين، ثم يُقال له: عُد، فيعود كما كان، فيقول له: "والله ما ازددتُّ فيكَ إلا بصيرة، أنت الدجال الكذاب الذي أخبرنا عنك رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، والحديث في صحيح مسلم، وفي المرة الثالثة لا يُسلط عليه، فلا يستطيع الدَّجال أن يتسلَّط عليه كما قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهذا يدلُّ أن هذه كرامة أكرمها الله -عَزَّ وَجَلَّ- لهذا الشَّاب.
- فموضوع الكرمات موضوعٌ عظيم، يُبته أئمة أهل السُّنَّة في كتب العقدية، ويُقرِّرون هذه المسألة ردًّا على ضلالات المعتزلة العقلانيين الذين يُنكرون الكرامات ويجحدونها، بل حتى المعجزات، وردًّا على مَن يغلو في الكرامات، لأنه قال: (وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ)، أما الذي لا يصح كالأكاذيب والظُّنون أو الافتراءات أو الحكايات التي لا سند لها، أو المنامات التي لا عبرة بها؛ فهذه لا يُعتمدُ عليها في إثبات كرامةٍ لشخصٍ حصلت له.

---

[٩٢] البخاري: (٢٢٧٢)

[٩٣] أخرجه البخاري (١٢٠٦) (٣٤٣٦) ومسلم (٢٥٥٠) وأحمد (٨٠٧١) (٨٠٧٢)

[٩٤] البخاري (١٨٨٢)

- وهذا يقودنا إلى مسألة أخرى، وهي:

؟ ما الفرق بين الكرامة والمعجزة والسِّحر والشَّعوذة، والمخاريق التي يفعلها شياطين الإنس والجن وأعظمهم الدَّجال؟

- الجواب عن هذا، نقول:

النوع الأول: المعجزة.

- فما كان فيه خرقٌ للعادة وجرى على يدِ نبيٍّ من أنبياء الله فهو دليلٌ على قُدرة الرَّب -سُبْحَانَه وَتَعَالَى- وأنَّ الله -عَزَّ وَجَلَّ- جعله نبيًّا، ودليلٌ على نبوَّته، ومثل ذلك:
  - عصا موسى التي ضرب بها البحر فانفلق البحر وانشقَّ وصَار كالطَّود العظيم، وصاروا يمشون في برٍّ يابسٍ بعدما كان بحرًا مليئًا بالأمواج يغرق فيه مَن مشى فيه.
  - وكذلك الآيات التسع التي أُعطيها موسى.
  - وكذلك ما أعطى الله -عَزَّ وَجَلَّ- عيسى من الآيات.
  - وكذلك ما أعطى الله -عَزَّ وَجَلَّ- جميع الأنبياء، فإنَّ كلَّ نبيٍّ يُعطيه الله -عَزَّ وَجَلَّ- آية، يُسمِّيها بعض العلماء "المعجزة"؛ لأنَّه يُعجِزُ غيره، وبعض أهل العلم يُحب أن يسمّيها بالتَّسمية القرآنيَّة النَّبويَّة مثل: "آية" أو "دليل" أو "بيّنة" أو "برهان" أو نحو ذلك.

ولهذا فإنَّ البخاري في صحيحه يقول: "باب علامات النُّبوَّةِ فِي الإِسلامِ"، والبيهقي له كتاب بعنوان: "دلائل النُّبوَّة" والله -عَزَّ وَجَلَّ- في سورة الحديد يقول: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وهذا كثير في القرآن وفي السُّنَّة، فيُسمَّى ما يُعطيه الله -عَزَّ وَجَلَّ- لأنبيائه ولرسله من الحُجَج الدَّالَّة على أنَّهم رُسُلِ الله حقًّا بهذه الأسماء التي سبَقت "آية، دليل، علامة نبوة، دليل نبوَّة، وبرهان، وبيّنة"، ولكن تسميتها بـ "معجزة" لا إشكال فيها؛ لأنَّه لا مُشاحَّة في الاصطلاح، ولكن يُلحظ إلى أمرٍ مهمٍّ، وهي مسألة التَّحدِّي، أنَّ بعض الذين يُعرِّفون المعجزة بأنَّها "أمرٌ خارق للعادة يُجريه الله -عَزَّ وَجَلَّ- على يد نبيّه يتحدَّى به الأعداء - أو الكفَّار"، أنَّ التَّحدِّي لم يرد في هذه الآيات إلَّا في القرآن العظيم قوله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، فالتَّحدي لم يُذكر إلَّا في شأنِ القرآن، في أربعة أو خمسة مواضع في القرآن، أمَّا الآيات التي أُعطيها نبيُّنا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فلم يُنقل عنه أنَّه تحدَّى الكفَّار فيها، فلم يقل: أتحدَّاكم أن تفعلوا مثلما فعلتُ أنا، أو أتحدَّاكم أن تأتوا بشيءٍ مثل هذا!!

وعلى كلِّ حالٍ فالأمر في ذلك قريب، ولكن الأفضل أن نُعبِّر بالتَّعبيرات الشَّرعيَّة العلميَّة.

هذا هو المعنى الأوَّلُ وهو البرهين ودلائل النُّبوَّة التي يُسمّيها بعض العلماء: "المعجزات"، فهي: يُجريها الله -عَزَّ وَجَلَّ- عل يد أنبيائه ورسله، ليستدلَّ بها العباد على أنَّهم أنبياء الله حقًّا.

- وفي هذا جاء الحديث عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنَّه قال: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدِ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٩٥]، اللهم صلِّ وسلِّم عليه.

ولا شكَّ أنَّ القرآن آيةٌ باقيةٌ إلى قيام السَّاعة، فهذا القرآن لا ريبَ فيه ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفيه حُجج الله وبيِّناته، وفيه ما على مثله يؤمن البشر، لو أقبلوا عليه عرفوا الحق.

النَّوع الثاني: الكرامة.

- وهي: أمر خارق للعادة يُجريه الله -عَزَّ وَجَلَّ- على يد عبدٍ صالحٍ من عباده، المؤمن أو المسلم، ولكن لا نقول: إنَّه نبي، ومَن قال: إنَّه نبي صار ليس بمؤمنٍ ولا مُسلمٍ، فيكون قد ادَّعى النُّبوَّة وصار كذَّابًا، فهذا هو الفرق بينَ ما يكون على يدِ النَّبيّ أو ما يكون على يد المؤمن الصَّالح الولي، فالذي يجري على يد المؤمن الولي الصَّالح يُسمَّى عند أهل العلم ويُسمَّى في الشَّرع: "كرامة" فيُكرمه الله -عَزَّ وَجَلَّ- بها.
- والمقصود من هذه الكرامات: هي تقوية دينه، وتثبيته على الدِّين، أو قضاء حاجة من حاجاته الدُّنيويَّة.

فهذا هو تعريف الكرامة.

النَّوع الثَّالث:

- ما يجري على أيدي المشعوذين والسَّحرة والكذَّابين والدَّجالين وأمثالهم، فهذه الخوارق للعادات التي تجري على أيديهم كأن يمشي على الماء أو يطير في الهواء، أو يتصرَّف بتصرفاتٍ لا يقدر عليها عامَّة النَّاس، فهذه تُسمَّى خوارق للعادة، فهذه الأشياء لا عبرة بها، ولا يُحتجُّ بها.
- والعلامة البارزة بينها وبين ما يكون من كرامات: هو حال الإنسان، فإذا كان مؤمنًا تقيًّا صارت كرامة، وإذا كان فاجرًا أو كافرًا صارت سحرًا وشعوذةً وكذبًا، وأمرًا خارقًا لا عبرة به.
- والناس يتأثَّرون بهذه الأشياء، فيتأثَّرون بما يخرج عن العادة التي اعتادها الناس، فالناس يعتادون على أشياء مُعيَّنة، فتجد المجتمع الذين في سنٍّ مُتقاربة يتقاربون في طريقة تعاملهم، في أكلهم، في بيعهم، في شرائهم، في قدراتهم، في ذكائهم؛ فإذا وُجِدَ مَن يخرج عنهم وينبو عنهم ويزداد عنهم زيادة معقولة فلا يُستغرَب هذا، أمَّا إذا وُجِدَ مَن يزيد عليهم زيادة عالية جدًّا؛ فهذا ينبهرون به، ويتعجَّبون منه، وربَّما يأخذ بلبِّهم.

وأصول هذه الأشياء ثلاثة: العلم، والغنى، والقدرة.

- ولهذا تُسمَّى هذه الصِّفات "صفات الكمال"، وهذه لا تكون على وجه الإطلاق إلا لربِّ العالمين، ولا تكون لمخلوق، فكمال العلم، وكمال الغنى، وكمال القدرة؛ لله ربِّ العالمين، ولهذا أمر الله -عَزَّ وَجَلَّ- نبيَّنا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يبرَّأ من دعوى هذه الثَّلاثة في سورة الأنعام، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ

---

[٩٥] رواه البخاري (٤٦٩٦) ومسلم (١٥٢)

عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ فيه نفى الغنى ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾، نفى العلم ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ فيه نفى القدرة ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

- حتى نوح -عليه السلام- أمره الله -عَزَّ وَجَلَّ- بذلك، فقال في سورة هود: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [هود: ٣١]، فسبحان الله! هذا أوَّل رسول أُرسلَ إلى أهل الأرض.
- وهذا خاتم الأنبياء والرسل محمد -صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الرسل- كلُّهم تبرؤوا من هذه الثَّلاث، وهي ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾، وتارة يأتي بعض النَّاس ويقول: إنَّ عنده أموالٌ عظيمة، وقدرات ماليَّة ضخمة جدًّا أتته من غير سبب، هذا خارق إذا أتته من غير سبب! لأن غالب الناس يكون لديهم سبب كالبيع والشِّراء، ويربح ربحًا معقولًا أو ربحًا هائلًا، ولكن يكون في حدود ما يقع بين النَّاس، ولكن أن يأتي بشيءٍ فوق مستوى البشر فهذا يُعتبر خارقًا للعادة.
- فهذه الأمور الثَّلاثة كلُّ مَن ادَّعى خرق العادة فيها من الكذَّابين والدَّجالين والسَّحرة والمشعوذين والذين يأكلون أموال النَّاس بالباطل؛ فإنَّما يأتون إلى هذه الأمور الثَّلاثة. فإمَّا أن يُظهر قُدرات خارقة، أو يُظهر معلومات ليست عند البشر يدَّعيها، أو يُظهر غِنًى وقُدراتٍ ماليَّة، أو قُدراتٍ على إيجاد الأطعمة، وهكذا...، وهذه طرائقهم، فلا يغتر المؤمن بهذا الشيء.
- حتى أهل الإيمان الذين رزقهم الله ببعض الكرمات، فلا ينبغي أن يكون هذا محلًّا للغرور؛ بل يجب أن يكون محلًّا للتواضع، ويجب أن يخاف أن يُفتَن، لأنَّ بعض النَّاس يُعطى كرامة، ثمَّ تكون فتنة له واستدراج، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٦]، ذكر المفسرون أنَّه بلعام بن باعوراء، وكان في بني إسرائيل، وقد أعطاه الله -عَزَّ وَجَلَّ- كرامة، وهو أنَّه لا يدعو إلَّا ويُستجاب دعاؤه، فطلب منه بعض اليهود -قبَّحهم الله- أن يدعو على مُوسى، فدعا عليه؛ فانسلخ من آيات الله -عَزَّ وَجَلَّ- بسبب الدُّنيا -نسأل الله العافية والسلامة.
- فحتى المؤمن التَّقي لا يغتر بالكرامة، ثمَّ إنَّ الكرامة ليست هي كل شيء، فلو لم يقع من المسلم كرامة فلا ينقص إيمانه، ولو وُجدت عنده كرامة فهذا لا يدلُّ على كمال إيمانه؛ بل قد يكون ضعيف الإيمان ويُعطَى كرامة، وقد يكون قويَّ الإيمان ولا يعطَى كرامة، فليست الكرامة من الله -عَزَّ وَجَلَّ- للإنسان -وهي الأمر الخارق للعادة- ليست دليلًا على صلاحه أو نقص صلاحه أو زيادة صلاحه؛ بل هذا تابع لتقدير الله وفضله ورحمته، والله -عَزَّ وَجَلَّ- يُقدِّر ما يشاء ويقضي ما يشاء، فعلى المؤمن أن يلتزم بالطَّاعات وبالإيمان وبالعمل الصَّالح، وبفعل الواجبات وترك المحرَّمات، ولهذا قال كثير من أهل العلم منبِّهين: "أعظم كرامة هي الاستقامة"، فأعظم كرامة يُكرمك الله -عَزَّ وَجَلَّ- بها هي أن تستقيم على طاعة الله وطاعة رسوله، وليس أن يحصل لك خارق من خوارق العادات.

- بعض النَّاس يحصل له خارق، ولكن يستعين به على المعاصي، فقد يكون عند أمر خرَق العادة، ويكون سببًا لزيادة ذنوبه، قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم:٤٤- ٤٥]، فلا تغتر إذا أعطاكَ الله المال الوافر، أو أعطاك الله قُدرة، أو أعطاك الله -عَزَّ وَجَلَّ- فهمًا ثاقبًا في الأمور؛ فلا تغتر بهذا، بل عليك أن تتواضع لربِّك، وألَّا تتمادح، ولهذا فإنَّ من علامات الضَّلال عند الهالكين أنَّه إذا وقع له شيء من هذه الأمور أخذَ يتحدَّث بها بين النَّاس من باب تزكية نفسه وتكثير أتباعه، ومن باب طلب أن يلحظه الناسُ بقلوبهم وأن يلتفتوا إليه، ويقولون: ما أعظم فلان كذا...، هو يُريد هذا، وإذا وقع في قلبه هذا المراد هلك!
- قال الله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]، فهذا من العلو في الأرض، ولهذا فإنَّ أهل الإيمان هم أشدُّ النَّاس تقوى لله، وأشدُّ الناس تواضعًا لعباد لله، وأشد النَّاس هضمًا لأنفسهم -نسأل الله جل وعلا أن يعافينا من الفتن.

ولهذا نقول: أعظم كرامةٍ هي الاستقامة، حتى قال بعض أهل العلم: "كن طالبًا للاستقامة لا طالبًا للكرامة، فإنَّ الكرامة حظُّ نفسِكَ، والاستقامة مرادُ ربِّكَ"[96]، فأطِعْ ربَّكَ -عَزَّ وَجَلَّ.

؟ هل الكرامة مقصودة لذاتها؟.

- بعض المتعبِّدين والمجتهدين في العبادة سمعوا أنَّ بعضَ السَّلف وقعت لهم كرامات وبعض الأشياء، فصاروا يجتهدون في العبادة ويتمنون أن يحصل لهم مثلما حصل لفلان التَّابعي أو لفلان الصَّحابي أو لفلان تابع التَّابعي، ويتمنى بقلبه أن يُرزَق شيءٌ من هذا، ويبقى منكسر القلب إذا ما حصل له شيء من هذا، وإذا حصل له شيء فرح به وطار به، وظنَّ أنَّه قد وصل!
- لا يكن قلبُكَ مُلتفتًا لهذه الأمور إطلاقًا، إنَّما يكون قلبُكَ مُلتفتًا إلى أنَّك تقوم بالأمر وتجتنب النَّهيَ، هذا هو الذي عليك، وهو علامة أنَّك أقبلتَ على الله بصدقٍ ويقينٍ، وخضعتَ له وذللتَ له، أمَّا أنَّك تبحث عن أشياء لحظِّ نفسكَ، أو تظنَّ أنَّه لا يكون الإنسان في حالٍ متقدمَّة أو حالٍ طيِّبَة إلا وقعَت له كرامة؛ لا، فهذا غير صحيح.

وكثير من السَّلفِ أيضًا لم يقع لهم هذا الشيء، بل أكثرهم لم يقع له هذا الشيء، يعني مثلًا: مَن يرى ضوءًا يسير في الظلام، أو يُؤتَى بطعامٍ وهو جائع؛ فجماهير السَّلف لم يقع لهم هذا الشيء، وهل هذا دليل على نقصهم؟!

لا والله، ليس بدليل على نقصهم! بل هم خيرٌ منَّا.

- فإذا فُتِحَ لك بابُ العبادةِ وفُتِحَ لك باب العِلم وباب قراءة القرآن وباب صلاة اليل؛ فهذه أعظم كرامة، وأعظم نعيم في الدُّنيا أنَّك تُقبِلُ على الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأمَّا الأمور الأخرى فلا تلفت إليها؛ لأنَّها ربَّما تكونُ فتنةً لكَ، يعني ربَّما لو أنَّ إنسانًا حصلَ له هذا الشَّيء، كأن يرى يده مثلًا أنَّها تُنير الطَّريقَ له؛ فيظنُّ

---

[96] مجموع الفتاوى (١١/ ٣٢٠).

أنَّها كرامةً، فصارَ يُعجَبُ بنفسه، ويرى أنَّه قد وصلَ، وأنَّه مثل الصَّحابة؛ فيَهلك بهذا العلو والاستكبار الذي وقع في قلبه والظَّن الفاسد الذي ظنَّه!

- فصارت هذه المسألة التي وقعت له سببًا في هلاكهِ -نسأل الله العافية والسلامة- قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا...﴾ [الفجر: ١٥]، ليس الإكرام الذي حصل لك دليلٌ على هذا، وليس الابتلاء الذي حصل لك وتقدير الرزق وتنقيصه دليل على الإهانة، فليس الفقير مبغوضًا لله، وليس الغني محبوبًا لله، فلا يظنّ أنَّه لمَّا صار غنيًّا أنَّ الله يُحبُّه، أو لمَّا أعطاه الله أولادًا أنَّ الله يُحبَّه، وإذا صار فقيرًا أنَّ الله لا يحبُّه! لا، قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [سبأ: ٣٧].
- فبعض الناس في هذا المقام إذا جاءهم أمر خارق العادة وفوق قدرته وطاقته وفتح الله -عَزَّ وَجَلَّ- عليه بشيء:
  - ✓ بعضهم ينتفع بهذا ويزداد إيمانه وتواضعه، ويكتم هذا ولا يتحدَّث به خوفًا من الرِّياء.
  - ✓ وبعضهم يتعرَّض لعذاب الله -كما تقدم- بسبب العجب والاستكبار وتزكية النَّفس، ومَنّه على الله.
  - ✓ وبعضهم تكون له من باب المباحات.
- وعلى كلِّ حالٍ؛ هذه الكرامات مسألة عظيمة حقيقةً، وبعض الناس يقع فيها ما بين الغلو والجفاء، وإلا فنحن نُؤمن ونُقرُّ بها، وقد ذكر أهل العلم جملةً كبيرةً جدًّا من الكرامات التي وقعت للصحابة، أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الماتع "الفرقان بينَ أولياء الرحمن وأولياء الشَّيطان"، وذكر نحو ثلاثين كرامة وقعت للصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- والتَّابعين، فليكن هَمُّ المؤمنُ هو طلب الجنَّة والنَّجاة من النَّار، وطلب رضا الله -عَزَّ وَجَلَّ- والحذر من سخط الله -عَزَّ وَجَلَّ، ولا يكن همُّه أن يقع له أدنى خارق.
- ثم إنَّ الإنسان إذا اتَّقى الله -عَزَّ وَجَلَّ- التَّقوى الكاملة؛ فإنَّ الله -عَزَّ وَجَلَّ- يُحقِّق له ما يُريد من خير، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢]، وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٩]، فالمؤمن إذا صدقَ مع الله -عَزَّ وَجَلَّ- فتح الله له أبواب الخيرات، ودرأ عنه أبواب الشُّرور، نسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يحفظنا وإيَّاكم.
- **فالمقصود**: أنَّ من الضَّلالات إنكار الكرامات، وهذا معروف عند المعتزلة، بل إنَّ بعضهم يُنكر دلائل نبوَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نسأل الله العافية والسَّلامة!
- وفي المقابل لهؤلاء ضُلَّال الصُّوفيَّة والخُرافيينَ والقبوريينَ يغلون في الكرامات ويُبالغون فيها ويكذبون فيها، وبعضهم يفتري أشياءً ويقول هذه كرامة، وهو يكذب!

وقد سبق في الحلقة الماضية أن ذكرنا بعضَ الناس كان يحفر في حفرة ويضع طعامًا، ثُمَّ يقول: هاهنا طعام، دعوتُ الله فاستجاب لي!

هو يكذب حتى يُكثِّر أتباعه، فهؤلاء مُجرمون ودجَّالون، وما أكثرهم!

فهناك حِيَلٌ كثيرةٌ يفعلونها لأجل تكثير الأتباع، ولأجل أن يكون له جاه وصِيت عند جماعته.

وبعضهم يفتري كرامات ما أنزل الله بها من سلطان، مثل أن يقول: فلان يُخرِج يده من قبرِه فيُصافحنا، وهذه كرامته! ومن كرامات فلانٍ أنَّه ينظُر في اللوحِ المحفوظ فيمحو ما يشاء! نعوذ بالله من هذا!!

يغلون غلوًّا فاحشًا حتى يقعون في الشِّرك الأكبر، في الشرك في الرُّبوبيَّة -نسأل الله العافية والسَّلامة- فهذا كلُّه من الضَّلال المبين.

- أمَّا ما يتعلَّق بالبرمجة اللغويَّة العصبيَّة؛ فهذه أمور حدثت الآن، وصارت تروَّج بين الجَهَلة، وصار بعض النَّاس يُصدِّق هؤلاء، فيزعمون أنَّهم يجعلون لديك خوارق للعادات!

وحقيقتها:

- إمَّا أنَّها ترجع للفراسة، وستأتي الإشارة إلى الفِراسَة والتَّفرُّس، وهذا عِلم معروف.
- وإمَّا أن ترجع إلى ما كان عليه السَّحرة والمشعوذون، والذينَ يحتالون على النَّاس بأنواع الحِيَل، مثل المشي على الجمر، وكاستطلاع المستقبل -أو استشراف المستقبل- وهذا يلتحق بالكهانة والتَّنجيم، ومثل بعض الرِّياضات الشَّاقة على النَّفس التي تُولِّد عند الإنسان بعض التَّصوُّرات؛ فيظنُّ أنَّه يرى أنوارًا وأشياءً، وحقيقتها أنَّه ضغط على نفسه ضُغوطًا مُعيَّنة حتى فقدَ الاتِّزان وفقدَ التَّصوُّر وتشوَّشَ دماغُهُ، فصار يرى أنوارًا واشياءً هي ليست موجودة في الحقيقة، ولكن هذا من شدَّة الإشقاق على النفس، وغير ذلك من التَّصرُّفات، حتى يقول بعضهم: "أطلق العملاق الذي في نفسك"، وهكذا ينقلون شركَ المشركين وسحر السَّاحرين ودجل الدَّجَّالين إلى بلاد الإسلام باسم دورات تطوير الذَّات، ودورات المهارات؛ فيجب الحذر من ذلك، فأنتم الآن تدرسون العقيدة، إخواننا الكرام من الطلاب والطالبات يجب الحذر من هذه المسالك وتحذير إخواننا المسلمين من هؤلاء.

- أمَّا الفِراسَة فهي صحيحة، وهي التَّفرُّس، قال الله -عَزَّ وَجَلَّ- في سورة الحجر: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]، قال ابن عباس وجماعة: "أي المتفرِّسينَ".
- والتَّفرُّس: هو نور يُقذَف في القلب.

❑ **النَّوعُ الأوَّل: الفِراسَة الإيمانيَّة**. فالمؤمن تثِبُ إلى قلبه كوثوبِ الأسدِ معرفةُ الحق من الباطل بسبب ما عنده من الآيات القرآنيَّة، وما عنده من العلم عن النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وما عنده من كلام الصَّحابة، فإذا مرَّت به بعض البدع أو بوادر البدع والضَّلالة كشَفَها وانكَشفَت له، بسبب ما أعطاه الله من علم القرآن، درسَ القرآن وحفظه وفهم الآيات، ودرسَ السُّنَّة والعَقيدَة؛ فصار ينتبه مباشرة، بينما كثير من الناس يقرأ الكلام ولا يدري أنَّ هذا الكلام غلط، أو يسمع المتحدِّث ولا يدري أنَّه يتكلَّم بالغلط، فيأتي هذا يتفرَّس ويسمع ويقول: هذا يُؤسس للبدعة، أو هذا يُؤسس لضلالة؛ لأنَّه قال كذا وكذا، هذا ليس بخرصٍ؛ وإنَّما مبني على سبب، وهو ما يتعلَّق بالفِراسَة الإيمانيَّة.

❑ **النَّوعُ الثَّاني: فراسَةٌ رياضيَّة:** يعني بالرِّياضة والتَّمرُّن والتَّدرُّب، فبعضهم يعمل أعمالًا حتى يتقوَّى على هذه الأنواع، وهذه مشتركة بينَ المؤمن والكافر، فتقع للمؤمن والكافر.

- مثال للفراسة الرِّياضيَّة: تأتي عند صاحب الذَّهب وتأتيه بأشياء من الذَّهب، فيقول لك: هذا ذهب صحيح وهذا ذهب مغشوش، أو يقول هذا ذهب عيار كذا وهذا ذهب عيار كذا مباشرة؛ لأنَّه قد تعوَّدَ وتروَّضَ على هذا الصِّنف من البيع والشِّراء.
- لو ذهبت عند بعض القضاة مثلًا، فبعض القضاة من كثرة ما يأتيه من الخصوم والنِّزاعات؛ يعرف أحيانًا أنَّ هذا صادقٌ وأنَّ هذا كاذبٌ، فهذا ليس علم غيبب، ولكن من خلال التَّفرُّس والنَّظر في تعابير الوجه، ومن خلال بعض القَرائن المحتفَّة.

ويُنقَل عن بعض قُضاة المسلمين بعض الأخبار العجيبة في هذا، وكذلك بعض الحكَّام وولاة الأمر يعرفون النَّاس من خلال كثْرَة ما يمرُّ عليهم من أحوال الناس، فيعرفون المحتال من الصَّادق من الفقير، وهكذا...

- وتجد بعض الأطباء عنده مهارة شديدة، يرى المريض ويقول له: أنت فيك كذا أو كذا...، فهذا ليس علم غيبٍ؛ بل هذا من خلال الفراسَة.

❑ **النَّوعُ الثَّالثُ: الفِراسَة الخَلقيَّة**، ينظر إلى خلقِ الإنسان وحجمه، وطوله، ولونه، واتِّساع عينه، وأنفه، وأُذنه، ونحو ذلك؛ فيستدل ببعض الأمور على بعض، وهذا النوع يُلحق بالنَّوع الثاني، ولكن قد يقع الغلط في هذا، ويُنقَلُ في هذا قَصصٌ الله أعلم بصحَّتها.

- وعلى كلِّ حالٍ؛ فالفِراسَة ليست علمَ غيبٍ، فهي مثل الحِكَم والتَّجارب، والناس يقولون: اسأل مُجرِّبًا ولا تسأل طبيبًا؛ لأنَّ مَن جرَّب الأمورَ يعرفُ الأمر هذا وجرَّبه، وهكذا إذا جاء بعض النَّاس يشتري سيارة، أو يشتري منزلًا، ويسأل عن الجيران؛ فهذا الأمور ليست من علم الغيب، ولكنها قرائن.
- نرجع إلى موضوعنا الأساسي: أهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بكرامات الأولياء الثَّابتة الصَّحيحة من غير غلوٍّ فيهم، وليس معنى إثبات الكرامات أنَّنا ندعوهم من دون الله أو نستغيث بهم أو نعتقد فيهم أنَّهم يعلمونَ الغيبَ، أو أنَّهم يُدبِّرون الكون؛ لا: بل إنَّ هذه الكرامات التي أجراها الله على أيديهم ليست ملكًا لهم، وليسوا مستقلِّين بها، بل هم متقرون إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ.
- ولا يعني وجود الكرامات أنَّنا نرفعُ منزلَتهم فوق المنزلة التي أنزلهم الله -عَزَّ وَجَلَّ- إيَّاها، فهُم من جملة المسلمين، ومن جُملة عباد الله المؤمنين، فنؤمن بما صحَّ وبما رواه الثِّقات عن كراماتهم، فالرويات التي جاءت عن الصحابة والسَّلف الصَّالح ما ننكرها ونقول: إنَّها كذب؛ لإنَّ أهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بذلك.

؟ ذهب بعض أهل الكلام إلى أنَّه ما كان معجزةً لنبيٍّ جاز أن يكونَ كرامةً لوليٍّ، فما صحَّة هذا الكلام؟.

- الذي يُؤتاه الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لا يُمكن أن يُعطاه غيرهم على وجه الكلام، فلا يُؤتى مثلما يُؤتَى النَّبي، فالذي يُؤتاه الأنبياء من الآيات ودلائل النُّبوَّة ومعجزات هذا أمرٌ فوقَ ما يُؤتاه الأولياء

والصَّالحونَ، وما ذُكِرَ عن بعض السَّلف أو بعض الصَّحابة أنَّه أُلقيَ في النَّار مثل أبي مسلم الخولاني، وقال عمر: "هذا جرى له مثلما جرى لنبي الله إبراهيم". فالجواب: أنَّ هذا أقل ممَّا حصل لإبراهيم، فهي ليست مثل نار إبراهيم، وليست مثلما وقع لإبراهيم، فهي أقل بكثير، وهكذا ما جرى لبعض الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- أقل مما جرى للأنبياء.

- **ولكن نقول**: كل ما جرى على يد ولي فهو دليل على نبوَّة النَّبي الذي آمنَ به.

فمثلًا: الكرامات التي جرَت على أيدي الصَّحابة والتَّابعين إلى زماننا هذا وإلى ما شاء الله؛ هي دليل على صدق نبيّنا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- فهذا ما يتعلق بهذا الموضوع، وعلى كل حالٍ فالمسألة المهمَّة والكبرى: أنَّ الأولياء هم المؤمنون المتَّقون، ولا يُمكن أبدًا أن تسقط التَّكاليف عن الولي بحجَّة أنَّ عنده كرامات، ولا يُمكن أبدًا أنَّ الولي يُدعى من دون الله ويُستغاث به من دون الله، أو يعلم الغيب، أو يُدبِّر أمرَ الكون، أو يُلجأ إليه في الشَّدائد والنَّوائب؛ لا والله؛ فكل مَن في السماوات والأرض آتِ الرحمن عبدًا، فكلهم عباد لله -عَزَّ وَجَلَّ- فلا يخرج أحد عن عبودية الله -عَزَّ وَجَلَّ- مهما بلغَ من الصلاح، ومهما بلغ من التقوى؛ فواجب عليه أن يقوم بأمر الله، وينتهي عمَّا نهى الله -عَزَّ وَجَلَّ- عنه، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»، ومع ذلك قام بأمر الله حتى توفَّاه الله -عَزَّ وَجَلَّ- قال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، اليقين هو: الموت.

فما ترك أمرًا من أمور الله، ولا قصَّر في واجبات، بالعكس...، وهكذا أتباع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أمَّا أن يأتي شخصٌ معروفٌ بترك الصلاة والصيام، ويقولون: إنَّ هذا وليٌّ؛ لأنَّه جرت على يده كرامات! فهذا كذَّاب ومُجرم، وهذا عدوٌّ لله ولرسوله، فلا يغتر أهل الإسلام بهؤلاء، ويجب مناصحتهم لعلهم يتوبون، ومَن تاب تابَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- عليه، وإلا فيجب محاربتهم والقضاء عليهم.

وكذلك ما يتعلق بالاستعانة بالجنّ: فبعض النَّاس يستعين بالجنّ ويُناديهم ويقضون حوائجه، ويقول: هؤلاء جنٌّ صالحونَ أو مسلمون!

نقول: لا، هذا الباب بابٌ مُغلق، لم يُفتح في الشَّريعة، ولم يُؤذن به في الشَّرعية الإسلاميَّة.

- والدليل على هذا: قول الله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، فدلَّ هذا على أنَّ أهل الجاهليَّة كانوا يستعيذون بالجنّ، والاستعاذة بالجنّ نوعُ استعانةٍ بهم، فاستعاذوا بهم: أي: طلبوا منهم أن يُعيذوهم، فجعل الله -عَزَّ وَجَلَّ- هذا من أمور الجاهليَّة، وهو من الشِّرك الأكبر.

- فلو جاء رجل وقال: أنا أستعين بجنٍّ مسلم! طيب، وما يُدريكَ أنَّهم مسلمين، هم ربَّما يكذبون عليك.

ولو قال: ربَّما بعض الصَّحابة أو التَّابعين وقع له أنَّه سمع هاتفًا يهتف من الجن!

نقول: هذا وقع اتِّفاقًا، ولم يأتِ صحابيٌّ يبحث عن الجن أو يقول: يا جن تعالوا! أبدًا! ما أتى أحدٌ من الصحابة يبحث عن الجن ويقول: تعالوا يا جن ساعدونا!

- أين الجن المسلمون؟! أليس هناك جنٌّ مسلمون صالحون لقوا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وآمنوا به كما في سورة الأحقاف؟

بلى، فهل كان الصَّحابة يستعينون بهم في الغزوات وهم أحوج إلى نقل الأخبار بسرعة؟! فيُتصوَّر أنَّهم بحاجة إلى نقل الخبر، فقد يكون الجيش يواجه صعوبة مُعيَّنَة أو كذا؛ فلماذا لم يقولوا للجنِّ: تعالوا يا جن المسلمين انقلوا الخبر لأبي بكر ولعمر في المدينة وردُّوا لنا الخبر؟!! فما استعانوا بهم!

وما يفعل بعض الرُّقاة اليوم وبعض الجهلة من قولهم: إنَّهم يستعينون بجنٍّ مسلم! فهذا كلام باطل ولا يجوز.

- وإذا قيل: إنَّ فلانًا الشيخ الفاضل أفتى بجواز ذلك!

نقول: هو فاضل على العين والرأس، ولكن الفتوى إذا خالفت القُرآن والسُّنَّة وخالفت منهاج الصَّحابة فهي غلطٌ، مع احترامنا لِمَن أفتى.

- وإذا قيل: إنَّ ابن تيمية في "الفرقان" ذكر أنَّ بعض الناس كان يقول إنَّه رأى الجن، وإنَّ الجنَّ قالوا له كذا...، وأنَّه نادى للجنَّ...!

نقول: هذا غلط، وابن تيمية -رحمه الله- لم يقصد بهذا جواز الاستعانة بالجنِّ، ولكن هذا قد يقع اتِّفاقًا.

- وإلى الآن قد يوجد بعض الناس يمشي فيسمع هاتفًا يهتف بالجن، فقد يأتي جنِّي مسلم ويقول: يا فلان انتبه أمامك حفرة، فيتقي الحفرة، وربما يوقظه للصلاة، ولكن كلها اتِّفاقًا، أمَّا أن يقول أنا أقصدهم وأبحث عنهم، أو أستعين بهم لجل علاج المرضى، فهذا غلط، ولهذا فإنَّ بعضهم يمكر ببعض الرقاة، وبعض القراء الجهلة، فيقول لهك: ائتوا بجلد الذِّئب، فهذا من الخرافات!

- وبعضهم يقول: نادوني باسمي، فجلس هذا القارئ أو الرَّاقي في غرفته ويُغلق على نفسه، ويقول: يا فلان يا فلان، يُناديه، فيستمتع الن بهذا النِّداء، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، فقوله: ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ قال العلماء: استمتاع الجن بالإنسي بأن يتوجه الإنسي له بالعبادة، أو يلبي له بعض طلباته مثل السُّجود له، أو يذبح لغير الله، أو يُهين المصحف، أو نحو ذلك من الأفعال التي تُرضي الجنِّي ويفرح بها ويستمتع بها، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، على أحد التَّفاسير: عظمة واختيالًا، فيقولون: غلبنا الإنس. فهذا استمتاع.

- أمَّا استمتاع الإنسي بالجنِّي: مثل أن يأتيه ببعض الطعام، أو يأتيه ببعض المسروقات، أو يدل على بعض الأشياء، أو يأتيه بفتاة يُريد أن يفعل بها بالفاحشة، أو يرشده إلى أشياء؛ فيستمتع الإنسي، فلن ينفعهم هذا، قال تعالى: ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، فهذا باب مغلق في الشَّريعة الإسلاميَّة، ولو كان هذا دينًا أو شرعًا؛ بل لو كان مباحًا؛ لدلَّنا عليه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فعلمنا من هذا أن هذا من الضَّلالات وليس من الكرامات، فانتبهوا!!

- والواجب على أهل الإيمان الحذر من أسباب الشَّر ومن أسباب الفتنة، فهذا من أعظم أسباب الفتنة، فمسألة الكرامات مسألة منضبطة في الشَّريعة.
- فلو جاء بعض الناس يحكي كرامات ويقول: والله نحن في المكان الفلاني حصل كذا وكذا...، فننظر في القائل إن كان ثقةً صادقًا وكان هذا الشيء شهد به أكثر من شخص؛ فلا مانع أن يقع شيء من هذا، ولكن كثير من الأحايين يكثر الكذب في هذا، حتى إنَّ بعض الجامعات الضَّالَّة وبعض الأحزاب المفتونة - حتى لو كانت إسلاميَّة- ياتون بالفِرَى والكذب، ويكذبون كذباتٍ مفضوحة ويُضحكون النَّاسَ عليهم، فلا يُقبل منهم مثل هذا الكذب، ولا يُروَّج مثل هذا، فيكون المؤمن على طريقة أهل السنَّة والجماعة.
- يقول -رحمه الله: **(وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ)**، أمَّا المجاهيل أو الكذَّابينَ الينَ يُريدون مآربَ أخرى، حتى إنَّ بعضهم يقول: يجوز الكذب من أجل الدَّعوة إلى الله! ويأتي بعضهم يقول: كنَّا نمشي في الطريق فرأينا أشخاصًا عليهم ثياب بيض وكذا وكذا...، ثم لمَّا رجعنا اختفوا، وهذه كرامة أنَّهم ساعدونا وذهبوا، لعلهم ملائكة!

  وإذا سُئل عن هذا قال: إنَّا نكذب لأجل الدَّعوة، ولأجل أن نُرغِّب الناس في الدين.
- فهذا الكلام كلامٌ باطل، وهل الدين يحتاج إلى كذب؟! فالحمد لله الذي أغنانا بالقرآن وبالسُّنَّة عن إفكِ هؤلاء، ولكن هذا تنبيه نبَّهتُ عليه، لأجلِ أنَّه يقع ويجعلونه من الكرامات، وهو من إفكهم وكذبهم وافتراءاتهم.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.









الدرس التاسع



الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{نقرأ -بإذن الله- من عِندِ قولِ أبي جَعفر الطَّحاوي -رحمه الله: (وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ مِنْهَا خُرُوجُ الدَّجَّال، وَنُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الْأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا)}.

- هذا موضوعٌ عظيمٌ، يتعلَّق بالإيمانِ باليوم الآخرِ، فالإيمانُ باليومِ الآخرِ يتضمَّن الإيمانَ بكلِّ ما أخبرَ به النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ممَّا يكون بعدَ الموتِ، والإيمانُ باليومِ الآخرِ مِن أركانِ الإيمانِ السِّتَّةِ التي لا يصحُّ إيمانُ عبدٍ إلا إذا أتَى بها، وهي أن يُؤمنَ باللهِ، وملائكتِه، وكتبِه، ورسلِه، واليومِ الآخرِ، والإيمانِ بالقدرِ خيرِه وشرِّه.

ومن جُملة ما ثبتَ في القُرآنِ وفي سنَّةِ الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الإيمانُ بأشراط السَّاعةِ، والأشراط: جمعُ شرط، والشَّرطُ هو العَلامة.

- وعلامات السَّاعة تدلُّ على قُربها، وأنَّه قد اقتربَ قيامها، قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]، وقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، فعلاماتُ السَّاعةِ مِنها علاماتٌ كبُرى -وذكرَ المصنِّف الطَّحاوي منها أربعٌ هنا- ومنها علاماتٌ صُغرَى. فالعَلاماتُ الصُّغرى وَقَعَت، ولا تزال تقع.

وبعضهم يقول: هناك علاماتٌ وُسطَى، وهي التي لم تَقع بعدُ، أو التي وَقعَت الآن.

وأمَّا العلامات الكُبرى: فهي التي تَقَع في آخرِ الزَّمانِ عندَ قُربِ قِيامِ السَّاعةِ.

- وذكر النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من العلامات الصغرى: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»[٩٧]، وذكرَ النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أشياءَ أخرى كثيرةً تُعتَبر مِن أشراطِ السَّاعة الصُّغرى؛ لأنَّها وقعَت وانقضَت، وبعضُها لا يزال يقع، وذكرَ منها -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يَتَقَارَب الزَّمان، وأن يَكثُر الهَرَج[٩٨]، والهرج: هو القتل. وذكر أشياء أخرى -عليه الصَّلاة والسَّلام.
- فمِن أشرَاطِ السَّاعة التي يجبُ الإيمان بها مَا وردَ في الكتابِ والسُّنَّة، ومِن ذلك تِلكَ الأمور التي ذَكرها الطَّحاوي هنا، قال: (وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ مِنْهَا خُرُوجُ الدَّجَّال، وَنُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا).
- في حديث عوف بن مالك الأشجعي -عَزَّ وَجَلَّ- أن النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال له: «اُعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ»، اللهم صلِّ وسلم عليه. «مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مَوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَعُقَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ فِيكُمْ، حَتَّى يُعطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدُرونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةٍ، اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»[٩٩]. وهذا الحديثُ في صحيح البُخاري.
- وفي حديثِ حذيفةَ بن أسيد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: (اطَّلَعَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ)، يعني يومَ القَيامَة، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ الاستعدادَ ليومِ القيامةِ وتذكُّرَ هذا اليوم والإشفاقَ منه مِن علاماتِ المؤمنينَ، فالصَّحابة كانُوا يتذاكَرون السَّاعةَ، وهذا علامةُ خُلقٍ مِن أخلاقِ المسلمِ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ [الشورى: ١٨]، ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ [الطور٢٦ - ٢٨]، فيُشرَع تَذَاكر هذا الأمر، وأن يُذكِّر الأولاد وتُذكِّر الزَّوجة بيوم القيامة والاستعدادِ ليومِ المعَادِ، فقالَ النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- للصَّحابة: «مَا تَذَاكَرُونَ؟». قالوا: (نَذْكُرُ السَّاعَةَ). فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ»، وهذه تُسمَّى الآيات الكبرى -أو الأشراط الكبرى، أو علامات الساعة الكبرى- قال: «الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»[١٠٠]، رواه مسلم في صحيحه.
- فهذا الخبرُ عن النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يدلُّ على أنَّ هذه العَشرَ آياتٍ الكبرى هي علاماتُ السَّاعةِ الكُبرى، وإذا وقعت تَسَلْسَلت سريعًا، ووقعَ بعضُها إثرَ بعضٍ، نسأل الله -جل وعلا- أن يرحمَنا يومَ القيامة وجميعَ إخواننا المسلمين.

---

[٩٧] سنن أبي داود (٤٠٧٧).

[٩٨] جاء في صحيح البخاري " يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ وَيُلْقَى الشُّحُّ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ" (٥٦٠٤).

[٩٩] صحيح البخاري (٣١٧٦).

[١٠٠] صحيح مسلم (٢٩٠١)

- والنَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذكرَ الدَّجَّال، وهو أعظمُ فتنةٍ على مرّ التَّاريخ منذُ أُنزلَ آدم إلى الأرضِ وإلى أن تقومَ القِيامَة، فأعظمُ فتنةٍ هي فتنةُ المسيحِ الدَّجَّال، وقد جاءت الأخبارُ عن النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في التَّحذيرِ من المسيحِ الدَّجَّال، وبيانِ صفتِهِ، وبيانِ ما عليهِ من خوارق العادات التي معه، والفتنةِ التي معه، وكثرةُ مَن يهلك بسببه -نسأل الله أن يعافينا وإياكم وجميع المسلمين منه ومن شرّه.
- ولهذا أُمرَ كلُّ مسلمٍ أن يقولَ في آخرِ التَّشهُّدِ الأخيرِ في الصَّلاةِ: «**اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّال**»[١٠١].
- وفي حديث أنس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال رسولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر**»[١٠٢]، وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم.
- وقوله: «**أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**»، لأنَّ هذا الدَّجَّال يدَّعِي الرُّبوبيَّة، فيدَّعي أنَّه ربُّ العالمَين، فيأمرُ السَّماءَ فتُمطر، ويأمرُ الأرضَ فتُنبت، ويأمرُ القَريةَ فتُخرِج كنوزَها، وتتبعُه كيعاسيب النَّحلِ، ويأتيه بعضُ الأعرابِ ويقول له: إنَّ أبي وأمي قد ماتا. فيقول: إني أحييهما، فيأمر شيطانًا فيتمثَّل له في صورة أبيه وشيطَانة تتمثَّل بصورة أمّه؛ فيفتن الناس فتنة عظيمة، حتى يهلك بسببه خَلقٌ عظيم[١٠٣].
- وقد ذكرَ العلماء أنَّه وردَ أنَّ المؤمنين يربِطُون النِّساءَ والأطفالَ خشيةَ اللِّحاق به واتّباع هذا الدَّجَّال الأكبر، وهذا الدَّجَّال أعورُ العينِ اليُمنى كما قالَ النَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وعينه كأنَّها عِنبةٌ طافية -يعني بارزة- قبيحةُ المنظرِ، وأمَرنا النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا خرجَ الدَّجَّال أن نقرأ العشر آيات الأوَل من سُورة الكهفِ، وفي رواية أخرى العشر الأخير من سورة الكهف، فجاءت الرِّوايات بهذا وهذا، فلو قرأ هذا وهذا فهو حسنٌ[١٠٤].
- وكذلك لا يدخلُ الدَّجَّالُ مكَّةَ ولا المدينةَ، وقالَ النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّال فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ**»[١٠٥] لما يُبعَث معه من الشُّبهات -نسألُ اللهَ العافيةَ والسَّلامَة- يعني يأتِيه بعضُ النَّاس وهو مؤمنٌ، فينقلبُ على عقبيهِ، يبيعُ دينَه ويتَّبع هذا الدَّجَّال ويكفُرُ باللهِ -عَزَّ وَجَلَّ.

---

[١٠١] صحيح مسلم (٩٢٩).

[١٠٢] صحيح البخاري (٦٦٢٥)، صحيح مسلم (٥٢٢٣)، واللفظ لمسلم.

[١٠٣] جامع الترمذي من حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ، ذكر من حديث النَّبيّ صلى الله عليه وسلم: "...فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِت، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ كَأَطْوَلِ مَا كَانَتْ ذُرًى وَأَمَدِّهِ خَوَاصِرَ وَأَدَرِّهِ ضُرُوعًا، قَالَ: ثُمَّ يَأْتِي الْخَرِبَةَ، فَيَقُولُ: لَهَا أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَيَنْصَرِفُ مِنْهَا فَتَتْبَعُهُ كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ...".

[١٠٤] المصدر السابق، وفيه: "... فَمَنْ رَآهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ سُورَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ...".

[١٠٥] صحيح من حديث عمران بن حصين، وصححه الشيخ الألباني، كما في صحيح سنن أبي داود.

- ومِن الأشياء التي مع الدَّجَّالِ: جنَّة ونار، يغري بهما النَّاس، ويرهبهم بهما، فالنَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ»[١٠٦]، فلو ابتُلِيَ العبد ولقيَهُ فليدخل فيما يزعمُ أنها نار فإنها جنة، كما قال النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ومن العلامات: أنَّه مكتوب في جبينه "ك ف ر" أو "كافر" يقرؤها كل مؤمن، كان يقرأ أو لا يقرأ، حتى الأمي الذي لا يقرأ يُعلمه الله -عَزَّ وَجَلَّ- بهذا، وهذا من فضل الله -عَزَّ وَجَلَّ- على أهل الإيمان. فالواجبُ الحذرُ منه والبُعد عنه والهَربُ منه.
- **والدَّجَّال يمكُثُ في الأرض أربعين يومًا:**
  - ❑ **اليوم الأول:** أطولها وأشدُّها، فيطول هذا اليوم طولًا عجيبًا حتى يبلغ مدَّة سنة، فسأل الصَّحابة الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"أَيَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ؟"**. يعني: في اليوم الذي كالسَّنَةِ، يعني اثنا عشر شهرًا، وكل شهر ثلاثين يومًا، وكل يوم خمس صلوات. قال: **«لَا اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»**[١٠٧]، يعني هذا اليوم الذي طالَ صلُّوا فيه صلاة السَّنَةِ، واحتجَّ العلماء بهذا الحديث في فتوى يحتاجها المسلمون اليوم في البلدان التي لا تغيب فيها الشَّمس، أو التي لا تظهر فيها الشمس، أن يُقدَّر له قدره بأقرب المُدن أو بمكَّة -على قولين.
- فأخبار الدَّجَّال جاءت في البُخاري ومسلم وفي السُّنن، وقد جمعَها ابن كثير في كتابه الماتع النَّافع العظيم "النِّهاية"، وكذلك هناكَ مِن أهلِ العلمِ مَن جمَعَ أخبارَ الدَّجَّال فيما يُسمَّى بالفتن وأشراط السَّاعة والملاحم، فهناك كُتبٌ أُلِّفَت في هذا، ولكن على طَالبِ العلم -وعلى كلِّ مسلمٍ أيضًا- أن يلتمَّسَ الحديثَ الصَّحيحَ والثَّابتَ عن النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيُؤمنُ به، ويعمل به، وأمَّا الأحاديث الضَّعيفة أو المكذُوبَة أو الموضُوعَة فلا يَلتفت إليها، ولا يَنشرها بينَ النَّاس، وإذا أشكلَ عليه شيءٌ سألَ أهل العلمِ بالحديثِ.
- فهذا المسيح الدَّجَّال يُسمَّى "مَسيح الضَّلالة"، أمَّا المسيح عيسى بن مريم فهو "مسيح الهُدَى".

؟ لماذا سُمِّيَ الدَّجَّال بـ "المسيح الدَّجَّال"؟

- لأنَّ عينَه ممسوحة، فهو أعورُ العين -نسأل الله العافية والسلامة.
- وكلُّ نبيٍّ قد حذَّرَ أمَّته الدَّجَّال مِن شدَّة فتنَتِه.

؟ وقد يقولُ بعضُ النَّاس: الدَّجَّال ما خرج الآن؟

- ❖ **أولًا:** حتى ولو لم يَخرج الآن، فتحذيرُ النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتحذيرُ الأنبياء مِن قبلُ يدلُّ على عِظَم أمرِهِ عِظَمًا شديدًا.
- ❖ **ثانيًا:** أنَّ مَن صدَقَ مع الله -عَزَّ وَجَلَّ- ودَعَا اللهَ بصدقٍ ويقينٍ أنَّ الله يصرفُ عنه فتنةَ المسيح الدَّجَّال، واستجابَ الله له دعاءَه؛ فإنَّه يُصرَفُ عنه فِتنةَ الدَّجَاجِلة الصِّغار الذين هم أصغر من

---

[١٠٦] صحيح مسلم (٥٢٢٢).
[١٠٧] مسند أحمد (١٧٢٨٩)

الدَّجَّال الأكبر، فلمَّا تدعو ربَّك -عَزَّ وَجَلَّ- أن يصرفَ عنك فتنةَ المسيحِ الدَّجَّال ويعيذك منها، ويستجيبُ الله لك؛ فإنَّ هذا سببٌ لأن يُصرَف عنكَ فتنةَ الدَّجاجلة الذين هم أقل منه، ولكن لا يُستهان بشرِّهم، فشَياطِينُ الإنسِ وشَياطِينُ الجنّ وأهلُ الفتنِ والبدعِ وأهلُ الضَّلالات وأهلُ الشَّهوات وأهلُ المعاصي والفجور؛ هؤلاء دَجَاجِلة يَقلِبُون الحقَّ، ويُدجِّلونَ عليكَ ويكذبُونَ عليكَ، يُريدونَ أن يجرُّوكَ إلى النَّار، فما أخطرهم!

فإذا دعوتَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- بصدقٍ أن يصرِفَ عنكَ فتنةَ المسيحِ الدَّجَّال واستجاب الله لك -وهو أعظم شرًّا منهم- كانَ ذلك سببًا لأن تُحمَى ممَّن دونه -بإذنِ الله عزَّ وجل.

- **اليوم الثَّاني:** يبقى كشهرٍ، أي مدَّة شهر.
- **واليوم الثَّالث:** أسبوع.
- **ثم بقيَّة الأيام:** كأيَّامكم.

- ويُسرع في الأرض كإسراعِ الرِّيح، يدخلُ القُرَى ويدخلُ المُدُن، ويفتنُ النَّاسَ، ويَضلُّ بسببِهِ الآلاف المؤلَّفة مِن البشرِ، وأكثر مَن يضل ويتبعه هم يهودُ أصبهان -إيران اليوم- وغيرهم من الأعرابِ والنِّساء -نسألُ الله أن يحفظنا ويحفظ نساءنا وجميعَ إخواننا المسلمينَ من ذريَّاتنا.
- ثم إذا أَذِنَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بهلاكه أنزلَ اللهُ المسيحَ عيسى بن مريم، فينزل بباب لُدٍّ بدمشق بين مهرودتين، يكتنفه ويحمله مَلَكان ينزلانِ به، فيطلبُ الدَّجَّال ويبحثُ عنه، فيهرب الدَّجَّال، فإذا رآهُ ذابَ كما يذوبُ الملحُ في الماء، ثم يقتلُ المسيحُ عيسى بن مريم الدَّجَّال، وتنتهي فتنةُ المسيحِ الدَّجَّال، ويحكمُ عيسى بن مريم بحكمِ الإسلام، وبشريعةِ النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويُصلِّي خلفَ إمام المسلمين، كما صحَّ عن النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «**فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا. فَيَقُولُ: لَا إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**»[١٠٨]، فيصلي خلف المسلمين.

فهذا يدلُّ على أنَّه ليسَ بعدَ نبينا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نبي ولا رسول، حتى إذا نزلَ عيسى آمنَ بالرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- واتَّبعَهُ وانقادَ لشرعِ الإسلام -عليه الصَّلاة والسَّلام.

ثم يخرجُ في وقتِ عيسى بن مريم يأجوجُ ومأجوج الذين ذُكروا في هذا الحديث.

- قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿**حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ**﴾ [الأنبياء: ٩٦]، وهم الذين دُونَ السَّدِّ الذي بناهُ ذو القرنين، الذي قال الله -عَزَّ وَجَلَّ- عمَّن دونه: ﴿**فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا**﴾ [الكهف: ٩٧]، فإذا جاءَ أمرُ الله نقبوا هذا السَّدَّ وأسقطُوه كما أخبرَ النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيخرجون ويملؤون الأرضَ، ويُعيثون فيها فسادًا، فيحتَمِي نبيُّ الله عيسى والمؤمنُون والمسلمُون ويتحرَّزون منهم، وبعدما يعيثون في الأرض فسادًا يُرسل الله -عَزَّ وَجَلَّ- عليهم آفةً

---

[١٠٨] صحيح مسلم (١٥٦).

تأكلهم، ويموتون جميعًا، فإنَّ عيسى ومَن معه من المسلمين يدعون الله -عَزَّ وَجَلَّ- فيرسل الله عليهم النُّغف في أنوفهم، فيأكلها الدود حتى يهلكون كلهم، أو كما جاء عن نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١٠٩].

- ثم بعدَ هذا يُمطر الله -عَزَّ وَجَلَّ- الأرضَ ويكثر الخير، وتكثر النِّعَم وتكبُر وتعظُم، فيبقون ما شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ- ثم يُرسل الله ريحًا تأخذ روحَ كل مؤمن ومؤمنة، فلا يبقى في الأرض من يقول "الله" الله أكبر! وتطلُع الشَّمس مِن مغربها، ولا إله إلا الله!

فكلُّ يوم تغرب الشَّمس في المغرب، وتشرقُ مِن المشرق، فإذا جاء ذلك اليوم خرجت الشَّمسُ وأشرقَت من المغرب، فلا إله إلا الله!

- وهذا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

- فقوله ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾، يعني: طلوع الشمس من مغربها، كما جاء عن نبيِّنا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- وتحدثُ هذه الآيات الأخرى، وهي: الخسوف، ثم بعد ذلك نارٌ تخرج من اليَمن تطرد النَّاسَ إلى محشرهم، فاللهم ارحمنا برحمتك التي وسعت كلَّ شيءٍ.

- هذه أشراط السَّاعة، نُؤمن بها، ونُقرُّ بها، ونُثبتُها كما جاءت مِن غيرِ تحريفٍ، ولا نُحرِّفها تحريفَ العقلانيين، ولا نُنكرُها إنكارَ الجاهلينَ المُبطلين، ولا نغلُوا فيها فنُمثِّل، أو نجعلها بعقولنا، يقع كذا...، وكذا...؛ فهذه أمورٌ قدَّرها الله -عَزَّ وَجَلَّ- وأخبرَنا عنها، وأخبرَنا عنها رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فنؤمنُ بها كما جاءت مِن غيرِ زيادةٍ ولا نقصانٍ.

{قال -رحمه الله: (وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا، وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ، وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ)}.

- لَمَّا ذكر المصنِّف -رحمه الله- الكَرامات، وذكرَ الأولياء؛ ذكرَ ما يُضادها، فما يُضادها من الكِهانة والعِرَافة أو السِّحر والشَّعوذة؛ فهذه الأمُور لا يُصدَّق أصحابها، ولا يُلتفت إليها، فالكرامات حقٌّ ونؤمن بها، أمَّا السِّحر والشَّعوذة والكِهَانة والتَّنجيم والضَّرب بالحَصى والخَطُّ في الرَّمل، أو القراءة في الفِنجان، أو القراءة في الكفِّ، أو النَّظر في النُّجوم؛ فكلُّها حرَّمها الإسلام وأبطلَها، وهي أمورٌ بَاطلة لا حقيقة لها، ولا يجوزُ الاعتماد عليها، فلا يجوزُ أن نعتَمِد على قول المنجِّمين كالذي يقول: أنتَ بُرجُكَ الحَمَل، أو وُلدتَّ في بُرجِ السَّرطان، أو وُلدتَّ في بُرجِ الدَّلو، أو بُرجِ كذا...، فأنتَ يقع منكَ في هذا الشَّهر كذا، لأنَّكَ وُلدتَّ في هذا النَّجم أو هذا البُرج؛ فهؤلاء المنجِّمون أو العرَّافون أو الكُهَّان كلُّهم مفترُون الكَذِب، فيفترون على الله الكَذِب، ويدَّعونَ عِلمَ الغيب، ومَن ادَّعى عِلم الغَيب فقد كَفَر، قالَ الله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال الله -عَزَّ وَجَلَّ- لأشرف

---

[١٠٩] جامع الترمذي، وفيه "... فَيَرْغَبُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِلَى اللَّهِ وَأَصْحَابُهُ، قَالَ: فَيُرْسِلُ اللَّهُ إِلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى مَوْتَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ".

خلقه وهو محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

- والنَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[١١٠]، هذا إذا سأله فقط لن تُقبَل له صلاة أربعين ليلة عقوبة، فيجب عليه أن يُصلي ولا يترك الصلاة، ولكن صلاته لا تُقبَل، وثوابها لا يُرفَع بسبب أنَّه سأل عرَّافًا -نسأل الله السلامة.
- وقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة أن النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[١١١]، فهذا أشدّ، فإذا صدَّقَه بما يقول فقد كَفَر بما أُنزِلَ على محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والمُنجِّم من جنسِ العرَّافينَ، ولهذا بعضُ الجهلَة اليوم من الشَّباب والشَّابات يقول: ما بُرجك؟ برجك كذا؟ وما بَرجك هذا اليوم؟ ما بُرجك هذا الأسبوع؟ أو ينظرون في البرامج التي تتكلم عن علم الأبراج ويصدقونهم! وبعضهم يقول: أنا أتسلَّى وما أصدقهم!

- نقول: إذا كنتَ لا تصدِّقهم فلن تَقبل لكَ صَلاة أربعينَ يومًا -نسألُ الله العافية والسَّلامة- وهذا وسيلةٌ إلى تصدِيقِهم، أمَّا إذا صدَّقتهم فقد قالَ النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، وهل ترضى يا مسلم بهذا ؟!
- وكذلك قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ»[١١٢]، وقالَ قتادة -رحمه الله: "إِنَّ اللهَ خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ أَخْطَأَ وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ"[١١٣]، والله ما عِلمُ هذا النَّجم وهذه البَهيمَة بشيء! النَّجمُ، والنُّجوم، والأبراج، والشَّمس، والقمر؛ كلُّ أولئك لا يملكون ضرًّا ولا نفعًا، وليسَ بيدهم شيء، وليس عندهم تدبير، ولا يُربَط بهذه النُّجوم ما يحدث في الكونِ، فالتَّنجيم الكفري الضَّال هو: الاستدلال بالأحوال الفَلكيَّة على الحوادث الأرضيَّة، فيستدلون باجتماع النُّجوم وافتراقها أو تحركها من برجٍ إلى بُرج على وقع الحربِ أو السِّلم، أو الغلاء، أو الأعاصير، أو غير ذلك من الأمرو؛ وكل هذا أبطله الإسلام، وهي عقائد جاهليَّة كفريَّة باطلة لا يجوز ترويجها، مهما زُيِّنَت أو غُيِّرَت أسماؤها.
- قال النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ»[١١٤]، فكانوا يقولون في الجاهليَّة: إذا انكسفَت الشَّمس وُلِدَ مَلِك، ماتَ مَلِك، مُلِّك مَلِك؛ فأبطلَ النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا، لأنَّه غير صحيح، فإذا انكسفَت

---

[١١٠] صحيح مسلم (٤١٤٤).

[١١١] مسند أحمد (٩٣٣١).

[١١٢] أخرجه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وأحمد (٢٠٠٠) باختلاف يسير.

[١١٣] رواه البخاري عن قتادة في صحيحه: كِتَاب بَدْءِ الْخَلْقِ: بَاب فِي النُّجُومِ.

[١١٤] صحيح البخاري (٩٩٥).

الشَّمس أو خَسَف القَمر فليس علامة على ولادة مَلِك، ولا على تمليك مَلِك، ولا على موتِ مَلِك، فكل هذا باطل، ولا يجوز اعتقاده.

- والمنجّمون كذَّابون دجَّالون، يأكلونَ أموالَ النَّاسِ بالباطِلِ، وكذلك الكهَّان، وجاء حديث في الصَّحيحين عن عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْها- قالت: **"سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْكُهَّانِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ»"**، وهذه الجملة احفظها يا مُسلم، فلا تعتدَّ بهم، وهذه الجملةُ من النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عظيمةٌ جدًّا، فالنَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أوتيَ جَوامِع الكَلِم، فهم ليسوا بشيءٍ البتَّةَ، ألْغِهِم تمامًا عن حياتكَ، وألْغِهِم عن تفكيرك، لا تعتمدْ عليهم، لا تنظُرْ إليهم، لا تأبَهْ بهم، لا تَبني أمورَكَ عليهم، ولا تسألْهم، فهؤلاء دجَّالون.
- فقال الصحابة: **"فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا!"**، يعني قد يقع أحيانًا. فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ، فَيُقَرْقِرُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ كَقَرْقَرَةِ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ»**[١١٥]، يقرقرها: يعني يُردِّدها الجني، فيخطفها من السماء، وهذا من ابتلاء العباد.
- وقوله **«فَيُقَرْقِرُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ»**، الوليُّ: هو الكاهِنُ، أو المنجّمُ، أو العرَّافُ، أو السَّاحرُ. ولهذا فإنَّ الكهَّان كانَ أمرُهم منتشرٌ في الجاهليَّة، وكذلك المنجّمون، والمتطيّرون؛ فكانوا يتشاءَمُون ويتطيَّرون بالأشياء، ويستقسمون بالأزلام، ويطلبُونَ الخيرة مِن هذه الأشياء؛ فهذه الأمور الجاهليَّة أبطلها الإسلام لا زالت موجودةٌ عند كفَرة اليَهود، وكفَرة النَّصارى، وكفَرة المجوس، وكفَرة البوذيين، حتى الملاحدة عندَهم بعض الأشياء يُعيدونها ويُكرِّرُونها كما هي.
- ولهذا يجبُ على أهلِ الإسلام أن يحذروا منها حتى لو تغيَّرت أسماءها وتجدَّدت أشكالها، وتنوَّعت صُورَها المعاصِرة، فيُلحِقُون النَّظيرَ بنظيرِه، ولا يَنطَلِي عليهم تخليطُ هؤلاء، فمعروف أنَّ السَّحرة يقضُون بخطوطِ " أبج دهز..." ويضعون مُسدَّساتٍ وتَربيعاتٍ ومُثلَّثاتٍ؛ ثم يأخذون اسم الشَّخص الذي يُريدون أن يَسحرُوه، فيضعونَه في هذه الأشياء، ويستغيثُون بالجنِّ ويطلبونَ منهم، فيَعْقِدُون العُقَد، ويقعُ السَّحر بقدرِ الله -عَزَّ وَجَلَّ، فهذا شيء مقدَّر قد قدَّره الله -عَزَّ وَجَلَّ.

؟ فلو قال الكَاهِن كلمةً ووقعت، فهل يعني هذا أنَّه حقٌّ؟

- الجواب: لا. فقد فسَّر النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لنا وقال: **«لَيْسُوا بِشَيْءٍ»**.
- أيضًا مِن الأشياء المعروفة عندَ النَّاس أنَّ الكَاهِنَ أو المنجّمَ أو الرَّمَّالَ أو غيرهم ممَّن يتكلَّم في هذه الأمور؛ هؤلاء يضرِبُون ضربًا عشوائيًّا، ويخبطونَ خبطًا عشوائيًّا، فيأتي واحد مثلًا يقول: أنتَ زوجتك حامل بِذَكر، ولابدَّ أن يكون ذكرًا أو أُنثى، فيقع هذا، فيتهوَّل من هذا الشيء، وهم **«لَيْسُوا بِشَيْءٍ»** كما قال النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[١١٥] صحيح البخاري (٧٠٢٩).

- ومن الأشياء الخَطيرة اليوم: انتشارُ هذه المظاهر الشِّركيَّة، انتشارُ هذه المظاهر الكفريَّة، انتشارُ هذه المظَاهِر الجاهليَّة بأسماءٍ جديدة وربَّما بنفسِ الأسماء القديمة، وقد سَمعتُ مِن بعضِ الناس أنَّهم يقولون فيما يتعلَّق بالتَّنجيم والاسِتنَاد على الأبراج أنَّه ينتَشِرُ بين فئة الشَّباب والشَّابات، فيسألُونَ عن أبراجهم، ويستنبِطُونَ منه أمورًا؛ فهذا كلُّه مِن أمورِ العِرَافة التي حرَّمها الإسلام، وأمورُ الجاهليَّة التي أبطلَها النَّبيّ -عليه الصَّلاة والسَّلام- فمن بحثَ عنها أو أخذَ بها وصدَّق بها؛ فإنَّه كافر بما أنزلَ على النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهذا معنى قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**».
- وبعضُهم يأخذُ ثمنًا على هذه الكَهَانة، وقديمًا في الجاهليَّة كانوا يأخذون أموالًا، وهذا حُلوان الكاهن، وقد قال النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلا حُلْوَانُ الْكَاهِنِ**»[116].
- ومن ذلك أيضًا: نسبة المطر إلى النُّجوم أو الأنواء، وفي حديث زيد بن خالد الجُهني -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: "**صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ**"، يعني على إثر مطرٍ. قال: "**فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ»**"، الله أكبر! انظر إلى نعمة المطر في تلك الليلة التي حدَّثَ بها النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الصَّحابة؛ ففيه أناس كفروا وفيه أُناس آمنوا في تلك الليلة، فقال: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**»[117]، ولهذا نحن لا نعتمد على التَّنبُّوءات ونقول: يقينًا أنَّه سيقع مطر، فهذا أمرُ الله، لو شاءَ أرسلَ الرِّيح ففرَّقَت السُّحُب، فالأمر بيدِ الله.
- مَن الذي أجرَى هذه السُّحب الثَّقيلَة المليئة بهذا الماء الذي نَزَلَ على العبادِ! هل يُطيقونَ حملَه؟ لو تأتي جيوش العالم كلُّها تَحملُ هذه المياه ما تستطع!

فالله -عَزَّ وَجَلَّ- يُجريها فوقَ رؤوس العبادِ، ويُرسلها إلى الصَّحاري، وينزلُ عليها المطر، ثم ينسبونه لغيره؟!

- فهذا من كفر النِّعمة، قال: «**كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**»، حتى لو كان يقول: هذه الرَّدارات، أو هذه أماكن...، فالله -عَزَّ وَجَلَّ- قال: ﴿**وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ**﴾ [الرعد: ١٢]، فالله تَعالى هو الذي يَخلقُ السُّحُبَ من موادٍ، فالله -عَزَّ وَجَلَّ- على كلِّ شيءٍ قدير، فكلُّ شيءٍ له سببٌ، وهذه المواد التي يخلقُ الله -عَزَّ وَجَلَّ- منها الرِّياح والهواءَ والماءَ والبحار؛ يخلقها الله -عَزَّ وَجَلَّ- حيثُ يشاء، ثم يُرسلها إلى مَن شاء، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا**﴾ [الفرقان: ٥٠]، صرَّفه الله تعالى، فيُنزلُ على هؤلاء مطر، ثم يُنزل على هؤلاء مطر...، ثم أبى أكثرُ النَّاس إلا كفورًا، ولا ينسبون فضلًا لربِّهم -عَزَّ وَجَلَّ- بل ينسبونه لغيره، وينشغلونَ بغيره، ويتركُونَ شُكرَه، قال تعالى: ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**﴾ [الواقعة: ٨٢]، بدلَ أن تشكروا الله -عَزَّ وَجَلَّ- تُكذِّبون! فهذا مِن الأشياء التي يجب الحذر منها!

---

[116] رواه النووي في المجموع وصححه (٩: ٢٢٩)، ورواه أبو داود في السنن (٣٤٨٤)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، واللفظ: " لا يَحِلُّ ثَمَنُ الْكَلْبِ، وَلا حُلْوَانُ الْكَاهِنِ".

[117] صحيح البخاري (٨٠٤).

- كذلك النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حرَّمَ السِّحرَ ونَهى عنه، وهذا يدخلُ في قوله (وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا، وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ، وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ). لأنَّ هذه الأمور يفعلها بعضُ المشعوذينَ ليأكلُوا أموالَ النَّاسِ بالباطلِ، فإذا فَعَلوا شيئًا مخالفًا للكتابِ والسُّنَةِ عرفنَا بطلانه، مِثل السِّحر، فالسِّحر هو الجِبت، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]، وقال -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢]، فتعلُّمه وتعليمه كفر، قال: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، وقال النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ، قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ»[١١٨]، إلى آخره. فجعل السِّحر بعد الشِّرك، لأنَّه من الشِّرك، **ولأنَّ السَّاحر لا يكونُ ساحرًا إلا بأمرين:**
  - **الأوَّل:** ادِّعاءُ علمِ الغَيبِ.
  - **الثَّاني:** الاستغاثةُ بغيرِ الله.

ولا يقعُ سحرَه إلا بهذين، فلا ينفكُّ ساحرٌ عن هذين، وكلٌّ منهما كُفرٌ مستقلٌّ، مُخرِجٌ من ملَّة الإسلام.

- وأمَّا الذي يدَّعي أنَّ الحوادثَ الأرضيَّة تَحدثُ بسببِ تحرُّكِ الأفلاكِ، والمزجِ بين القوَّة الفلكيَّة والغوائرِ الأرضيَّة؛ فهؤلاء هم المنجِّمونَ، فالمنجِّم غير السَّاحر، ولكن أحيانًا يجتمع هذا مع هذا، فيُخاطبونَ النُّجومَ، ويستغيثونَ بالنُّجوم، وهم إنَّما يُخاطبهم شَياطين، مثل الذين في زمن النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من كفَّار قريش، فكانوا يُخاطبون الأصنام ويُنادونها، ويسمعون أصواتًا وهي من الشَّياطين، تتكلَّم وتنطق حتى تفتنهم! نسألُ الله العافية والسلامة.
- فهذه الأمور كلُّها مِن أمورِ الجاهليَّة، وهي ممَّا اتَّفقَ عليه علماءُ الإسلام قَاطبةً على تحريمها، وتحريمِ مزاولتِها، بل قتل السَّاحر، لقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ»[١١٩]، وقد كتبَ عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- إلى الأمصار -يعني البلدان التي تحت الخلافة: "اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ. قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلاثَ سَوَاحِرَ"[١٢٠].
- وأمرت حفصة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- بقتل جارية لها سحرتها، فقُتِلَت[١٢١]، وجندب بن عبد الله البجلي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أمرَ بقتلِ ساحرٍ، وقتلَ ساحرًا، قال الإمام أحمد: "صحَّ قتلُ السَّاحر عن ثلاثة من أصحاب النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" بالإضافة للحديث الذي في الترمذي: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ».
- فيجبُ على ولاةِ أمور المسلمين، ويجبُ على أمراءِ ورؤساء الدُّولِ والولاةِ الذين يتولَّونَ أمور المسلمين كالشُّرَطِ وإمَارات المناطِقِ، ورؤساءِ القبائلِ، فبعضُ البلدان عندهم رئيس القبيلة هو الذي يُسيطر على

---

[١١٨] صحيح البخاري (٢٥٧٣).

[١١٩] جامع الترمذي (١٣٧٦). ضعَّفه الألباني في ضعيف الترمذي، وضعيف الجامع، والسلسلة الضعيفة، وضعفه البيهقي، وقال البخاري في العلل: "ليس بشيء".

[١٢٠] أخرجه البخاري (٣١٥٦)، وأبو داود (٣٠٤٣)، الترمذي (١٥٨٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٧٦٨)، وأحمد (١٦٥٧) باختلاف يسير، والبيهقي (١٧٥٨٠) واللفظ له.

[١٢١] رواه البيهقي في السنن الصغير، صحَّحه ابن باز في مجموع الفتاوى (٧٩: ٧).

كلِّ شيء؛ فكلُّ مَن له قدرَةٌ يجب عليه أن يُزيل هؤلاء المنجِّمينَ والرَّمَّالينَ والسَّحرة والكُهَّان، والمشعوذينَ، وأن يمنَعهم مِن الجلوس في الطُّرقات وخداع النَّاس، وأكلِ أموال النَّاس بالباطل، فلا يجوز أن يُسمَح لهم بفتحِ الدَّكاكين والحوانيت واستقبال النَّاس، ففي بعض البلدان -للأسف- يوجد هذا، فالواجب على ولاةِ الأمورِ جميعًا في كلِّ بلدٍ مسلمٍ منع هؤلاء منعًا باتًّا، فإنَّ هذا أمرٌ قد اتَّفقَ عليه علماء الإسلام قاطبة، ولا يجوز تمكينهم، فإنَّ هؤلاء شرٌّ محضٌ وفساد عريض في البلاد وبينَ العِبَاد.

- ومن أسباب غضب الله على العباد عدمُ التَّناهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]، فهؤلاء السَّحرة والمنجِّمون والرَّمَّالون والكُهَّان مستحقُّون لِلَعنةِ الله، ومستحقُّون للعقوبَة الشَّرعيَّة الرَّادعة، لأنَّهم يأكلون السُّحت، وهذا بإجماع علماء المسلمين، فيجبُ منعهم، ويجب الأخذ على أيديهم.

بقيَ نوعٌ آخر، وهم: أهلُ الحِيَل، وأهلُ التَّلبيسِ والخداعِ، فبعضهم يدَّعي مثلًا أنَّه يجلس على الهواء، وهو جالس على عصا مخفيَّة! وبعضهم يأكلُ الحيَّات، أو يجعل الحيَّة ترقُص إذا زمَّر له، وبعضهم يُظهر أشياءً مِن هذا القبيل حتى يجتمع النَّاس عليه، ويأخذ منهم الأموال، فهؤلاء نصَّابون وكذَّابون ومكَّارون، ويجبُ أن يُعاقَبوا العُقوبَة البَلِيغة، وأن يُردَعوا -كما أفتى أهل العلم.

- وأذكرُ الطَّائفة الأحمديَّة الرِّفاعيَّة لَمَّا ناظرَهم شيخُ الإسلام ابن تيمية مناظرَةً عظيمةً، موجودة ضمن مجموع الفتاوى، وقد طُبِعَت مستقلَّة، وذكر ابن كثير أيضًا من حال هؤلاء في كتاب "البداية والنهاية" في التَّاريخ: أنَّ هؤلاء كانوا يُظهرونَ أنَّهم مجاذيب -وهو مصطلح صوفي، يعني أنَّه مجذوب إلى الله، وأنَّه له عَلاقة مع الله- وكانوا يُظهرون أشياءَ مخالِفة للشريعة، مثل تركِ الصَّلوات، ما يحضرون الجُمَع، ويصيحون ويرفعون أصواتهم، ويتصرَّفون بتصرِّفَاتٍ غريبة، وبعضهم تَطِير به الجنّ فوق، فيتعجَّب النَّاس منهم ويخافون منهم، ويقولون: لنا حالٌ مع الله، لا تعترِضُون علينا، اتركونا. حتى كانَ ولاة الأمر يصدِّقونهم في زمنِ ابن تيمية، فناظرهم ابن تيمية، وقالوا: إنَّ عندنا كرامة ليست عندكم! وهم كذَّابون. وقالُوا: نحنُ ندخل في النَّار ونمشي على الجَمر، وأنت ما تستطيع!

- فقال ابن تيمية: أنا أتحدَّاكم، وأدخل أنا وإيَّاكم النَّار، ولكن بشرط.

قالوا: ما هذا الشَّرط؟

قال: أغتسل أنا وإيَّاكم بالأشنان -الصَّابون- ونتنظَّف.

قال الأمير: لماذا تقول هذا؟

قال: لأنَّهم يدهنون أنفسهم بدَهَانٍ يمنع تأثير النَّار، حتى إذا لمست جلودهم النَّار لا تؤثِّر فيها تأثيرًا بالغًا، فيُظهرون هذا الشَّيء كأنَّه خارق، وهم كذَّابون!

فلمَّا قيل لهم هذا انفضحوا، ثم قالَ ابن تيمية للأمير: أنتَ معك سيف الشَّرع، سيف محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأخذ السَّيف الذي بيد الأمير، ورفعَ ابن تيمية يد الأمير، وقال: هذا سيف محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فالذي يخرج منكم عن شرع الله يُعاقَب بسيف محمد، يجب عليكم المحافظة على الصَّلوات، والجُمَع، وتتركوا كل ما خالَفَ الشَّريعة؛ فخافوا خوفًا عظيمًا من السُّلطان.

- وهذا من حِكمَة ابن تيمية، بعضُ النَّاس يأتي يقول: أنتم أيها الحُكَّام مجرمين وكذا...، صار السُّلطان معهم؛ لكن ابن تيمية أتى للأمير بحكمةٍ وأدب، وجعله هو الذي يتبنَّى عقوبة هؤلاء، وقال: هؤلاء يضرُّون ملكك ويضرُّون إمارتك، ويضرُّون النَّاس، فكانوا إذا صلَّى النَّاس في المسجد يجلسون يصيحون في المسجد، فيزعجون حتى الأئمَّة القراء، يُصلِّي الإمام بالنَّاس، وهذا يصيح ويقول: أنا عندَ حال مع الله!

فالحمد لله ارتاح النَّاس منهم -كما قال ابن كثير- وبعد هذه المناظرة وهذه العقوبة مِن الأمير خافوا خوفًا عظيمًا، وصار كثير منهم إمَّا أنَّه تابَ، وإمَّا أنَّه التزم بالأمر خوفًا من السُّلطان.

- فيجب أن نضبط أنفسنا ونضبط الناس بشرعِ الله، ويجب على ولاة الأمور والقضاة والمفتين وغيرهم أن يحملوا الناس على الشَّرع، وأن يجتنبوا هذه الطُّرق، قال: (وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا، وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ، وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ). هذا ما يتعلق بهذه الجملة.

؟ ما يتعلَّق بخفَّة اليد في الألعاب. ما حكمها؟.

- هذا يجب أن يُحذَر منها، فهناك مَن يحتال، فيما يسمَّى بالسِّيرك، وخفَّة اليد، فيفعل أفعال المشعوذين، وتعريفهم عند فقهاء الشَّريعة أنَّ هؤلاء هم المشعوذين، ففيه سَحَرَة وفيه مشعوذ.
- المشعوذ: الذي يخدَع عينيك، فيسمَّى مشعوذًا أو مشعبذًا، وكلاهما اسمٌ صحيح، فيُدخل حمامةً حيَّةً من هنا، ويُخرجها من هنا، أو نحو ذلك، أو يأخذ ورقًا وفيه رقم معيَّن، ويعطيك إيَّاه ثم يقول: هذا الذي معك غيَّرته، فهذا تلاعب، ويخدعون النَّاس بخدعٍ؛ وهؤلاء حالهم كما تقدَّم في الفقرة السَّابقة أنَّه يجب أن يُمنَعوا من هذا، لأنَّ هذا مِن أكلِ أموالِ النَّاس بالباطِل.
- وهناك مَن يذهب إلى بعضِ البُلدان الأوربيَّة إلى اليهود ليدرس هذه الأشياء، فيدرس أنواع الخِدَعِ ليَخدَعَ النَّاسَ، وهذا ليسَ مِن طريقةِ أهلِ الإسلامِ، وبالعكسِ فهذا مِن التَّعاطي لِما يضرُّ، ويجبُ منعه.
- كذلك ممَّا يُخالف الشَّريعة: السَّماع الصُّوفي، الإنشاد الذي يتضمَّن سماعَ القَصَائد المُلحَّنة، والأنغام المُطرَّبة، ويقول: إنَّنا نتقرَّبُ إلى الله بهذا؛ فهذا كلُّه ممَّا يُخالف الشَّريعة.
- والسَّماع الذي يُحبُّه الله -عَزَّ وَجَلَّ- هو سماع القرآن وتلاوته، وكذلك سماع أحاديث النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والتَّفقُّه فيها، وكذلك أحكام الشَّريعة، ويُباح الغِناء للنِّساء في الأعراس، كما يعرف النَّاس أنَّ النِّساء يغنِّينَ بالكلام الطِّيب في مدحِ الزَّوجةِ أو مدح الزَّوج، ويكنَّ معهنَّ الدُّف، أمَّا المعازف فلا يجوزُ استعمالها بأيِّ حالٍ مِن الأحوالِ، كالطَّبلِ والنَّاي والعودِ والقيثارة، وما أشبه ذلك؛ فكلُّ هذا محرَّمٌ ولا يجوزُ بأيِّ حالٍ مِن الأحوالِ، لأنَّ النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ، وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ، وَالْمَعَازِفَ»[١٢٢]، فنهى عنه النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- وهذا البابُ ليسَ بابًا تعبُّديًّا، أمَّا السَّماع المُحرَّم أو المبتدَع يتعبَّدون بالإنشاد به، ويظنُّونَ أنَّ هذا إنشادٌ إسلاميٌّ، وأنَّه ابتهالات، وأن هذه أشياء تقربهم إلى الله، وأنَّه من باب الدعوة إلى الله!

---

[١٢٢] صحيح البخاري (٥١٨٧).

- لا، إنَّما إذا أنشدوا فإنَّهم يُنشِدونَ من باب الرَّاحة، واستجمام النَّفس، أو التَّشجيع على العمل، مثلما كان الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- يُنشدون لما حفروا الخندق:

وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا ** وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

- فكانوا يتعبون، فيحتاجون إلى نوعٍ من التَّشجيعِ بالإنشادِ، فهذا لا بأسَ به، أو في السَّفرِ مثلما أنشدَ أَنْشَجَة لَمَّا كان يحدو الإبل، والحداء هو الصَّوت الشَّجي الجميل، فتشد الإبل ظهورها وتسرع في السَيرِ، فهذا لا بأسَ به، ولكن ما يتعبَّدون بهذا، ما جاءَ أنجشة يتعبَّد بهذا! ولكن هذا مباح.
- وكذلك إنشادُ النِّساء في العُرسِ فهذا مباحٌ، وليسَ بعبادةٍ، فهذا ممَّا وسَّعَ الله به علينا -ولله الحمد- وكذلك في العيدين، فيفرح النِّساء بالدُّفِّ ويغنينَ وكذلك الأطفال، فلا بأسَ بذلك، وكذلك عندَ استقبالِ القَادمِ من السَّفرِ، فلا بأسَ بذلك، ولكن لا يُتوسَّع في هذا، لأنَّ هذا من أسبابِ الانحراف.
- وعلى كلِّ حالٍ لا يجوز تَعاطِي ما يُخالفُ الشَّريعة، كترك الصَّلاة، وتركِ الجُمَع والجماعات، أو غيرِ ذلك؛ فكلُّ هذا لا ينبغي.
- والقَاعِدةُ الكَبِيرةُ: إذا رأينا الشَّخصَ وقعَ في شَيءٍ مخالفٍ لشَرعِ الله ولو كانَ قليلًا؛ فإنَّ هذا علامةُ انحرافه، وأنَّ ما لديه غلط، ولا يُصدَّق، ولا يُتابَع في عَمِلِه، لأنَّه قد خَالَف الشَّريعة.
- فهذه المسألةُ مهمَّةٌ جدًّا، وهي: أنَّنا لا نُصدِّق الكُهَّان ولا العرَّافينَ، ونحاربهم، ونسعى في القَضَاءِ عليهم معَ ولاةِ أمورنا، ولا نصدِّق مَن يدَّعي شيئًا يُخالِف الكتابَ والسُّنَّة وإجماع الأمَّة.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.








الدرس العاشر



الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{سنبدأ في هذه الحلقة -بإذن الله- من قول أبي جعفر الطَّحاوي -رحمه الله: (وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا)}.

- هذه الجملة من أواخر الجُمَل في العقيدة الطَّحاوية، يقول الطَّحاوي -رحمه الله: (وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا).
- يعني: أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة الموافقونَ لكتابِ الله وسنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وما عليه سَلَف الأمَّة: يرون ويعتقدون عقيدةً جازمة راسِخَة لُزوم جماعة المسلمين وإمامهم، (وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا).

والدليل على هذا من القُرآن، ومن السُّنَّة، ومن حالِ سَلف الأمَّة.

- أمَّا القرآن: فيقول الله -سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فحبلُ اللهِ الذي أمَرنا الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالاعتصام به هو: الإسلام، وهو القرآن، وهو النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أي: سنَّته -صَلوات ربي وسلامه عليه؛ فهذه تجمع كلمة المسلمين، وبها تأتَلِف قلوبهم، وتتوحَّد كلمتهم.

* ومن الأدلَّة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢].
* وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

فجعلَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- المتفرقين في الدين الذين فرقوا الدِّين وصَاروا شيعًا وأحزابًا ليسُوا من النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وليس منهم، فقال: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾، وهذا وعيدٌ شديدٌ، لأنَّ كونَ الذي ينتسب للإسلام يُقال له: إنَّ النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليسَ منك في شَيء؛ فهذا وعيدٌ شديدٌ جدًّا، يعني: أنتَ لستَ من النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أي شيء، حتى لو ادعيت أنَّك مِن أتباعه، وهذا يدلُّ على أنَّ الفِرقَة زيغٌ وعذابٌ، وأمَّا الجماعة فهي حقٌّ وصوابٌ ورحمةٌ.

* واللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- قال: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]، نسأل الله العافية والسلامة.

- والنَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذكر افتراق اليهود والنَّصارى على بضعٍ وسبعين فرقة، ثم قال: «وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً». قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»[١٢٣]، فهذا الحديث يدلُّ على وجود هذا الافتراق، وأنَّ كثيرًا من أفراد هذه الأمَّة يترك منهاج النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إمَّا عنادًا واستكبارًا، وإمَّا تقليدًا أعمى وتعصُّبًا، وإمَّا جَهلًا، نسأل الله العَافية من هذه الأهَواء كلها.
- والصَّحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- لم يسألوا عن الطَّوائف الضَّالة لكثرتها؛ ولأنَّ السُّؤال عنها ليس بكثيرٍ فائدة؛ لأنَّ السُّؤال المهم الذي ينفع الإنسان هو معرفة الحقِّ، ولزوم الحقِّ، والعمل بالحقِّ، ولهذا قالوا للنَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من هي؟)، أي: الفِرقة التي سَتنجُوا وتَسلم، والفرقة الناجية هي الطائفة المنصورة التي قال فيها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»[١٢٤].
- وإذا نظرتَ إلى القرآن؛ فإنَّ الله -عَزَّ وَجَلَّ- قال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، فوعدهم بالنَّصر.
- وفي موضع آخر قال: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]، فوعدهم بالنَّجاة؛ فعُلم من هذا أنَّ الطَّائفة المنصورة هي الفِرقة النَّاجية، وأنَّ الفِرقة النَّاجية هي الطَّائفة المنصورة، وهذه الفِرقة النَّاجية ليست مختصَّة ببلد، أو بقبيلة، أو بجنسٍ من البشر، فالذي يقوم بأمر الله -عَزَّ وَجَلَّ- ويتمسَّك بحبل اللهِ وهو القرآن والسُّنَّة، ويسير على نهج سلفِ الأمَّة هو مِن هذه الطَّائفة ومن هذه الفِرقَة، فكلُّ مسلمٍ على وجهِ الأرضِ كان على هذا النحو يُرجَى له هذا الفضل العظيم «عَلَى مِثْل مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصْحَابِي»، فمَن تحرَّى

---

[١٢٣] رواه الترمذي (٢٦٤١) وحسَّنه ابن العربي في " أحكام القرآن " (٣ /٤٣٢) ، والعراقي في "تخريج الإحياء" (٣/٢٨٤) والألباني في "صحيح الترمذي".
[١٢٤] مسلم (١٩٢٠)

نهج النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه -رضي الله تعالى عنهم- كان مِن أهلِ النَّجاة والنُّصرة، وهذا يُبين لنا عدم صحة من يَرمي أهل السُّنَّة والجماعة بأنهم يتعصَّبونَ لبلدٍ مُعيَّنٍ، أولجنسيةٍ مُعيَّنةٍ، أو لقبيلةٍ مُعيَّنةٍ، أو لأرضٍ مُعيَّنةٍ ويقول: أنتم تدَّعونَ أنَّ الأرضَ الفُلانية وأهلها هم النَّاجون وأنَّ النَّاس كلُّهم في النَّار!

نقول: إنَّ هذا كلام غير صحيحٍ، ولم يقلْه عالم!

- وإنَّما الموعود بالنَّجاة والنُّصرة هم المتمسِّكون بالكتاب والسُّنَّة السَّائرون على نهج سَلفِ الأمَّة من جميع أقطار الأرض، فبينهم مِن الولاء والمحبَّة والأخوَّة في الله كما قال النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»**[١٢٥]، فرابط الإيمان ورابطة الإسلام أقوى رابطة، وهي مُقتضى الولاء، الولاء للمؤمنين، والبراء من الكافرين.

فالولاء للمؤمنين يَقتضي: أن يُحب المؤمن كلَّ مسلمٍ وكلَّ مؤمنٍ على وجهِ الأرضِ، وأن يبغضَ كلَّ كافرٍ على وجهِ الأرضِ، حتى لو كانَ مِن أقربِ النَّاس إليه.

؟ ما المراد بالجماعة؟

- إنَّ لفظَ الجماعة لفظٌ شرعيٌّ، والألفاظُ الشَّرعيَّة يجبُ قبولها والإيمان بها حتى ولو لم نعرف معناها على شمولِهِ، ولكن -ولله الحمد- قد وُضِّح معناها في الكتابِ والسُّنَّة توضيحًا كافيًا وشافيًا، لكن مِن الأغلاطِ أنَّ بعضَ النَّاسِ يأخذُ اللفظَ الشَّرعيَّ فينزله على أمورٍ من البدعِ، أو من الضَّلالاتِ أو مِن الأخطاء التي عندَ النَّاس.

- **مثال ذلك**: أنَّ بعضَ النَّاس يتصوَّر أنَّ الجماعة يُراد بها جماعته هو، فبعض النَّاس يُشكِّل جماعة، أو يضعُ جماعةً تبدأ بشخصٍ، ثم مجموعة، ثم يتجمَّعونَ ويسمُّونَ أنفسَهم "الجماعة" ويقولون: نحن جماعة كذا...، بعضهم يُطلق "جماعة الإخوان المسلمين" أو "جماعة التَّبليغ والدَّعوة" و"الأحباب" أو جماعة كذا...، فيسمونَ أنفسَهم جماعةً، ثم يظنُّ أنَّ النُّصوصَ في لزومِ الجماعة، أي: لزوم جماعتهم هم، وهذا مِن الأخطاء الفَاحشة؛ لأنَّه لا يجوز أن تُنزَل النُّصوص على فَهمك أنت الخاطئ في المراد بالمصطلحات الشرعية، فالمراد بالمصطلحات الشَّرعية يُرد إلى الكتاب والسُّنَّة حتى يُفهم على وجهه.

- فالنَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الحديثِ السَّابق قال: **«عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عليهِ وَأَصْحَابِي»**، وفي حديث **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»**، هذا كلام النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **«وهم الجماعة على الحق»**، يعني: المتمسِّكون بالحقِّ، وبالكتاب والسُّنة، السَّائرون على نهج الصَّحابَة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

---

[١٢٥] رواه البخاري (٦٠١١)، ورواه مسلم (٢٥٨٦)، واللفظ له.

- ومسألة السَّائرون على نهج الصَّحابة أو على فهم سَلفِ الأمَّة؛ تُخرج طوائف المبتدعة؛ لأنَّ أغلبَ المبتدعة وأغلب الفِرق يقولون: نحن نحبُّ الكتابَ والسُّنَّة، ونتَّبعُ الكتاب والسنَّة! ولكن لو جاءت الآية أو جاء الحديث قال: لا، هذا الفهم غير صحيح، وأنا لا أقبل هذا! أنا أقبل كلام شيخي، وكلام فلان، وكلام علان...! الحَكَم هو ما فَعَلَه الصَّحابَة بهذه الآيات، وما آمنوا به، وما اعتقدوه؛ لأنَّهم هم قدوتنا، وهذا القيد المهم يَقضي على كثيرٍ مِن البدعِ التي أحدثها المُحدِثُون، وابتدعها المبتدعون.

هذا الأمر المهم وهو أنَّ الجماعة لا يُمكن أن تفسر بغير ما فسَّره النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبغير ما ورد في الكتاب والسُّنَّة.

- **والجماعة في الشَّرع تُطلَق على جماعتين**، وردت النُّصوص فيهما، وكلاهما معنًى صحيح:

❑ **الجماعة الأولى:** الجماعة العلمية، جماعة العلم، جماعة لزوم الكتاب والسنة والحق. وهذا مثلما تقدم في الحدث **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»**، فكونهم على الحقّ يعني تمسَّكوا بأدلَّة الكتابِ والسُّنَّة. إذن هذه جماعة العلم الذين تمسَّكوا بما كان عليه سلف الأمَّة وساروا عليه، وبهذا يخرج المبتدعة الذين ابتدعوا بدعةَ الرَّفضِ كالرافِضَة، أو بدعة الخوارِج، أو بدعة الإرجَاء، أو بدعة القَدر، أو بدعة الاعتزال، أو بدعة القول بالجبر، أو بدعة نفي الصِّفات أو الأسماء، وغير ذلك من البِدَع التي أحدثها المحدثُون، فخرجوا مِن الجماعة؛ لأنَّهم خَالفوا الحقَّ في هذه المسائل.

❑ **الجماعة الثانية:** جماعة الأبدان، أو جماعة السُّلطَان، وهذا جاء في حديث ابن عباس في صحيح البخاري وفي غيره، ولكن هذا اللفظ أقرأه على الإخوة في الباب الثَّاني من كتاب الفتن من صحيح البخاري، وأورد عدة أحاديث، ومن هذه الأحاديث: حديث ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- أنَّ النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **«مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»**[١٢٦].

ثم أورد البخاري نفسه -رحمه الله- حديثًا عن ابن عباس عن النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: **«فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنْ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»**، فعلم أنَّ الجماعة هو السُّلطَان، والسُّلطَان هو الجماعة.

؟ ما المراد بالجماعة على أنها هي السُّلطَان؟

- أي: عدم الخروج عليه، الاجتماع على الحق، الاجتماع على ولاة الأمور، وعلى إقامة الجُمَع والجماعات، وعلى السَّمع والطَّاعة في غير مَعصية الله -عَزَّ وَجَلَّ- وهذا المعنى يأباه الخوارج والمعتزلة، وكثير من أهل الأهواء ويخرجون عن هذا، وكذلك قطاع الطرق والبغاة، وكذلك غيرهم من أهل البدع.

- فالخروج على السُّلطَان خروجٌ عن جَماعَةِ المسلمين، ولهذا مَن سَلَّ السَّيف على جَماعَة المسلمين وإمامهم يُقال: خَرجَ عن جَماعَة المسلمين.

---

[١٢٦] رواه البخاري (٦٦٤٥)

- وفي حديث حذيفة بن اليمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وعن أبيه قال: يا رسول لله، فما تأمرني إن أدركني ذلك. فقال النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»[١٢٧]، فالمراد بجماعة المسلمين هنا: المجتمعون على أمير أو على حاكم، أو على ملك؛ فتلزمهم، ولا تخرج عليهم، ولا تسلّ السَّيف، أو تعتقد بطلان حالهم، وتشذَّ عنه وتنشقّ عنهم وتعارضهم، لا، ما دام أنَّ المسلمين مجتمعون على هذا فحتى لو كان عنده تقصير ومعاصي؛ فإنَّك لا تطيعه في المعصية، ولا ترضى بالمعصية، ولكن لا تنزع يدًا من طاعة، فهذا المعنى معنًى صحيح وشَرعي.
  - فجماعة العلم: تعني لزوم الحق، ولزوم الكتاب والسُّنَّة.
  - وجماعة السُّلطَان: أي لزوم السُّلطَان في طاعة الله ورسوله، وذلك في غير معصية، أما إذا صار فيه معصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.
- يقول: (وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا)، فلزوم الجماعة بهذين المعنيين هذا رحمة وحق وصواب.
- لو اجتهد ولي الأمر اجتهادًا خاطئًا وأمر النَّاس بهذا الاجتهاد، أو أمر بمعصية؛ فأنت في هذه الحال لا تخرج عن الجمَاعة ولا تتمرَّد، ولا تشقَّ العَصَا، ولا ترفع السَّيف على أمَّة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأجلِ خطأ هذا الحاكم ومعصيته أو اجتهاده، وإنَّما تَلزم الحقَّ في نفسِك، وتعتقد الحقَّ، وتدعو إليه بالطَّريقة الشَّرعيَّة الصَّحيحة، وتنصح إذا تمكَّنت من النَّصيحة بالطَّريقة الرَّاشدة؛ لأنَّ النَّصيحة لابدَّ أن تكون في محلِّها وبالطَّريقة الشَّرعيَّة، فهذا هو المشروع للمؤمن، وإذا كان الحاكم على حالٍ طيّبة فهذه نعمة من الله -عَزَّ وَجَلَّ- على المسلمين، وإذا كان الحاكم في بعضِ البلدان على حالٍ أسوأ وأسوأ حتى لو كان داعيةً إلى البدع؛ فإنَّه يُصبَر عليه، ولا يُخرَج عليه، وإذا تمكَّنَ أهل الخير والعلم من مناصحته يُناصحونه بحكمة حتى يرجع إلى السُّنَّة وإلى الحق، وإذا لم يستَجِب فإنَّهم يَصبرون حتى يستريحَ برٌّ -يعني يموت- أو يُستراح مِن فاجرٍ -يعني يموت هذا الفاجر الذي آذى النَّاس بهذه الأمور.
- فالمقصود أنَّ لزومَ الجماعة يقتضي عدم الخروج والتَّمرُّد وعدم سلِّ السَّيف، كما أنَّ لزوم الجماعة يقتضي لزوم الحقِّ، وعدم متابعة البَاطل وأهله حتى ولو كانَ حاكمًا، فإذا أمرَ بباطلٍ فلا يُطاع فيه، فالإنسان يلزم الجماعة ولا يُطيع في البَاطل ولا يُؤيّده، وفي نفس المقام لا ينزع يدًا من طاعة ولا يخرج عليه. (وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا).
- هنا يقودنا المقام إلى مسألةِ الاختلافِ الواقع بين الأمَّة والتَّنازع، ولاشكَّ أنَّ الجميعَ يعلم كثرة التَّفرُّق والتَّحزُّب والعداوات التي حدثت في القُرون المتأخِّرة، وهذا شيءٌ مُقدَّر لحكمةٍ بالغةٍ حتى يبتلي الله -عَزَّ وَجَلَّ- العباد، فالواجبُ على كلِّ مؤمنٍ ومؤمنة أن يُطيع الله ورسوله، وأن يجتهد في فهم معاني الكتاب

---

[١٢٧] رواه البخاري (٦٦٧٣) ولفظه: عن حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَقُولُ كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ قَالَ نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ قُلْتُ وَمَا دَخَنُهُ قَالَ قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ قُلْتُ فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا قَالَ هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا قُلْتُ فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ قَالَ فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ.

والسُّنَّة، والعمل بمقتضاها، والدَّعوة إلى ذلك، والصَّبر على ذلك حتى يلقى الله -عَزَّ وَجَلَّ- ومحبَّة الخير للمسلمين، ويعتقد المسلم أنَّ المسلم أخو المسلم في أي مكانٍ في الأرض، المسلم أخو المسلم لا يَظلمه ولا يَهضِمه، ولا يخذله، ولا يحقره، ولا يَحقد عليه، ولا يحسده على خير؛ فكلُّ هذا لا يجوز، وهذه المحبَّة بين المسلمين مِن لزوم الجماعة، والتَّآلف بينهم، وبث روح الخير والألفَة والمحبَّة، وتقريبِ القلوب من بعضها.

- كذلك أن يُعطِّفَ قلب الرَّاعي على الرَّعية، فبعض النَّاس قد يكون قريبًا من السُّلطَان أو الحاكم، فيأتي عند الحاكم يُجالسه، فالواجب عليه أن يُعطِّفَ قلبه تجاه رعيَّته المسلمة، ويقول: هؤلاء ارحمهم، واصبر على جَهلهم، وأحسن إليهم، واستمع لنصائحهم، ويُذكره بالأشياء الطَّيبة حتى يُعطِّف قلبَ الحاكم على الرعيَّة.

  والعكسُ كذلك؛ أن يُعطِّف قلوب الرَّعيَّة على الراعي والحاكم، فيأتي عند الرعية والنَّاس ويقول لهم: الحاكم فيه خير، وادعوا له بظهرِ الغيب، وأبشروا بالخير، وما نظنُّ به إلا كلَّ خيرٍ، وإن شاء الله كلَّ خيرٍ قريب، وهكذا يُقرِّب القلوب حتى تجتمع الأمَّة.

  أما إذا صارت الأمور محل حدَّة وغضب لا حد له؛ فتتصاعد الفتن وتكثر -نسأل الله العَافِية والسَّلامة.

- والواجبُ على المسلمين أن يكون أمرهم واحدًا، واجتماعهم واحدًا، ويدهم واحدة على مَن عاداهم، ويجب عليهم أن يَتنَاصَحوا فيما بينهم، لقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الدِّينُ النَّصِيحَةُ»**. قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: **«لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»**[١٢٨]، فكلٌّ يحتاج إلى نصيحة، حتى أئمَّة المسلمين وعامتهم.

- أمَّا إذا استمرَّت الأمور على الإحَن وعلى إيغارِ الصُّدورِ، فبعضُ النَّاس يأتي إلى المنكرات في بعضِ البلدان ويأتي عند العامَّة ويقول: انظروا لهذه المنكرات، فإنَّ سبب هذا هو الحاكم! ويوغر صدورهم على ولي الأمر، فتكون النتيجة إذا احتنقت القلوب وصار فيها غيظٌ لم تستجب لهذا الحاكم، وصار فيها التَّمرد، وتكون العاقبة أن إذا أمرهم بأمر لا يستجيبون إذا كان في مصحلة لهم، أو إذا أحسنَ لهم يظنُّون به السُّوء لِمَا أورَثه ذلك الإيغار الشَّديد، وهناك الآن حملات إعلاميَّة لإيغار صدور المسلمين بعضهم على بعض، وإيغار صدور المسلمين على ولاة أمورهم، وهذا من الشَّيطان وأعوانه، ولا يجوز مثل هذا، لأنَّ الأمور إذا استمرت على التَّصعيد ستكون هناك فتن وخروج، ودماء تُهرق بغير حقّ.

- أمَّا جمعُ الكلمة وتأليفُ قلوبِ المسلمين فيما بينهم، وتأليفُ المسلمين على الرَّاعي؛ فهذا تُحقَن به الدِّماء، وتُحفَظ به النُّفوس، وتُصَان به الأموال، وكذلك تأمَن المجتمعات، ويأمَن النَّاس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

- فالواجب أن نجتَمِع على طَاعة الله ورسوله، وأن نتآلف، وأن نبثَّ المحبَّة فيما بين المسلمين، خصوصًا فيما بينهم وبين ولاة أمرهم، وفيما ينشب بينهم مِن خلافات ونزاعات، نسعى في الصُّلح والإحسان، لأنَّ هذا مِن تمامِ لُزوم الجماعة.

---

[١٢٨] رواه مسلم (٥٥) عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ

- وكذلك مِن تَمام لزوم الجماعة: لزومُ الجُمَع والجماعات والأعياد، وشهودها مع المسلمين، وأن نشارك المسلمين في سرورهم، نفرح لفرحهم، ونحزن لحزنهم، وأن يُعادَ المرضى، وأن تُتَّبَع الجنائز، وأن يُنصَح المسترشد، كما قال النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حق المسلم على المسلم خمس»، وذكرها، فهذه كلها من حقوق المسلمين بعضهم على بعض.

ثم يقودنا الحديث إلى الاختلاف الدَّائر، فبعضه اختلاف مأذون فيه شرعًا، وبعضه اختلاف محرم شرعًا.

- فأمَّا الاختلاف المأذون به شرعًا: فهو اختلاف التَّنوُّع.

ومن هذا الباب:

- **صِفة الأذان**، فقد وردَ الأذان عن نبيّنا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِصِيغَة بلال بن رباح -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وبِصِيغَة أذان أبي محذورة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وهذا الأذان سُنَّة.
- **كذلك دعاء الاستفتاح في الصَّلاة**، فأدعية الاستفتاح في الصَّلاة وردت على عدَّة أوجه عن النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكلها صَحيحة ومأثورة عن النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فمَن فعل هذا فلا حرج، ومَن فعل هذا فلا حرج.
- **كذلك صيغ التَّشهُّد الأوَّل:** هناك صِيغَة عبد الله بن مسعود وهي مشهورة، وكانَ يعلمها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأصحَابِهِ كما يُعلِّمهم السُّورة من القرآن. وهناك صِيغة عبد الله بن عباس، ثابتة في صَحيح سلم، فصِيَغ التَّشهد والاستفتاح في الصَّلاة، وكذلك التَّكبيرات في الجنازة، وكذلك صِفة صَلاة الخَوف؛ وما جرى على هذا المجرى يعتبر مِن خلاف التَّنوع، لا يجوز أن يَبغي بعضُ النَّاس على بعض، فإذا أخذَ بعض المسلمين في بعض المناق بسنَّة، ومضوا عليها، وتعارفوا عليها، ومَشوا عليها، كأن يؤذّنونَ أذانَ أبي محذورة؛ فلا يُنكر عليهم، ولا يَأتي واحدٌ يقول: أيش هذا الأذان؟!

نقول: هذا سُنَّة مأثورة عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فالبَغيُ لا يجوز في هذا.

- ومِن ذلك أيضًا ما يكونُ فيه اجتهاد، ويأتي الشَّرع بتقريرٍ واستحسانٍ وحَمدِ الطَّرفين، مثال ذلك: في سورة الأنبياء: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ [الأنبياء: ٧٨]، يعني: رعت ليلًا، فرَعَت الغنم ليلًا في مزرعة فيها عنب، فأتلَفَت المزرعة، فصاحبُ الزَّرع تضرَّرَ، فالعنب تَلِفَ والزَّرع تَلِفَ، والعريش الذي للعنب تَلِف بسبب دخول الغنم ليلًا، فحكم فيها نبيُّ الله داود بحكمٍ، وابنه سليمان حَكَم فيها بحكم، قال تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩]، انظر لقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾، أثنى على حكم سليمان، وأثنى على الطَّرفين بقوله ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، وهذا دليل على أنَّ داود حكمه صحيح، وسليمان حكمُه صحيح، ولكن سليمان أدق؛ لأنَّ الله -عَزَّ وَجَلَّ- قال: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾.
- وكذلك قطعُ النَّخيل في غزوةِ خيبر، قالَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- في سورة الحشر: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥]، فكله بإذن الله وبشرعه، القطع جائز للتعزير

والعقوبة، والترك جائز لمصلحة المسلمين، لأنَّها إذا صارت غنائم تكون مصلحةً للمسلمين، ولهذا فإنَّ الصَّحابة اختلفوا، فبعضهم رأى قطعَ الأشجَارِ، وبعضُهم رأى عدمَ قَطعِها، فقال الله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥]، فكله بشرع الله -عَزَّ وَجَلَّ- وهذا تَساوى فيه الطَّرفين.

- ومِن ذلك أنَّ النَّبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»[١٢٩]، فالصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- صاروا إلى بني قريظة في الغزوِ طَاعة للنَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فأدركتهم الصَّلاة وهم في الطَّريقِ، فطائفةٌ قالت: إنَّ النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يُرد منَّا أن نؤخِّرَ صَلاة العَصرِ إلى الليل، وإنَّما أراد منَّا أن نُبادِر بالمسيرِ، فأخذوا بالمعنى، فصلُّوا العصر في وقتِها وساروا.

وآخرون قالوا: لا، النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أمرَنا ألَّا نُصلِّيَ إلَّا إذا وَصَلنا إلى بني قريظة، فأخذوا بالظَّاهر.

فالنَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا بَلَغَه هذا لم يُعنِّف إحدى الطَّائفتين، فهذا مما يُسمى بالاختلاف في الاجتهاد، وهو محل قبول في الشَّريعة، ومحل حمدٍ وثناءٍ.

- ومنه قول النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»[١٣٠]، فهذا الاختلاف بنوعيه -اختلافُ التَّنوع أو الاختلاف النَّاتج عن الاجتهاد ولم الدَّليل- هذا اختلاف يُعتبر محمودًا، ومُقرًّا في الشَّريعة.

- أمَّا الاختلاف المذموم: فهو اختلاف التَّضاد، وهو النَّاتِج عن التَّعصُّب، وعن ترك الدليل، والعناد، ومخالفة الحق لهوًى، قال الله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩]، فهذا اختلاف تضاد، وهو اختلاف في العقيدة.

أيضًا الاختلاف في العمل إذا نتج عن تعصُّبٍ، وليسَ عن اتِّباع للدَّليل، فبعض الناس يسمع الآيات ويسمع الأحاديث ويقول: أنا لا آخذ بها لأجل قول فلان!

- حتى أنَّ أحدهم في القرن الثاني عشر في حاشية الجمل على الجللين، في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ [الكهف: ٢٣]، لما ذكر الخلاف في الاستثناء في قول: "إن شاء الله" هل هو في المجلس أو بعده بيوم...، إلى آخره، وذكر الأقوال، فهذه مسألة خلافيَّة.

ولكن المشكلة لما قال هذه العبارة الخطيرة: "لا يجوز الأخذ بقول الصحابي إذا خالف المذاهب الأربعة" ثم قال: "بل لا يجوز الأخذ بالآية والحديث إذا خالفت المذاهب الأربعة"! فهذا تعصُّب مقيت.

ثم جاءت الطَّامَّة الثَّالثة والأشد، لما قال: " الأخذ بالظواهر من أصول الكفر"!!

---

[١٢٩] رواه البخاري (٣٨٩٣)

[١٣٠] رواه مسلم (١٧١٦)

يعني جعلوا كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ- من أصول الكفر -نسأل الله العافية والسلامة!

- فهذا الاختلاف الذي نتج عن التَّعصُّب، حتى صار بعضهم يُفتي أنَّه لا يجوز للشافعي أن يُصلي خلف الحنفي، ولا المالكي يُصلي خلف الحنبلي، بل لا يجوز أن يتزوج شافعي من حنبلية، أو مالكي من حنبلية، ونحو ذلك من التَّعصبات التي نتجت عن التَّقليد، والتَّعصب الشَّديد، فنتج عنها العداوات والتفريق بين المؤمنين، وتفريق جماعة المسلمين بمثل هذا، ففرقوا الجماعة، ولذلك فنحن نرى (الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا)، فهذا من الافتراق؛ لأنَّه غير ناتج عن اجتهاد مقبول، ولكن ناتج عن تعصُّب للرأي، وتعصُّب للمذهب إذا خالف الدليل -نسأل الله العافية والسلامة.
- فالاختلاف بين الفُقَهاء تقدَّم معنا أنَّنا نعذر الفقهاء، والاختلاف بين الفقهاء محل اجتهاد بينهم -رحمة الله عليهم- مع محبَّتنا وتقديرنا لجميع الفقهاء، وسبق أن ذكرنا أنَّ ابن تيمية ذكرَ الأعذار لأهل العلم في كتابه المشهور "رفع الملام عن الأئمة الأعلام" وذكرنا أنَّ الأعذار العشرة التي ذكرها الشيخ إلى ثلاثة، ويمكنكم مراجعة الدرس في أعذار العلماء، لما ذكر العلماء السابقين ومحبَّتهم.
- ومع هذا لا يجوز لنا أن نتَّبعهم إذا خالفوا الدَّليل، فإذا لم يظهر للإنسان شيء؛ فإنه لا بأس أن يأخذ بقول العالم، فإذا ما عرف الترجيح لكونه جاهلًا، أو بعيدًا عن الأدلة، أو مشغولًا بدنياه فلا يتفرَّغ للنَّظر في الأدلَّة؛ فلا بأس أن يسأل أهل العلم الذين يثق بعلمهم ودينهم؛ وحينئذٍ يكون هذا من الاتِّباع، لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ولكن بشرط أن يسأل أهل الثِّقة والرُّسوخ في العلم، ولا يكون للتَّشهِّي أو لتَتَبُّع الرُّخص.
- فهذا الكلام العظيم (وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا)، يقول عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "وَأَنَّ مَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ"[١٣١].
- يعني: بعض الناس إذا صار مع جماعة المسلمين في البلد، قد يرى أحيانًا نقصًا في الأموال، أو يرى أحيانًا بعض الظلم على بعض الناس، أو يرى بعض الأشياء التي يضيق منها صدره ويضطرب فؤاده؛ فيتخيَّل أنَّه يُهاجر إلى بلاد أخرى، وبعضهم يذهب إلى بلاد الكفار، وبعضهم يظن أنه لا بيعة لولي الأمر، ولا سمعَ ولا طاعة، فيخرج عن جماعة المسلمين حتى ولو كان معهم، لقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً»، فهو يظن بجهله أنَّه إذا فعل هذه الأشياء، كأن يخرج ويهرب، أو تمرَّد، أو صار من المعارضين؛ يظنُّ أنَّه حاز على خيراتٍ كثيرة، ولا يدري هذا المسكين الجاهل أنَّه باعَ دينه، وأنه تعرض للفتن الأعظم والأخطر، وهذا معنى قول ابن مسعود "وَأَنَّ مَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ".

[١٣١] رواه الحاكم ولفظه: الْزَمُوا هَذِهِ الطَّاعَةَ وَالْجَمَاعَةَ فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ ، وَأَنَّ مَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا جَعَلَ لَهُ مُنْتَهَى ، وَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ تَمَّ وَإِنَّهُ صَائِرٌ إِلَى نُقْصَانَ ، وَإِنَّ أَمَارَةَ ذَلِكَ أَنْ تُقْطَعَ الْأَرْحَامُ ، وَيُؤْخَذَ الْمَالُ بِغَيْرِ حَقِّهِ ، وَيُسْفَكَ الدِّمَاءُ وَيَشْتَكِي ذُو الْقَرَابَةِ قَرَابَتَهُ ، وَلَا يَعُودُ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ ، وَيَطُوفُ السَّائِلُ بَيْنَ الْجُمُعَيْنِ لَا يُوضَعُ فِي يَدِهِ شَيْءٌ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ خَارَتْ خُوَارُ الْبَقَرِ يَحْسَبُ كُلُّ النَّاسِ إِنَّمَا خَارَتْ مِنْ قِبَلِهِمْ ، فَبَيْنَمَا النَّاسُ كَذَلِكَ إِذْ قَذَفَتِ الْأَرْضُ بِأَفْلَاذِ كَبِدِهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، لَا يَنْفَعُ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْءٌ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ .

- والجميع يذكر أنَّ كثيرًا من البلدان التي وقع فيها ما وقع حتى بلادنا قبل مائة سنة لما حدث فيها بعض القلاقل وزالت عنها الجماعة؛ ماذا حدث للقبائل؟ وماذا حدث لأهل القرى والمدن؟ والبلدان الآن الذي حدث اختلال فيها، ماذا حدث لها لما زالت الجماعة؟

حدث قلاقل عظيمة، لا يأمن الناس على أنفسهم، ولا على أموالهم، ولا على أعراضهم -نسأل الله العافية والسلامة وأن يلطف بالمسلمين في كل مكان.

فاجتماع المسلمين ووجود الجمعة، ووجود الحاكم يجتمعون عليه؛ هذه نعمة كبيرة، فإذا كان هذا الحاكم يحكم بالشريعة الإسلاميَّة -كما في المملكة العربية السُّعودية-ولله الحمد- هذه نعمة عظيمة جدًّا، فنحمدُ الله على هذا، ونشكر الله -عَزَّ وَجَلَّ- على هذه النِّعمَة، ونحافظ عليها، وندعوا لولاة الأمر بالهداية والصلاح والمعافاة.

- وكذلك البلدان الأخرى، نسأل الله -جَلَّ وعَلَا- أن يوفق حكامها، وأن يجمع قلوب الجميع على طاعة الله ورسوله، وأن يوفق حكام جميع البلدان المسلمة للحكم بالشريعة الإسلامية وبالكتاب والسنة؛ فهذا ما نرجوه، وندعو الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يهيئه للمسلمين ولحكَّامهم، حتى تجتمع كلمتهم، وتقوى شوكتهم بإذن الله، ويندحر عدوهم.

فمقتضى الجماعة: محبَّة الخير للمسلمين.

والفرقة خطر عظيم، وأنها الفرقة الاعتقاديَّة، يعني أن تُفارق الحق، فبسق أن ذكرنا أن الجماعة لها معنيان:

المعنى الأول: جماعة العلم، وهي جماعة لزوم الحق.

المعنى الثاني: عكس جماعة العلم؛ وهي أن تفارق منهج أهل السنة والجماعة، فتقع في الأهواء.

- **قد يقول قائل:** هذه الفِرَق الضالَّة هل سيدخلون النار كلهم؟

نقول: هذا الحكم قاله النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كلها في النار إلا واحدة»**، ولكن انتبه أن هذا حكم مطلق، أمَّا التعيين كأن تقول: إنَّ فلان بن فلان من هذه الجماعة أو تلك كافر؛ فهذا ليس لنا، وسبق معنا الدروس أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة لا يحكمون على مُعين لا بجنةٍ ولا بنارٍ إلَّا مَن شهد له النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وشهد له الكتاب، وشهدت له السنَّة.

ما الموقف من هؤلاء؟

- نقول: هؤلاء فيهم المعاند الذي يعلم أنَّه خالف النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على بصيرةٍ، هو يدري ويعتقد أنَّ طريق النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هنا، وهو لا يريده، فهذا متوعَّد بالنار، لأنه يعلم الحق فعاند.

☑ وفيهم المتأوِّل الذي تأويله باطل وغير مَقبول، فهذا يلتحق بهذا.

☑ وفيهم المتأوِّل المخطِئ الذي يلحق بالجاهل، أو الذي يُقلِّد، فهذا أقرب إلى اهل السنَّة، وقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ»**[١٣٢]،

[١٣٢] رواه البخاري (٢٥٢٨) ومسلم (١٢٧)

وفي القرآن يقول ربنا -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فهؤلاء إذا تبيَّنَ لهم الحق وبُيِّنَ لهم ثم أصرُّوا؛ فحينئذٍ هم توعَّدون بهذا الوعيد، فمن عرف طريقة الني -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يجب عليه أن يلزمها، فهذه مسألة مهمَّة جدًّا، وليس معنى أنَّنا نقول: إن هذه الفِرَق ضالَّة أنَّنا نحكم على كل واحدٍ من أفرادهم أنَّه في نار جهنَّم؛ لا: بل هذا أمر غيبي، ولكن نقول: إنَّ هذه الفِرَق الضَّالة فيها رؤساء، وفيها أُناس معاندون، وفيها أُناس مجتهدون مخطئون ضالون ولا شك، صحيح وإن كانوا مجتهدين ولكنهم ضلُّوا السبيل، ولكن هذا الضَّال المجتهد غير الضَّال المعاند، ثم هذا الذي ضلَّ عن اجتهادٍ ما درجة المخالفة لديه؟ هل وقع في الشِّرك الأكبر؟ هل عبدَ غير الله؟ فيكون خرج عن السُّنَّة وعن الإسلام.

لو كان فقط غلط في بعض مسائل الأسماء والصِّفات، أو بعض مسائل الإيمان والإرجاء، كأن يكون وقع في بعض مسائل الإرجاء في الإيمان، أو نحو ذلك؛ فهذا لا يُكفَّر إذا كان عن تأويل سائغ، كما عليه عامَّة أهل السنة والجماعة.

- وإن كان قال هذا الشيء عن خطأ ولو نُبِّهَ رجع عنه؛ فهذا لا يؤاخذ، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فهم ليسوا في منزلة واحدة ولا درجة واحدة، وبالتالي إذا قيل لك: قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كلها في النار»**، هل نحكم على كل الفِرقِ بأنها كلها في النار؟

نقول: هذا فيه تفصيل:

أولًا: هذا وعيدٌ، فكل مَن اتَّبعَ فرقةً غير النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والصحابة والسلف الصَّالح هو متوعَّدٌ بهذا الوعيد.

والواجب على كل مسلم إذا سمع هذا الوعيد من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن يُخاطب كل الإنسان نفسه، في غرب الأرض، وفي شرقها، وفي شمالها، وفي جنوبها؛ إذا سمعَ أن النَّاجي هو مَن كان على ما كان عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه أن يقول لنفسه: عليَّ أن أجتهد في تحري اتِّباع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والصحابة.

- إذا صدق في هذا الاتِّباع وُفِّقَ، ولو عقد نيَّته على هذا ثم وقعَ منه غلط، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، وإذا عقدَ نيَّته ثم نكص على عقبيه، وقال: لا أخالف الآباء والأجداد وأسير على طريقتهم، ولا ألتفت إلى ما كان عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والصحابة؛ فهنا يكون متوَعَّد بالنَّار -نسأل الله العافية والسلامة.

فكلام النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُوضَع على موضعٍ ولا يُغالَى فيه بحيث أن نحكم على المعيَّنين، ولا يُتساهل فيها بأن يُقال أن الحديث لا يشمل أحد، وكل الناس بخير!

- إذا عقد الإنسان نيَّته على طاعة الله ورسوله، واتِّباع الصحابة فهو على خير، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]، لو تأمَّلتَ هذه الآية في سورة النِّساء، وأعدتَّ قراءتها وتفسيرها من كتب التفسير المعتمدة، ثم راجعت هذا الحديث؛ تبيَّن لك أن الحديث موافق للآية، وأن الآية تُبيِّن معنى الحديث.

- الحديث يقول: «وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً». قالوا: مَن هي الواحدة؟ قال: «مَن كَان عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيه وأصحابي»، قال تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المؤمنون هنا هم الصَّحابة، فأوَّل مَن يدخل في هذا الخطاب هم الصَّحابة، فهم لهم سبيل وطريق، فيترك هذا الطريق ويتَّبع غيره ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ما العقوبة؟

- قال: ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

إذن الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتبع الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأن يطلب الهدى الذي جاء به الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويتبع سبيل المؤمنين -وهم الصحابة- ومَن سار على مناهجهم قدرَ طاقته، ولا يُكلف الله نفسا إلا وسعها، ومَن اتقى الله أعانه، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. فهذا الأمر عظيم!

- فنحذر من الفرقة، ومن متابعة الفرق الضَّالَّة، وننتبه إلى مسائل التكفير، فإنَّها مسائل منضبطة عند أهل السنَّة والجماعة، فلا يتجرأ عليها الإنسان إلا بعدَ أن يتعلم، ويلزم طريقة الرَّاسخين في العلم، فليست الطوائف الضَّالَّة والفرق الضالة -الثَّلاثة وسبعين- كلها كافرة؛ لا، ولا نقول: إن ليس فيهم كافر، لا؛ بل قد يكون فيهم الكافر المرتد عن دين الله مثل المنافقين نفاقًا اعتقاديًّا، وهذا موجود في غلاة الرافضة وغلاة الجهميَّة، فذكر عنهم العلماء أشياء عظيمة من الخروج عن شريعة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والخروج عن الإسلام، حتى قال الإمام أبو عبد الله البخري صاحب الصحيح: "والله ما أبالي صليت خلف اليهود والنصراني، أم صليت خلف الجهمي والرافضي"، فهذه كلمة عظيمة، تدل على أن هؤلاء يكونف بهم من الزندقة والكفر والخروج عن شريعة الله، والخروج عن شريعة الله وسنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومعاندة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن علم ومشاقَّة الدِّين -نسأل الله العافية والسلامة.

- وأهل السنة والجماعة، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم وأن يثبتنا على طريقتهم، وأن يهدينا سبيل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وسبيل المؤمنين والصحابة والتَّابعين؛ فهؤلاء هم الجماعة، (وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا).

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



الدرس الحادي عشر



الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{نبتدئ في هذه الحلقة -بإذن الله- من مَتن العقيدة الطَّحاويَّة لأبي جعفر الطَّحاوي، من قوله -رحمه الله: (وَدِينُ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَاحِدٌ؛ وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران:١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ، وَالتَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ، وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْإِيَاسِ)}.

- فهذه الجمل في خِتام العقيدة الطَّحاوية، يقول فيها الطَّحاوي -رحمه الله: (وَدِينُ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَاحِدٌ؛ وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ).

دين الله -جَلَّ وعَلَا- في الأرض: يَعني الذي شَرَعَه لعباده وأوجبه عليهم هو الإسلام.

- وقوله: (فِي السَّمَاءِ)، يعني: الذي هو مَقبولٌ عند ربِّ العَالمين، فلا يَقبل الله -جَلَّ وعَلَا- من أحدٍ دينًا غيرَ هذا الدِّين، فهذا معنى قوله: (وَدِينُ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَاحِدٌ)، وإلَّا فالملائكة -عليهم الصَّلاة والسَّلام- ليسوا مُكلَّفينَ بما كُلِّفَ به الإنس والجن، فالرُّسل بُعثوا لأهلِ الأرضِ من الإنسِ والجنِّ، وهم المخاطبون بالدِّين، وهم الذين يجبُ عليهم طاعة رُسُلِ الله -عَزَّ وَجَلَّ- واتِّباع دينه.

- **والإسلام:** هو الاستسلام لله بالتَّوحيد، والانقياد له بالطَّاعة، والبراءة من الشِّرك وأهله.

هذا هو معنى الإسلام، وقد دلَّ على هذا المعنى آياتٌ كثيرة، قال تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣].

إذن الإسلام: هو الاستِسلَام لله، والانقيَاد له -سبحانه وتعالى- بالطَّاعة، والبَراءة من الشِّرك وأهله، وهكذا عرَّفه شيخ الإسلام ابن تيمية، ونقلَ هذا الشَّيخُ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في "الأصول الثلاثة" في الأصل الثَّالث: التَّعريف بدين الإسلام، فقال: "هو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله".

- وبهذا المعنى تصيرُ طَاعة كُلِّ رسولٍ في زمنهِ إسلامًا، فالذين بُعث فيهم آدم -وهم ذريته- هم مُسلمون، ثم كان النَّاس بين آدم ونوحٍ على مدار عشرة قرونٍ -كما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما- على إسلام، ثم وقعَ الشِّركُ وحدثَ في قومِ نوح، فأوَّل رسول إلى أهلِ الأرض بعد حدوثِ الشِّرك هو: نُوحٌ -عليه الصَّلاة والسَّلام.

فالذين آمنوا بنوحٍ وأسلَموا هم مُسلمون، وقد ذكرَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- عنهم وصف الإسلام كما في سورة يونس وغيرها.

وهكذا مَن جاءَ بعدَ نوحٍ من الرُّسلِ، فكلُّ مَن أطاعَ رسلَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- فقد أسلم، فالرَّسول الذي بُعث في زمنٍ ومكانٍ يجبُ على أهل ذلك الوقت وأهل ذلك المكان طاعة الرسول، فهؤلاء يكونون مُسلمين -أعني من اتَّبع الرَّسول في زمنه ومكانه.

- أمَّا بعدَ مَبعثِ النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقد ختمَ الله به الرِّسالات، ونسخَ به الأديان السَّابقة، وجعل القُرآن الذي أوحيَ إليه مُهيمنًا على جميع الكتب السَّابقة، فالواجب على الجن كلِّهم وعلى الإنس كلِّهم في شرقِ الأرض وغربِها: طاعة الرَّسول محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والدُّخول في دين الإسلام.

- أمَّا مَن استمرَّ على مَا كان عليه أهل المللِ السَّابقة، كالذين استمرُّوا على اليهوديَّة أو استمرُّوا على النَّصرانيَّة أو استمرُّوا على غيرها مِن الأديان؛ فهؤلاء بعدَ مَبعث النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يكونون كفَّارًا بحُكمِ القُرآن، وبحكم السُّنَّة وبإجماع الأمة. قال الله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى كما في هذه الآيات: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وكذلك قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

فالرُّسل كانوا يُبعثون إلى قومهم خاصَّة، أمَّا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقد بُعث إلى جميع أهل الأرض جنِّهم وإنسهم.

- وفي هذا ورد الحديث عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حيثُ قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[١٣٣]، وهذا صريح في أنَّ مَن استمرَّ على اليهوديَّة أو النصرانيَّة مِن هذه الأمَّة فهو كافر.

- وقوله: «مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ»، يعني: أمَّة الدَّعوة؛ لأنَّ المخاطَبين داخلون في دعوته، فهو يدعو جميعَ أهلِ الأرض بشتَّى أصنافِهم وأجناسِهم إلى الإسلام.

---

[١٣٣] رواه مسلم (١٥٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

أمَّا الذين أسلَموا واتَّبعوا، فيُقال لهم: أمَّة الإجابة.

فالأمَّة أمَّتان:

1) **أمَّة الدَّعوة:** كل مَن وُجد ووُلد بعد مبعث النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
2) **أمة الإجابة:** هم الذين أسلَموا ودَخَلوا في دينِ الإسلامِ.

- فقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»**، هذا يُوجب على كل إنسيٍّ وكلِّ جنّيٍّ أن يتَّبع الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- فإذا كانَ نصرانيًّا حتى لو كان مُتدينًا في نصرانيَّتهِ، أو يهوديًّا مُتديِّنًا في يَهودِيَّته؛ فالواجب عليه أن ينخَلِع من هذا الدِّين المحرَّف المبدَّل، وأن يتَّبع الرَّسول الخاتم محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيؤمن به، وينقَاد لشَرعِه، ويُسلم له، ويستَسلِم لله -عَزَّ وَجَلَّ- ويتَّبع رسوله محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهذا هو دين الإسلام، وهو دين الله الذي لا يرضى غيره في الأرض ولا في السَّماء.
- والإسلام بالمعنى العام تقدَّم، وقد عرَّفه بعضُ العلماء بتعريفٍ آخرٍ مقارب، وهو قولهم: ما شرعَه الله -عَزَّ وَجَلَّ- لعباده على ألسنةِ رُسله، وآخرُ الرُّسل هو محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فكلُّ ما جاء به محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهو الإسلام.
- ودينُ الإسلام ظاهرٌ في غاية الظُّهور -ولله الحمد- قال تعالى في سورة التوبة وكذلك في سورة الصَّف: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]، فالحمدُ لله، دين الإسلام ظَاهر في غاية الظُّهور، لا يخفى، ومَن طلبه وجدَه، فيجب على كل مَن عَقَلَ أن يبحثَ عن الحقّ، وأن يبحثَ عن الإسلامِ، فهذا هو الواجب على جميعِ أهل الأرضِ، ثم مِن فضل الله -عَزَّ وَجَلَّ- علينا أن جعلَ هذا الدين مُيسَّرَا سمحًا، كما قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ»**[١٣٤]، ورفعَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- الآصارَ الأغلالَ عن هذه الأمَّة، وكانت مِن قبلُ موجودة على مَن سبقنًا مِن الأمم السَّالفة، ولهذا يُمكن لكلِّ مميِّز من صَغيرٍ أو كبيرٍ، وفصيحٍ وأعجميٍّ، وحضريٍّ وبدويٍّ، وذكيٍّ وبليدٍ؛ أن يدخلَ في هذا الإسلام بأقصرِ زمانٍ، ولا يحتاجُ إلى تكلُّف، ولا يحتاجُ إلى أن يدرس براهين عقليَّة أشهرًا؛ لا، بل يدخلُ فيه بأقصر زمان، فإذا انخلع من الشِّركِ وأهلِهِ ومِن الكفرِ وأهلِهِ، وتبرَّأَ منه، وأذعنَ لله، وشَهِدَ الشَّهادتين، وانقاد للإسلام وأركانِه؛ فهذا هو الإسلام، يشهدُ أنَّ لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، عارفًا بمعناها، إذا كان أعجميًّا تترجم له المعاني حتى يفهمها، وينقاد لها عن علم.

---

١٣٤ رواه الديلمي من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عائشة في حديث الحبشة ولعبهم ونظر عائشة إليهم، قالت : فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : لتعلم يهود أن في ديننا فسحة وإني بعثت. وذكره، وهكذا هو عند أحمد في مسنده من حديث ابن أبي الزناد عن أبيه قال: قال لي عروة: أن عائشة قالت: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يومئذ – تعني يوم الحبشة لتعلم وذكره – بلفظ: إني أرسلت، وسنده حسن ، وفي الباب عن أبي بن كعب، وأسعد بن عبد اللَّه الخزاعي، وجابر، وابن عمر، وأبي أمامة، وأبي هريرة ، وغيرهم، وترجم البخاري في صحيحه، أحب الدين إلى اللَّه الحنيفية السمحة، وساق في الأدب المفرد من طريق داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس: قيل لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: أي الأديان أحب إلى اللَّه؟ قال: الحنيفية السمحة، وله طرق. حديثه رواه الحاكم، وابن عساكر في تاريخهما.

- ومع هذه السُّهولة واليُسر -ولله الحمد- إلا أنَّ الخطرَ موجودٌ، فالمسلم يخافُ على دينه، ويخافُ على عقيدتِه، ويخافُ على نفسِه؛ لأنَّه يقعُ الخروج منه أيضًا بسببِ الردَّة عن الإسلام، أو الاستهزاء بالدِّين، أو بفعلِ الشِّرك الأكبر، والكفر الأكبر، أو التَّكذيب، أو المعارضة لله -عَزَّ وَجَلَّ- ولرسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو الكَذبِ على الله -عَزَّ وَجَلَّ- أو الشَّك فيما أخبر الله -عَزَّ وَجَلَّ- به في القُرآن، فكما أنَّه يقع الدُّخول فيه بأقصر زمان فكذلك الخروج من هذا الدِّين بالرِّدَة عن الإسلام يقع بأسرع ما يُمكن -نسأل الله العافية والسَّلامة.

❑ **ولهذا يجب علينا أن ندعوا الله -عَزَّ وَجَلَّ- بما كان يُكثر منه الدُّعاء -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ** وَسَلَّمَ- فإنه كان يُكثر أن يقول: **«يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»**[١٣٥]، ونسأل الله أن يثبتنا وإيَّاكم على الدين.

- إذن الأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام- كلُّهم مُتَّفقون على طاعةِ الله، والانقياد لشرعِه، والاتباع لما جاء بهِ، ولما أوحى الله إليهم، فلهذا هم مُتَّفقون في الأصول، ومُتَّفقون في أمور الإيمان، وفي عبادةِ الرَّحمن، والإخلاصِ لله -عَزَّ وَجَلَّ- والبراءة من الشِّرك، مُتَّفقونَ في هذه الأصول الكبيرة، فأركانُ الإيمان جميع الرُّسل قد جاؤوا بها، وكذلك أصول العبادات لله -عَزَّ وَجَلَّ- ولكن يختلف كلُّ نبيٍّ عَن غيرِه، فإنَّ الله -عَزَّ وَجَلَّ- يَشرع لكلِّ نبيٍّ ما يُناسب قومَه، وما يُناسب ذلك الزَّمان وذلك المكان مِن العباداتِ والأحكامِ، قال الله -عَزَّ وَجَلَّ: **﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾** [المائدة: ٤٨]، وجاء في الحديث عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: **«إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ دِينُنَا وَاحِدٌ»**[١٣٦]، وفي حديث آخر قال: **«الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»**[١٣٧].

- **والإخوة ثلاث أنواع:**

  ١) **إخوة أشقاء:** من أب وأم.

  ٢) **وإخوة لعلَّات:** لأب واحد، والأمهات شتى.

  ٣) **والإخوة الأخياف:** أمهم واحدة وأباؤهم شتَّى.

- فهنا قال: **«إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ»**، يعني: الأب واحد والأمهات شتَّى، والمراد هنا التَّقريب، يعني الدِّين واحد، أي أنَّ أصول الدِّين مُتَّفقونَ عليها، **«وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى»**، يعني: أنَّ الشَّرائع تختلف **﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾**.

- وأمَّا مَن أرادَ أن يُروِّج لتعدِّد الأديانِ وأنَّ هذا التَّعدُّد مَقبول في الإسلام، وأنَّه لا بأسَ به، وأنَّ الذين دانو بغيرِ دينِ الإسلام يَصلون إلى اللهِ ويدخلونَ الجنَّة؛ فهذا خالفَ القُرآن وخالفَ السُّنَّة، وخالفَ إجماع

---

[١٣٥] رواه الترمذي: ٢١٤٠، وأحمد: ١٢١٢٨، وصححه الألباني فيمشكاة المصابيح: ١٠٢.

[١٣٦] مُتَّفَق عَلَى صِحَّتِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

[١٣٧] رواه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥).

عُلماء المسلمين، وقد حَكى جماهيرُ العلماء الإجماعات الكثيرة في كُفرِ مَن قال بهذا، وأنَّه لا يصح ولا يُقبل عندَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- إلَّا دين الإسلام، فنسألُ الله -جَلَّ وعَلَا- أن يثبتنا على هذا الدِّين.

- ثم قال -رحمه الله: (وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ، وَالتَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ، وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْإِيَاسِ).

يعني: أنَّ هذا الدِّين -ولله الحمد- وسطٌ، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فهذا الدين ليس فيه غلو؛ بل الغلو مِن الكَبائر ومن المحرَّمات التي حرَّمها الإسلام، قال الله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، وقال: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، وقال -جَلَّ وعَلَا: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧]، فالتَّحريم هنا غلو -نسأل الله العافية والسَّلامة- فنَهى الله عن هذا الغلو، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة ٨٧، ٨٨].

- والنَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ»[١٣٨]، وهذا له سبب، وهو أنَّه في حجَّة الوداع أمرَ بالتِقَاطِ الحصَيَات ليرميها في جمرةِ العَقَبَة، فالتُقِطَت له سبعُ حَصَياتٍ -صلوات الله وسلامه عليه- مثل حبَّة الفولِ أو نحوها، فقال: «بمثل هؤلاء فارموا، وإياكم والغلو، فإن أهلك من كان قبلكم الغلو»، فإذا كانَت الزيادةُ في حجم الحجر غلوًّا وكذلك في عدده غلوًّا؛ فهمنا مِن هذا أنَّ الزِّيادَةَ في كلِّ ما شَرَعه الله -عَزَّ وَجَلَّ- وجاءَ عن رسوله يعتبر غلوًّا مهلكًا، لقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فإنما أهلك من كان قبلكم الغو»، فبعض النَّاس يتَسَاهل ويقول: هذه زيادة خير، وأنا أريد الخير، وهذ أقرب...، لا تستحسِن بعقلِكَ، فدين الإسلام بين الغُلو والجَفَاء، وسنشرح الجفاء بعدَ قليل.

- ومثل الثَّلاثة الذين جاؤوا إلى بيوتِ النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وسألوا عن عبادته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فكأنهم تقالُّوها، وقالوا: إنَّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد غفرَ الله له ما تقدَّمَ مِن ذنبِهِ وما تأخَّر، فقالَ أحدهم: أصلِّي الليلَ ولا أرقد. وقال الآخر: أصومُ ولا أفطر. وقال الثَّالث: لا أتزوج النساء. وفي رواية "قال رابع: ولا آكل اللحم" لماذا قالوا هذا؟

- لأنَّهم يُريدون الخير، فهم صحابة، ولكنَّهم تابوا وتركوا هذا لما نَهَّهم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولما بلغ ذلك النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «مَا بَالُ رِجَالٍ يَقُولُ أَحَدُهُمْ كَذَا، وَكَذَا لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَقُومُ وَأَنَامُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ»، وفي رواية «وَآكُلُ اللَّحْمَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[١٣٩]، وهذ يبين لك أن

---

[١٣٨] أخرجه أحمد: ١/٢١٥، والنسائي: ٢٦٨، وابن ماجه: ٣٠٢٩

[١٣٩] البخاري ومسلم

بعض ما يُنقل عن بعض المتعبِّدين من الاجتهادات الزَّائدة عن المشروع أنَّها غير صحيحة، وأنَّه لا يُقتدى بهم في هذا.

- وأيضًا ذكر في سبب نزول الآية التي في سورة المائدة: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧]، أنَّ بعضَ الصَّحابة تبتَّلوا، فجَلَسُوا في البيوتِ واعتزلوا النِّساءَ، ولَبسوا المسوح، وحرَّموا الطِّيبات مِن الطَّعامِ واللِّبَاس، وأرادوا السِّياحة في الأرضِ، وهمُّوا بالاختصاء حتى لا يشتهون النِّساء، وأجمعوا لقيام الليل، وأجمعوا للصِّيام؛ فأحيانًا تأتي النُّفوس بهذه الانفعالات؛ فأنزل الله -عَزَّ وَجَلَّ- هذه الآيات العظيمة: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾، يقول المفسرون في معناها: أي: لا تسيروا بغير سُنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فتحريم النِّساء واعتزالهم، وتحريم الطَّعام، وتحريم اللحم، وتحريم اللباس الجيد الذي ليس بمحرَّمٍ، ومواصلة القيام دون نومٍ، ومواصلة الصِّيام دون إفطار؛ فهذا ليس من سنَّة الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهذا غلو.

- والنَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال أيضًا: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»، قالها ثلاثًا، فإذا تأمَّل المسلم هذا، وأعاده على قلبه هلك، هذا يتعبَّد ويقوم الليل من العشاء إلى الفَجر كل ليلة، هلك! سبحان الله! آمنَّا بما قاله الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن هذا هالك، ولا يَغرنا هذا الغلو الذي هو عليه.

- **والتَّنطُّع:** هو التَّشدُّد والتَّكلُّف، ويُقال أيضًا عن التَّقعُّر في الكلام وتفخِيمِه، فيُخرجه من نَطعِ الحلقِ -يعني أقصاه- على هيئةِ المفتخرِ والمتكبِّر والمتشدِّق بكلامه.

فالتَّشدُّد في العبادة بأن يُشدِّدَ على نفسِهِ أو يُشدِّدَ على غيره بغير حقٍّ ولا دليلٍ ولا سنَّة، والتَّكلُّف يدخلُ فيه هذا، ويدخلُ فيه التَّكلُّف في الأمور العلميَّة، ومسائل العلم، كأن يبحث عمَّا لا يُشرَع، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، فهذا يعتبر مِن التَّنطع. وكذلك الذي يتكلَّم بالغريب والوحشي مِن الكلام، ليتفاخَر ويُظهِر قُدراته ويتبَختَر على النَّاس، فهذا منهيٌّ عنه.

وعلى كل حالٍ؛ فدين الإسلام وسطٌ بين الغلو والجفاء.

- **الجفاء:** يعني التَّهاون والتَّلاعب، والإعراض عن الواجبات، والانحلال عن الدِّين، فكما أن الغلوَّ ضلالٌ، فكذلك الجفاء ضلال، والواجب هو القيام بالشَّرع والعمل بما أمر الله والاستقامة على شرعه فعلًا للواجباتِ وتركًا للمحرَّماتِ، وأمَّا الانحلال بتركِ الواجبات والانهماك في المحرمات ودعوى أنَّ هذا لا يضر، وما دام أنَّ الإيمان مَوجودٌ فلا يضر معه شيء؛ فهذا كلامُ المرجئة، وقد سبقَ بيانُ ضلالهم، وغير المرجئة ممَّن يتكاسَل ويتلاعَب بالدِّين، فلا يقيم الصَّلاة، ولا يؤدِّي الزَّكاة، ولا يقومُ بما أمر الله، فهؤلاء هم المنحلُّون عن الشَّريعة -نسأل الله العافية والسَّلامة- فدين الله وسطٌ بينَ هؤلاء وهؤلاء، وكلا الطَّرفين مذموم.

- قال: (وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ).

أي: في باب الأسماء والصِّفات، فهذا الباب العظيم يجبُ أن نؤمنَ بما أخبرنا الله -عَزَّ وَجَلَّ- به من أسمائِهِ وصِفاتِه، ونُقرَّ بذلك، **فنجتنب ضلالاتين عظيمتين خطيرتين:**

☑ **الأولى:** تشبيه الله بخلقه.

☑ **الثانية:** تعطيل الله عن صفاته.

☑ **فالأولى:** التَّشبيه -وهو التَّمثيل- وهو أن يجعل صِفاتِ الخالق مثلَ صِفات المخلوقِ، فيقول: سَمْعُ الله مثل سَمْعِ الإنسان، فهذا كافرٌ، وهذا ليسَ من دين الإسلام في شيءٍ، فهذا إثبات مع التَّمثيل؛ لأنَّه أثبت لله السَّمع ولكنَّه مثَّل الله بخلقه؛ وهذا كفر.

☑ **الثَّانية:** التَّعطيل، وهو أن يقول: إنَّ الله لا يَسمع، ولا يوصف بالسَّمع.

- سُمِّيَ تعطيلًا لأنَّ التَّعطيل هو التَّخلية، أي: التَّرك والإنكار، قال تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]، مُعطلة: يعني متروكة مخلَّاة.

ويُقال في لغة العرب: جِيدٌ معطَّل. الجِيدُ: هو العُنُق، يعني إذا لم تلبس المرأة الحُليَّ يُقال عنها: "جِيدٌ مُعطَّلٌ" يعني: عنقٌ متروكٌ وما عليه شيءٌ.

فالتَّعطيل: هو التَّرك، أي: إنكار أسماء الله وصفاته. وهذا الإنكار:

○ قد يكون كاملًا كما يفعلُه الجهميَّةُ، والفلاسِفَةُ، وكفَرةَ الصَّابئة، والبَاطنيَّة، فهم يُعطِّلون تَعطيلًا كاملًا.

○ وقد يكون تَعطيلًا للصِّفات مع إثباتِ الأسماءِ، كما يفعله المعتزلة.

○ وقد يكون تَعطيلًا لبعضِ الصِّفات دونَ بعضٍ: كما يفعله الأشَاعرة والماتريدية.

وكلُّ هذه المذاهب غلطٌ، ولكن بعضَها أشد مِن بعضٍ، وقد تقدَّمَ هذا في موضعه.

❑ **والواجب:** أن نُثبت أسماء الله -عَزَّ وَجَلَّ- وصفاته الواردة في الكتاب والسنَّة كما جاءت من غير تمثيلٍ ومن غيرِ تشبيهٍ، وأن ننزِّه الله -عَزَّ وَجَلَّ- عن مماثلة خلقه مِن غيرِ تعطيلٍ، كما تقدَّم شرحُ هذا.

- قال: (وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ)، هذا تقدَّم أيضًا في مسائلِ القَدرِ، وهو أنَّ العبدَ غيرَ مجبورٍ على أفعالِهِ، ولا على أقوالِه؛ بل خَلَقَهُ الله -عَزَّ وَجَلَّ- وجعلَ فيه قدرةً واختيارًا، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس:٧-١٠]، وقال تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨].

➢ **فمذهب الجبريَّة** مذهبٌ باطلٌ، فالذين يقولون إنَّ العبد مجبورٌ كالآلة ولا إرادة له، وأفعاله كلها مجبورٌ عليها، وحركاته وسكناته وأقواله وأفعاله كما الريشة في مَهبِّ الرِّيح، وكحركات المرتعش، وأنَّ صلاتَه وصيامَه وحجَّه، والبعيدُ الذي يَزني ويسرق؛ كل هذه الأفعال مجبورٌ عليها، فهؤلاء هم: "الجبريَّة" الضُّلال.

➢ **وعكسهم: "القدريَّة"**. ومذهبهم: "نفي القدر"، وسمُّوا بالقدريَّة؛ لنفيهم القدر.

- **فالجبريَّة:** يغلون في إثبات القدر لله -عَزَّ وَجَلَّ- وينفون أفعال العباد، فينفون أنَّ العبدَ مختارٌ، بل يقولون: إنَّ العبدَ ليس له اختيار ولا إرادة، ولا قُدرة.
- وفي مُقابل هؤلاء: **القدريَّة**، ينفون عِلمَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- ومشيئته النَّافذة، فيقولون: إنَّ العبدَ مُستقلٌّ بفعله، عنده قُدرة على أفعاله، وهو مُستقلٌّ بذلك، وليس لله في أفعاله أي تصرُّفٍ، فالله -عَزَّ وَجَلَّ- لا يقدر على أن يهديَ ضالًّا، ولا أن يُضلَّ مهتديًا، ولا يقدر الله أن يجعل هذا يشاء الخير أو لا!

فقولهم هذا أخبث؛ لأنَّهم جعلوا مع الله خالقين وليس خالق واحدٍ، فجعلوا كل إنسان يخلق فِعلَ نَفسه.

- **أمَّا أهل السُّنَّة والجماعة** فيقولون كما قال الله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير:٢٨]. فأثبت للعبد المشيئة، فقال: ﴿أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾، ثم قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:٣٠]، بيَّنَ أنَّ مَشيئةَ العبدِ ليست مُستقلَّة؛ بل هي تابعة لمشيئة الله تعالى، فمشيئة الله هي النَّافذة، ومشيئة العبد ليست نافذة، فالله -عَزَّ وَجَلَّ- هو الذي خلق العبد بصفاتِه، هذا أبيض، وهذا أسود، وهذا أحمر، هذا طويل، وهذا قصير.

- ومن صِفَات العبد صفتان مُهمَّتان ينتج عنهما أفعاله، فأيُّ فعلٍ يقوم به الإنسان لابدَّ فيه من وجود الصِّفتين حتى يتم الفعل، هما:
  - **الصفة الأولى:** القدرة.
  - **الصفة الثانية:** المشيئة -أو الاختيار.
- فالإنسان يستطيع أن يحمل هذا الكأس ويضعه، وهذه هي القُدرة، يحمل الكتاب ويضعه، هذه قدرة، يذهب للمسجد أو إلى أي مكانٍ آخر، فهذه قُدرة.

أمَّا المشيئة أو الاختيار: فكأن يختار أن يرفع هذا ولا يرفع هذا.

إذن هذا يُسمَّى التَّمييز، ولهذا فإنَّ المميِّز يُطالب بالعمل، أمَّا غير المميِّز فلا يُطالَب بشيءٍ ولا يُكلَّف بشيء، وكذلك فاقد العقل هو فاقد للاختيار وإن كان يستطيع أن يتحرك وعنده قُدرة، ولكنه فاقد للصفة الثَّانية وهي الاختيار.

- والله -عَزَّ وَجَلَّ- هو الذي خلق في العبد القُدرة والاختيار، وخلق صفاته، وما ينتج عن هاتين الصفتين من جميع أفعاله وأقواله هو محاسبٌ عليه، فتُضاف إليه كسبًا، قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦]، فصارت الأفعال تُضاف إلى العبدِ كسبًا وتسبُّبًا.
- الله -عَزَّ وَجَلَّ- هو الذي خلقَ العبدَ وخلقَ صِفاتَه وخلقَ هذه الأشياء فيه؛ إذن تُضاف أفعال العباد وما ينتج عنها إلى الله خلقًا وإيجادًا، فالله تعالى هو خالقُ العبد، وخالق أفعاله، وكل ما يَنتج من أفعاله فهو مخلوق لله -عَزَّ وَجَلَّ- ولكنها تُضاف إلى العبد كسبًا وتسبُّبًا، فهذا مصلٍّ وذاك سارقٌ، وهكذا..، فهذا دين الإسلام، بينَ الجبرِ والقدرِ.
- قال المؤلف: (وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْإِيَاسِ).

- هذا من عقيدة أهل السنة والجماعة، وهو التَّوسط بين الأمن والإياس، فلا يأمن من مكرِ الله، ولا ييأس من روحِ الله، كما قال الله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]، وقال تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر:٥٦]، وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩].
- فالمؤمن يجمع بين الخوف والرجاء، فإذا خاف من الله -عَزَّ وَجَلَّ- لا يأمن أن يُسلَب الدِّين بسبب الذُّنوب؛ بل يخاف على دينه، ويخاف على نفسه، ويسأل الله الثَّبات، ولا يأمن أن تكون تكثر ذنوبه، خاصَّة محقَّرات الذُّنوب؛ فيؤاخذ عليها، وبعض النَّاس ما ينتبَّه حتى للكبائر -نسأل الله أن يَغفر لنا ولجميع إخواننا المسلمين- فيخافُ العبد مِن ذنوبه وتقصيره في فعل الواجبات، هل أدَّى الصَّلاة كما ينبغي أولا، وفي نفس المقام يرجو الله، فلا ييأس من روحِ الله ويقول: أنا صلاتي غير مَقبولة أو أعمالي غير مقبولة، وأنا ذنوبي أحاطت بي، وأنا في النار!

هذا حرامٌ ومن أكبر كبائر الذنوب، كما ثبت ذلك عن ابن مسعود أنَّ من أكبر الكبائر: الأمن من مكر الله والإياس من روح الله.

ولهذا يقول العلماء: الخوف والرجاء للمؤمن كجناحي طائر.

والإنسان أيضًا لا يقول عن نفسه: أنا رجل صالح، أنا الحمد لله كذا وكذا...!

ما دُمتَ في الحياة ولم تنتقل إلى الدَّار الآخرة فأنتَ على خطرٍ؛ فاسأل ربَّكَ -عَزَّ وَجَلَّ- الثبات، وأن يُثَبِّتك على الإسلام.

- وهذا يُشير إلى مذهب المرجئة، كما يُشير إلى مذهب الخوارج:
  - **فالمرجئة:** يُغلِّبون جانبَ الأمن مِن مَكر الله، يقولون: افعل ما شئت من الذنوب وليس عليك مشكلة، حتى لو انحللت من الدِّين فما دمتَ أنَّك تقول الشهادتين، فما عندك مشكلة، فهذا مذهب المرجئة الضُّلال، وهو مذهب رديء خبيث.
  - وعكسهم: **الخوارج الغلاة**، كلاب النار، الذين يُشدِّدون على المسلمين فيُخرجونهم من الإسلام بالذنوب والمعاصي، ودين الإسلام وسطٌ بينَ الأمنِ والإياس.
- فهذه جُملٌ عظيمة، ذكر فيها الطحاوي وسطيَّة أهل الإسلام، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في مُقدمة "العقيدة الواسطيَّة" وسطيَّة أهل السُّنَّة والجماعة، وذكر هذه المسائل، وأضاف إليها المسألة الخامسة وهي: وسطيَّتهم في أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بين الرَّوافض والخوارج والنَّواصب.

{قال -رحمه الله: (فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَنَحْنُ بُرَآءُ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ.

وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، مِثْلَ الْمُشَبِّهَةِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ، وَالْجَبْرِيَّةِ، وَالْقَدَرِيَّةِ، وَغَيْرِهِمِ مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَحَالَفُوا الضَّلَالَةَ، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بُرَآءُ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلَّالٌ وَأَرْدِيَاءُ، وَبِاللَّهِ الْعِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ)}.

- هذه الجُمَل هي ختام رسالة العقيدة الطحاوية، قال: (فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا)، قوله: (هَذَا)، يعني المُشار إليه هو كلُّ ما تقدَّم من أوَّل العقيدة الطَّحاوية إلى هنا.
- قال: (فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا)، يعني: أهل السُّنَّة والجماعة ليس عندهم عقيدة خاصَّة ببعض النَّاس دون بعض، وليس هناك شيء يُبطنونه ويُخفونه عن النَّاس، فما أظهرونه هو ما يُبطنونه، وما أبطنوه هو ما يتكلَّمون به من العقيدة، خلافًا للباطنيَّة الذي يُبطنون الضَّلالات ويُخفونها عن العوام - كما يقولون.
- والشَّيخ الطَّحاوي -رحمه الله- في بيان عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة اجتهد اجتهادًا طيِّبًا، وبذل كلامًا عظيمًا نافعًا في أغلبه ومجمله، سوى موضع أو موضعين سبق التَّنبيه عليهما:
  1) في مسألة الإيمان والإرجاء، وإخراج العمل من الإيمان، وَتَمَّ التنبيه على ذلك.
  2) كذلك في بعض الألفاظ اليسيرة.

ولكن في الجُملَةِ فإنَّ هذه العقيدة الطحاوية عقيدةٌ صحيحةٌ وجيِّدةٌ في مجموعها.
- ثم قال: (وَنَحْنُ بُرَآءُ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ)، يعني: نتبرَّأ إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- ونَبرأ إليه من كلِّ العَقائد الفاسدة، وقد تقدمت الإشارة إلى كثيرٍ من هذه العقائد الفاسدة.
- ثُمَّ دعا الله -عَزَّ وَجَلَّ- بهذا الدُّعاء، فقال: (وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ)، هذا من الأدب مع الله -سبحانه وتعالى- وهذا حال عالمٍ جليل مثل الطَّحاوي، وهذا درسٌ لنا ولكل مُسلم، أنَّ العُلماء من أشد النَّاس تعظيمًا لله، وحرصًا على الثَّبات، وإبعادًا لأنفسهم عن الغرور، فيدعو الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالثَّبات، وهكذا يكون كل مُسلم وكل طالب علمٍ وكل عالم؛ فيدعو الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يُثبته على الدِّين، وأن يُثبته على الإيمان، وأن يُثبته على الإسلام، وأن يَختم له به؛ لأنَّ الإنسان قد يكون عَارفًا بالحقِّ، ثُمَّ يزيغ عنه بسببِ الدُّنيا، أو بسببِ شُبهةٍ، أو بغيرِ ذلك من الأمور -نسأل الله العافية والسَّلامة، وأن يحسن خاتمتنا جميعًا.
- ثم قال: (وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ).
- **الأهواء**: جمعُ هوى، والهوى هو الرأي، ولذا قال: (وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ)، والمراد به هنا: ما خالف الكتاب والسنَّة.

فهذه الأهواء هي التي حذَّر منها النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وحدثت بعد مماته بمدَّة، وأوَّلُ الأهواء حدوثًا: الخوارج، ثم الشِّيعة؛ فبدعة الخوارج وبدعة الشيعة حدثتا في زمنِ علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وأنكرهما أشدَّ الإنكار، ثُمَّ بعد خمس وعشرين سنة تقريبًا حدثت فتنة القدريَّة، ثم بعد نحو عشر سنوات حدثت بدعة المرجئة؛ فهذه أصول الأهواء الضالَّة:

- أولها: **الخوارج**.
- ثانيها: **الشيعة**.

- **ثالثها: القدريَّة**، وهذه قبل سنة سبعين بحوالي خمس سنوات، أدركها ابن عباس في كِبَرِ سنِّهِ لمَّا عَمِي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وكان في الطَّائف، وأدركها عبد الله بن عمر لمَّا كبر، وأدركها واثلة بن أصقع؛ كلُّهم سمعوا بها، وأول ما بدأت بدعة القدر وقولهم أن الله لا يعلم الأمور ولم يقدرها كانت بالعراق، وهؤلاء القدريَّة النُّفاة وهم غلاة القدريَّة.
- **رابعها: بدعة المرجئة**، وكانت بعد بدعة القدريَّة بحوالي خمسة عشر سنة تقريبًا، وهي إخراج العمل عن الإيمان، والزَّعم بأنَّ الذُّنوب لا تضر مع وجود الإيمان باللسان وبالقلب، فيُكتفَى في ثبوت الإيمان قوله باللسان واعتقاده بالقلب.

فهذه هي الأهواء المختلفة، وسُمِّي "هَوَى"؛ لأنَّه يهوي بصاحبه؛ أو لأنَّه فراغ ولا شيء، فهو إمَّا من الفراغ أو من الهَويّ، قال تعالى: ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١].

- ثُمَّ ضربَ المؤلف أمثلة على هذه الآراء المتفرقة والمذاهب الرَّديَّة، قال: **(وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، مِثْلَ الْمُشَبِّهَةِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ ، وَالْجَبْرِيَّةِ ، وَالْقَدَرِيَّةِ ، وَغَيْرِهِمْ)**، هو لم يُرِد الحصر؛ لأنَّ النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذكر أنَّها أكثر من سبعين، فقال: **«ثلاثا وسبعين فرقة»**.
  - **فالمشبِّهة**: هم الذين شبَّهوا الخالق بالمخلوق، وقد تقدَّمت الإشارة إليهم.
  - **المعتزلة**: الذينَ اعتزلوا حلقةَ الحسن البصري، ورئيسهم واصل بن عطاء، وكذلك عمرو بن عُبيد، ومعبد بن عويمر الجهني، وآخرون شاركوهم، وكان أول أَمْرُهُم سنة مائة وما حولها، وكان أول أَمْرُهم نفي القَدر، ثُمَّ دخلت عليهم بدعة القول بـ "المنزلة بين منزلتين"، وبعد ذلك بحوالي سبعين سنة في زمن هارون الرشيد دخلت عليهم بدعة "تعطيل الصِّفات"، ويسموه عندهم "التَّوحيد" **ولهذا يقول العلماء**: أصول المعتزلة خمس؛ كلها باطلة، ولكن سمُّوها بأسماء برَّاقة:

☑ **الأصل الأوَّل**: التَّوحيد، وأرادوا به نفي الصِّفات.

☑ **الأصل الثَّاني**: العدل، وأرادوا به نفي القدر، ونفي أنَّ مشيئة الله -عَزَّ وَجَلَّ- نافذة.

☑ **الأصل الثَّالث**: إنفاذ الوعيد، وأرادوا به أنَّ أصحاب الكبائر مخلَّدون في نار جهنَّم.

☑ **الأصل الرَّابع**: المنزلة بينَ المنزلتين، وأرادوا به أنَّ المسلم إذا ارتكبَ الذَّنبَ والكبيرةَ فإنَّه ليس بكافرٍ ولا بمسلمٍ، وهذه بدعة ما أتى بها أحدٌ غيرهم!

☑ **الأصل الخامس**: الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وأرادوا به الخروج على الأئمَّة الظَّلَمَة، وهذا مذهب فاسد.

  - **والجهميَّة**: هم أتباع الجهم بن صفوان، وقد تقدَّم ذكره. وكذلك الجبريَّة والقدريَّة؛ وغيرُ هؤلاء من أهل الضَّلال وأهل البدع.

❑ **فالواجب على أهل الإسلام**: الثَّبات على منهج النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومنهج الصَّحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- ومَن كانَ على مثل ما كان عليه النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه. هذا هو الذي جاء به الحديث، وهذا هو الذي يسلم دينه، فكل مسلم يجتهد ويسأل على الحق حتى يصل إليه.